مداخل الشيطان

على

الإنســـــان

تأليف

(أبو إسلام)

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ لله نَحمدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار.

فهذه مجموعةٌ من خطبِ الجمعةِ عن الشيطانِ ألقيتُها في مسجدِ إبراهيم الحاج حسن، تكلمتُ فيها عن الشيطانِ وعداوتِه لبني آدم، وأساليبِه في إضلالهِم وإغوائِهم، واعتداءاتِه المستمرةِ عليهم، ومداخلِه، التي يدخلُ منها إليهم، وتكلمتُ أيضاً عن التحصيناتِ الشرعيةِ التي يتحصنُ بها المسلمُ من هذا العدوِّ المبين.

وهذه الخطبُ هي ضمنَ سلسلةِ الخطبِ التي بعنوان:

(المبشرون بالنار) والتي لا زلنا في صدد الحديثِ عنها، أعاذنا الله وإياكم من النار.

وقد نَفعَ اللهُ تعالى بهذه الخطبِ مسموعةً، فأحببنا أن نقدِّمَها لإخواننا مقروءةً عسى الله أن ينفعَ بها من يقرؤُها ويبلِّغها، وقد سميتها:

مداخل الشيطان

على

الإنسان

سائِلاً المولى في علاه أن يجعلَ عملَنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا وكلَّ من ساهمَ في هذا العمل بجهدٍ أو نصيحةٍ يومَ القيامة، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وكتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم

الحاج حسن

الأردن – عمان

١

تبشيرهُ ﷺ لإبليسَ إمامِ أهلِ النارِ بالنارِ والعذابِ المقيمِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

موعدُنا في هذا اليوم إنْ شاءَ اللهُ تعالى معَ موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **اللؤلؤُ والمرجان من قَصصِ القرآن ... دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ** والتي نتكلَّمُ فيها عن قصّةِ نبيِّنا وحبيبِنا محمّدٍ ﷺ، أتدرونَ ما هي يا عبادَ الله؟

إنها: بشاراتُ النبيِّ ﷺ لأهلِ النارِ التي سنتعَرفُ عليها من دراستنا للسيرةِ النبويةِ العطرةِ ألا وهي: **تبشيرُهُ ﷺ لإبليسَ إمامِ أهلِ النار بالنارِ والعذابِ المقيمِ**

أرسلَ اللهُ رسولَهُ محمدًا ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً، وأمَرَهُ أن يبشرَ المؤمنينَ الصادقينَ بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

وأمرهُ أيضاً أن يبشرَ الكافرينَ المجرمينَ بالنارِ والعذابِ الأليمِ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

وإبليسُ منَ الكافرين قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

بل إبليسُ هو إمامُ أئمةِ أهلِ النارِ، فاللهُ سبحانه وتعالى جعلَ للنارِ أئمةً يدعونَ إليها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص].

فإبليسُ هو إمامُ وزعيمُ أهلِ النارِ، دعاهم إلى حزبهِ الخاسرِ فاستجابوا له، فقادهم إلى النارِ وبئسَ المصير. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وبشَّر اللهُ إبليسَ وحزبَهُ بالنارِ والعذابِ المقيم فقال تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء].

وها هو إبليسُ عليه لعنةُ اللهِ بعدَ أن غرَّرَ أتباعَهُ وزَيَّن لهم المعاصيَ وأضلهم حتى دخلوا معهُ النارَ، يتبرأُ منهم ليزدادوا عذاباً وحسرةً في النار قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

واللهُ عزَّ وجلَّ يُوبخ حزب الشيطان فيقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

فإبليسُ هو إمامُ حزبِ الشيطانِ الخاسرِ الهالكِ، دعاهم إلى حزبهِ فاستجابوا له، فاحذَرْ يا عبدَ اللهِ! أن تكونَ من حزبِ الشيطانِ، واعلمْ أنَّ الناسَ في هذهِ الدنيا حزبانِ لا ثالثَ لهما: حزبُ اللهِ، وحزبُ الشيطان وحزبُ اللهِ هو الغالبُ دائماً.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

• وحزب الله هو المفلحُ في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

• وحزبُ الشيطانِ هو الخاسرُ الهالكُ ولو سمى نفسَه بحزبِ الله، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة].

ففي هذه الآياتِ يتبينُ لنا أنَّ المنافقينَ من حزبِ الشيطانِ الخاسرِ، وقد أخبرَنا

اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابهِ أنَّ المنافقينَ هم العَدوُّ فقال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤].

وأخبرَنا في كتابه أيضاً أنَّ الشيطانَ هو العدوُّ المبينُ للإنسانِ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف].

وقد تكلمنا في الجُمَع الماضيةِ عنِ العدوِّ الإنسيِّ منَ الكفارِ والمشركينَ والمرتَدِّينَ والمنافقينَ، وسنبدأُ منَ اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الحديثِ عن العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ وهو إبليسُ عليه لعنةُ اللهِ. والعدوُّ الجنيُّ الشيطانيُّ أخطرُ وأضرُّ منَ العدوِّ الإنسيِّ، والدليل على ذلك من كتاب اللهِ:

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

فهذه ثلاثُ آياتٍ ليسَ لهنَّ رابعةٌ في معناهنَّ؛ وهو أنَّ اللهَ تعالى يأمرُ بمصانَعةِ

العدوِّ الإنسيِّ والإحسانِ إليه؛ ليردَّه عنه طبعُه الطيبُ الأصلِ إلى الموالاةِ والمصافاةِ، ويأمرُ بالاستعاذةِ به سبحانه من العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ؛ إذ لا يقبلُ مصانعَةً ولا إحساناً، ولا يبتغي غيرَ هلاكِ ابنِ آدمَ؛ لشدةِ العداوةِ بينَه وبينَ أبيه آدمَ من قبلُ؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف].

وأضفْ إلى خطورةِ العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ أنهُ يرانا ولا نراه. قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ -أي: الشيطانُ- ﴿يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ [الأعراف:٢٧].

وأضفْ أيضاً إلى خطورةِ العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ أنه يجري منَ ابنِ آدمَ مجرى الدم قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»(١).

وأضفْ أيضاً إلى خطورةِ هذا العدوِّ أنه يحضرُ الإنسانَ عندَ كُلِّ شيءٍ مِنْ شأنِهِ قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٣).

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقولُ للشيطانِ: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء].

وتظهرُ خطورةُ وعداوةُ هذا العدوِّ الجنيِّ الشيطانيِّ منْ أسمائِه التي ذكرَها اللهُ لنا في كتابِه ومنها:

أولاً: إبليسُ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحجر].

واسمُ «إبليس» هو الذي يتفقُ وواقعُ حالِ عدوِّ الله، حيثُ الحزنُ والندمُ واليأسُ منْ رحمةِ الله تعالى، وكلُّها من معاني الإبلاسِ، فوافقَ الاسمُ حالَ المسمَّى.

يقولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (إِبْلِيسُ أَبْلَسَهُ اللهُ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا عُقُوبَةً لِمَعْصِيَتِهِ)[1].

وقال ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ: (وسَمَّى اللهُ إبليسَ؛ إعلاماً له بأنه قد أُبْلِسَ منَ الرحمةِ)[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤٣).

(٢) رواه ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٨٢).

ثانياً: الشيطانُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة:١٦٨].

وقد ذكرَ اللهُ الشيطانَ في ثمانيةٍ وثمانينَ موضعاً في كتابه يُحَذِّرُ عبادَهُ منه وينهاهم أن يتبعوا خطواتِه؛ لأنه يدعوهم إلى عذابِ السعير.

• والشيطانُ هو كُلُّ مَنِ اقتربَ منَ الشرِّ ودعا إليه، وبَعُدَ عن الخير وحذرَ منه.

ولا ريبَ أنَّ الاقترابَ من الشرِّ والبعدِ عن الخيرِ، هو المعنى الذي يوافقُ حالَ الشيطانِ عدوِّ اللهِ ، فقد أخبرَ اللهُ جل وعلا أنه أبعدَ الشيطانَ عنْ كلِّ أسبابِ الخيرِ وسُبُلِهِ.

ومن قرأ كتابَ اللهِ يجدْ أن إبليسَ يدعو الناسَ إلى كلِّ شرٍّ، ويصدُّهم عنْ كلِّ خير، بل قعدَ لهم على كلِّ طرقِ الخيرِ ليمنعَهم منها؛ يقول الله عزَّ وجل عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ الشيطانَ قعدَ لابنِ آدمَ على كُلِّ طرقِ الخيرِ فقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي(٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، وابن حبان (٤٥٩٣)، [«صحيح الترغيب» (١٢٩٩)].

ثالثاً: الطاغوت

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة].

قال البغويُّ في معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ يعني الشيطان[(١)].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة].

قال ابنُ عباسٍ وعكرمةُ رضي الله عنهما: الطاغوتُ في الآية الشياطين[(٢)].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء].

قال ابنُ جرير في معنى قوله ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾: (يعني في طاعةِ الشيطانِ وطريقهِ ومنهاجِه الذي شرعَهُ لأوليائِه منْ أهلِ الكفرِ بالله)[(٣)].

ولقد جاءَ لفظُ «الطاغوتِ» في القرآنِ الكريمِ في ثمانيةِ مواضع، وهي في أعمِّ

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٣١٤).

(٢) «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٠٦).

(٣) «تفسير الطبري» (٥/ ١٦٩).

معانيها تدور حول الشيطان وحزبه.

• والطاغوتُ هو الشيطانُ، وكلُّ معبودٍ من دونِ الله، والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء].

• وقال الشيخُ محمدُ الأمينُ الشنقيطيُّ رحمه الله: (والتحقيقُ: أنَّ كُلَّ ما عُبدَ من دونِ الله فهو الطاغوتُ، والحظُّ الأكبرُ منَ ذلكَ للشيطانِ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس:٦٠]).

وقال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

ولما كانَ الشيطانُ بحبائلِهِ ووسائلِه ومُغْوياتِهِ هو أطولُ باعاً، وأوسعُ حيلةً من غيرِه في إغواءِ الناسِ وإضلالِهم كان أولى مِنْ غيرِه بإطلاقِ اسمِ (الطاغوت) عليه، وكان كلُّ مَنْ دعا إلى ضلالةٍ من ضلالاتِ الشيطانِ طاغوتاً مثله.

رابعاً: الغُرُورُ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا

مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد].

أجمعَ المفسرونَ على أن الغَرورَ في الآياتِ هو الشيطانُ.

قال ابنُ عطيةَ: (الغَرورُ: الشيطانُ بإجماعٍ من المتأَوِّلين)(١).

والغَرورُ هو: كلُّ ما يَغُرُّ الإنسانَ من مالٍ وجاهٍ وشهوةٍ وشيطانٍ، وقد فُسِّرَ بالشيطانِ، إذ هوَ أخبثُ الغارِّين.

ولذلك قالَ الشيخُ السِّعديُّ رحمه الله: (الغَرورُ هو الشيطانُ الذي زينَ لكمُ الكفرَ والرَّيْبَ فاطمأننتم به، وَوَثِقْتُمْ بوعدِه وصَدَّقتم خبرَه)(٢).

خامساً: الوَسْوَاس

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠].

---

(١) «تفسير ابن عطية» (١٤/ ٣٠٦).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ١٧٩).

قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس].

والوَسْوَاس هو الشيطانُ. قال ابنُ جرير في قوله: (﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ يعني: من شرِّ الشيطان)[1].

ولقد جاءَ في الأحاديثِ وصفُ الشيطانِ بالوسوسة

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ. حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ** -أي صوتَ المؤذن- **فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ. فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ**»[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ، لأَنْ أخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، الْـحَمْدُ لله الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ**»[3].

---

(١) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم(٣٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١١٢) ، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٠٣)، وأحمد (١/ ٢٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٥٨)، [تحقيق«الإيمان»لابن تيمية (١٠٢)].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «**يَأْتِى الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ**»(1).

فهذا هو العدو الجنيُّ الشيطانيُّ يدعو ويغَررُ ويوسوسُ بالليلِ والنهار ليخرج بني آدم من النور إلى الظلمات ليكونوا معه في النار، ولا نجاةَ لك يا ابن آدم من هذا العدو إلا أن تستعيذَ بالله منه ومن شره استجابة لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠] واستجابة لقوله ﷺ: «**فإذا بلغَ ذلك فليَستعِذ بالله وليَنتَهِ**».

• إبليسُ، الشيطانُ، الطاغوتُ، الغَرورُ، الوَسواسُ هذا العدو المبين، هل هو منَ الملائكةِ أم من الجن؟ للعلماءِ في هذه المسألة قولان:

القولُ الأولُ: قالوا: إنَّ إبليسَ منَ الملائكة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة:٣٤].

قالوا: إن إبليسَ استُثْنِيَ من جملةِ الملائكةِ، والأصلُ في الاستثناءِ الاتصالُ لا الانقطاعُ.

القول الثاني: قالوا: إنَّ إبليسَ منَ الجنِّ وليسَ منَ الملائكةِ واستدلوا بالأدلةِ الآتيةِ:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٣٢٧٦)، ومسلم(١٣٤) واللفظ له.

١ – قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

فالجنُّ غيرُ الملائكةِ، فإبليسُ أصلُ الجنِّ، كما أنَّ آدمَ أصلُ الإنسِ؛ روى الطبريُّ عن الحَسَنِ أنه قال: (ما كانَ إبليسُ منَ الملائكةِ طَرْفَةَ عينٍ قَطُّ، وإنه لأَصْلُ الجنِّ، كما أنَّ آدمَ أصلُ الإنسِ)(١).

٢- أنَّ الملائكةَ خُلِقَتْ من نورٍ، وخُلِقَ إبليسُ من نارٍ، فقد أخبرَ اللهُ عن أصلِ الشيطانِ الذي خُلِقَ منه في قوله تعالى حكايةً عن إبليسَ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

وإبليسُ من الجنِّ، واللهُ تعالى يقولُ عنْ أصلِ خَلْقِ الجنِّ: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

وفَرَّقَ النبيُّ ﷺ بينَ مادةِ أصلِ الملائكةِ والجنِّ والإنسِ فيما روته عائشةُ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْـمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْـجَانُّ مِنْ مَارِجٍ**(٢) **مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٣).

٣- عصمةُ الملائكةِ منَ ارتكابِ الكفرِ الذي ارتكبَه إبليسُ، قال تعالى مخبراً عنِ

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٢٢٦).
(٢) المارج: لهب النار المختلط بسواها.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٦).

الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

ويقول سبحانه: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء]. ويقول سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

٤- أنَّ لإبليسَ ذريةً، ولا ذريةَ للملائكةِ لقوله تعالى عن إبليس: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف:٥٠].

فهذا صريحٌ في إثباتِ الذريةِ لإبليسَ، قالوا: وإنما قلنا: الملائكةَ لا ذرية لهم، لأنَّ الذريةَ إنما تحصلُ من الذكرِ والأنثى، والملائكةُ لا أنثى فيهم لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف].

فأنكرَ تعالى على مَنْ حَكَمَ عليهم بالأنوثَةِ، فإذا انتفَتِ الأنوثةُ، انتفى التوالدُ لا محالةَ، فانتفَتِ الذريةُ بذلك.

٥- أنَّ الملائكةَ رسُلٌ لقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر:١]. والله قد عصمَ رسلَه من الوقوع في المعاصي قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وإبليسُ غيرُ معصومٍ لِما وقعَ فيه، فوجَبَ أن لا يكونَ من الملائكةِ

والقولُ الراجحُ: هو القولُ الثاني؛ أنَّ إبليسَ منَ الجنِّ وليسَ منَ الملائكةِ.

يقولُ ابنُ كثيرٍ: (إنَّ اللهَ تعالى لما أمرَ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ، دخلَ إبليسُ في خطابِهم لأنه وإنْ لم يكن من عُنصرِهم، إلا أنه كانَ قد تشبّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، فلهذا دخلَ في الخطابِ لهم، وذُمَّ في مخالفةِ الأمر)[1].

ويقولُ ابن تيمية رحمه الله: (والتحقيقُ: أنه -أيْ إبليسُ- كانَ منهم باعتبارِ صورتِهِ وليسَ منهم باعتبارِ أصلِه)[2].

• هذا العدوُّ المبينُ، ما هي الأسبابُ التي دفعتهُ لعداوةِ آدمَ وذريته؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمرِ بقية.

أعاذنا الله من شرِّ إبليسَ وحزبهِ

---

(١) [«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٨)].

(٢) [«مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٣٤٦)].

٢

أسبابُ عداوةِ إبليسَ لآدمَ وذريتهِ

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾ [الأعراف].

- قلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إنَّ إبليسَ هوَ إمامُ أئمةِ الكفرِ، حزبِ الشيطانِ الخاسرين.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء].

واللهُ عزّ وجلَّ بَشَّرَ الكافرينَ بالنارِ والعذابِ المقيم قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ [التوبة].

وهل أُعدَّتِ النارُ إلا للكافرين؟ قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

• وقلنا أيضاً: إنَّ إبليسَ من الجنِّ وليس من الملائكة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

• خلقَ اللهُ آدمَ بيده. قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥].

• ونفخَ فيه من روحه. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص].

• وعَلَّمَهُ الأسماءَ كلَّها. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١].

• وأسجدَ لهُ ملائكتَه كلَّهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر].

• وأسكنَه وزوجَه الجنة. قال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:١٩].

• وفي حديث الشفاعةِ يقولُ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ**

الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ، أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْـمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ...»[1] الحديث.

• بعد هذا التكريم من اللهِ عزَّ وجلَّ لآدمَ عليه السلام أعلنَ إبليسُ لعنهُ الله الحربَ على آدمَ وذريته.

فما هي الأسبابُ التي دفعت إبليسَ لإعلانِ الحربِ على آدمَ وذريتِه؟

السببُ الأولُ: الكِبْرُ

والدليلُ من كتاب رَبِّنا قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم(١٩٤)واللفظ له.

• ولما تكبر إبليسُ طَرَدَهُ اللهُ من جنتهِ، ومن رحمتهِ، ولعنه إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾ [الأعراف].

وقال تعالى لإبليسَ أيضاً: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف].

وقال تعالى لإبليس أيضاً: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص].

• ولما أيقن إبليس أنه طُرِدَ من رحمةِ الله ومن جنته، وحلت به لعنة الله إلى يوم القيامة دفعه ذلك مع ما فيه من كبرٍ إلى إعلان الحرب على آدمَ وذريته.

قال تعالى على لسان إبليس: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف].

وقال تعالى على لسان إبليسَ أيضاً: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص].

وقال تعالى أيضاً على لسانِ إبليسَ اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر].

• وقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ**

أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[1].

• فَبسببِ الكبرِ أعلنَ إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريته، وبسبب الكبر هلَكَ إبليسُ، ولذلك جاءَ الإسلامُ يحذِّرُ من الكبرِ، ويتوعَّدُ المتكبرين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»[2].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ**[3] **جَوَّاظٍ**[4] **مُسْتَكْبِرٍ**»[5].

وقال ﷺ: «**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْـجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْـجَبَّارُونَ وَالْـمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْـمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِـهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ**

(١) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨)، والحاكم (٧٦٧٢) واللفظ له، وأبو يعلى (١٣٩٩) ، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

(٣) العتل: الشديد، الجافي، الغليظ من الناس.

(٤) الجواظ: الجموع المنوع الذى يجمع المال من أى جهة، ويمنع صرفه فى سبيل الله.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦٠٧١)، ومسلم(٢٨٥٣).

أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»(1).

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر].

• والكبرُ كما أنه سببٌ لدخولِ النار فهو سبب للعذاب في الدنيا وسببٌ للذلِّ والهوان في أرض المحشر.

• **أما عذاب الدنيا:**

فها هو فرعُونُ وأمثالُه من المتكبرين يعذِبُهم اللهُ بتكبُّرِهم في الدنيا قبل الآخرة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري(٤٨٥٠)، ومسلم(٢٨٤٦)واللفظ له.

وقال تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهْوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وهذا الرجلُ الذي أَكَلَ بِشِمَالِهِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ له ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**» قَالَ الرجلُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ ﷺ: «**لاَ اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ، قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ(٢).

• أما الخزيُ والهوانُ الذي ينتظرُ المتكبرين في أرض المحشر يقول ﷺ: «**يُحْشَرُ الْـمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ** -أي النملُ الصغيرُ- **فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ؛ طِينَةَ الخَبَالِ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري(٥٧٨٩)، ومسلم(٢٠٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢١).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧)، وأحمد (٦٦٧٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٩١١)].

عبادَ الله! أتدرونَ ما هو الكبرُ، ومن همُ المتكبرونَ؟

قال ﷺ مُعَرِّفاً للكبرِ ومُبَيِّناً خَطرَهُ على صاحبِهِ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْـجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ**[1] **الْـحَقِّ وَغَمْطُ**[2] **النَّاسِ**»[3].

- فَبَطرُ الحقِّ: هو رَدُّه ودفعُهُ، وهذا الذي وقعَ فيه إبليسُ، عندما رفضَ أن يستجيبَ لأمرِ ربِّه، فإنَّ اللهَ هو الحقُّ ولا يأمرُ إلا بالحقِّ.

- وغَمْطُ الناسِ: هو احتقارُهم والتعالي والتكبرُ عليهم، وهذا الذي وقعَ فيه إبليسُ أيضاً عندما قالَ عن آدمَ: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢]. وقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ [الإسراء]. وقال: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٣٣﴾ [الحجر].

فاحذَرْ يا عبدَ الله أن تكونَ من المتكبرينَ فتهلِكَ، والعاقلُ مَنِ اتعظَ بغيره.

- فها هو إبليسُ تكبرَ فلعنهُ اللهُ وطرَدَهُ من رحمتِهِ وجنتِهِ وكان منَ الهالكين.
- وها هوَ فرعونُ تكبَّر بملكِهِ فأهلَكهُ اللهُ.
- وها هو هامانُ تكبَّر بوزارتِهِ فأهلَكهُ اللهُ.

(١) البطر: التكبر على الحق فلا يقبله.

(٢) الغمط: الاحتقار والاستهانة.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم(٩١).

• وها هو قارونُ تكبَّر بمالِه فأهلكهُ اللهُ.

• وها هوَ صاحبُ الجنتينِ تكبَّر على صاحبِهِ الفقيرِ فأهلكهُ اللهُ وأبادَ جنَّتَهُ.

• وها همْ عادٌ -قومُ هودٍ- تكبروا بقوتِهم فأهلكهُمُ اللهُ.

السببُ الثاني الذي دَفَعَ إبليسَ لإعلانِ الحربِ على آدمَ وذريتهِ هوَ: الحَسَدُ

لما خلقَ الله آدم عليه السلام بيده، ونفخَ فيه من روحِهِ، وأَسجَد له ملائكتَهُ، وعلَّمَهُ الأسماءَ كلَّها، وهذا تكريمٌ لآدمَ عليه السلام لم يشاركْهُ فيه أحدٌ، حَسَدَهُ إبليسُ لعنه الله فكانَ الحسدُ سبباً رئيسياً في إثارةِ نارِ الحقدِ والعداوةِ لآدمَ عليه السلام حيث قطعَ إبليسُ على نفسِهِ عهداً أن يُهينَ هذا الإنسانَ، وأنْ يُنْزِلَ من مكانتِهِ الساميةِ، ويَحُطَّ من قَدْرِهِ، وذلكَ بدعوتِه إلى كلِّ فاحشٍ ومنكرٍ من القولِ والفعلِ، وتزيينِ كلِّ باطلٍ وقبيحٍ، فيجعلُهُ تابعاً له في الدنيا بفعل الفواحشِ، وانتهاكِ النواهي، وعدمِ امتثالِ الأوامرِ، وفي الآخرةِ بمرافقته له -أي لإبليسَ- في النار والحرمانِ من الجنةِ التي أعدَّها اللهُ لآدمَ وذريته، ولقد صَرَّحَ إبليسُ بهذا السببِ الذي أثارَ نارَ الحقدِ والعداوةِ في نفسِه على آدمَ وذريته، لاسيما تكريمَهُ بسجودِ الملائكةِ له، وأخذَ عدوُّ الله يتوعَّدُ بنِي آدمَ بدعوتِهم إلى المعاصي وإلى فعل كلِّ قبيح.

• قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء].

• ولم يكتف إبليسُ بذلك، بل دَفَعهُ الحسَدُ إلى أنْ أقسَمَ بالله لَيَقْعُدَنَّ لهم على طرقِ الخيرِ كلِّها، ولَيُزَيِّنَنَّ لهمُ المعاصيَ، وليغوينّهم أجمعين.

قال تعالى على لسانِ إبليسَ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى أيضاً: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

• وها هوَ الحسدُ يدفَعُ إبليسَ إلى أن يسلُكَ كلَّ الطرقِ التي يُخرجُ بها آدمَ من الجنةَ، وجاءَه في صورة الناصح الأمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢١-٢٢].

فها هوَ الحسدُ قد دفَعَ إبليسَ إلى أن أخرجَ آدمَ من الجنة ولكنَّ آدمَ عليه السلام بعد أن عصى ربَّه تاب وأناب فتاب اللهُ عليه.

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه].

أما إبليسُ فطلبَ من ربِّه أن يُنظِرْهُ إلى يوم القيامةِ، لا ليتوبَ ولكنْ ليواصلَ الحربَ على آدمَ وذريته.

قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

فالحسدُ يدفعُ صاحبه إلى كلِّ شرٍّ، فكونوا على حذرٍ من هذا المرضِ الخطير الذي أصابَ الأممَ قبلنا، ودبَّ في أمتنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

• والحسدُ في ديننا نوعان: حسدٌ محمودٌ وحسَدٌ مذمومٌ

• فالحسَدُ المحمودُ: هو حَسَدُ الغبطةِ، وهو أن يتمنى الإنسانُ أن يكونَ عندَه مثلُ النعمةِ التي عندَ أخيهِ، وهذا لا بأسَ به، وهو قريبٌ من المنافسةِ، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين].

والتنافسُ يكونُ في أمور الآخرة، أما في أمور الدنيا فلا؛ لأنها حقيرةٌ، ولذلك يقولُ بعضُ السلفِ: (مَن نافسني في الآخرةِ نافسْتُهُ، ومن نافَسني في الدنيا ألقيتُها له).

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**لاَ حَسَدَ** -أي لا غبطةَ- **إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(١).

• أما الحسدُ المذمومُ: فهو أنْ يتمنى الحاسِدُ زوالَ النعمةِ من عندِ أخيهِ، وهذا من شرِّ الناسِ، ولذلك أمرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه أنْ نستعيذَ به من شرِّ هذا الإنسانِ. قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق].

• وهذا الحسَدُ المذمومُ مرضٌ خطيرٌ يدَمِّرُ الأممَ، لأنه يدفَعُ صاحبَه إلى سوءِ الظنِّ، وإلى التجسُّسِ، وإلى الغيبةِ والنميمةِ، وإلى التباغضِ والتدابرِ، وإلى القطيعةِ، ثم ينتهي بصاحبه إلى القتل، وما يحدُثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ من القتلِ سببُه الحَسَدُ، وقد أخبرَنا ﷺ أنّ هذا المرضَ هو داءُ الأممِ قبلَنا، وأنه سيُصيبُ هذهِ الأمَّةِ، فقال ﷺ: «**سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الأُمَمِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَا دَاءُ الأُمَمِ؟ قَالَ: «**الأَشَرُ، وَالْبَطَرُ، وَالتَّكَاثُرُ، وَالتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ الْبَغْضَاءُ وَالْـحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ وَهِيَ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٠١٦)، والحاكم (٧٣١١) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (٦٨٠)].

الْـحَالِقَةُ، لَيْسَت حَالِقَةَ الشَّعْرِ، لَكِنْ حَالِقَةَ الدِّينِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ لَكُمْ ذلك؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[(١)].

فالحسَدُ مرضٌ خطيرٌ يدفعُ صاحبَهُ إلى القتلِ.

- فها هوَ أحدُ ابْنَي آدمَ (قابيل) دفعَهُ الحسَدُ إلى قتلِ أخيهِ (هابِيل) قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

- وها هم إخوةُ يوسفَ عليه السلام دفعهمُ الحسدُ إلى أنْ يفكروا في التخلصِ من أخيهم ولو بالقتل. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٧)، والطيالسي (١٩٠)، والبزار (٢٢٣٢)، وأبو يعلى (٦٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٦٩٥)].

ولذلكَ حذَّرَ النبي ﷺ أمتَه من الحَسَدِ. فقال ﷺ: «**لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[1].

فها هوَ الحسَدُ، وهكذا يفعلُ بأهلِه، وهل طُرِدَ إبليسُ من الجنةِ ومن رحمةِ اللهِ إلا بسببِ الحسدِ.

• أعلنَ إبليسَ الحربَ على آدمَ وذريته بسبب الكبرِ والحسدِ الذي أصابَه، ونزلَ آدمُ وزوجُه وإبليسُ إلى هذه الأرضِ لحكمةٍ يريدُها اللهُ، لتبدأ المعركةُ بينهم على هذه الأرض.

قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة].

وبدأتِ المعركةُ، وإبليسُ يقودُ المعركةَ بنفسه، ويستخدمُ جميعَ الأساليب والأسلحةِ في هذه المعركة. فما هي الأساليبُ والأسلحةُ التي يستخدمُها إبليسُ في هذه المعركة؟

هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إن شاءَ الله تعالى إن كان في العمرِ بقية.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

٣

أساليبُ الشيطانِ في معركتهِ مع الإنسانِ

الأسلوبُ الأولُ: الإغواءُ

الأسلوب الثاني: التزيينُ في الأرضِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

• قلنا في الجمعةِ الماضية: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ كَرَّمَ آدمَ عليه السلام، فَخَلَقَهُ بيدِه، ونفخَ فيه من روحِه، وعلَّمهُ الأسماءَ كُلَّها، وأمرَ الملائكةَ أن يسجدوا له، وأسكنهُ الجنةَ فلما رأى إبليسُ هذا التكريمَ تكبَرَ وحسدَ آدم، فطُردَ من رحمةِ اللهِ ومن جنتهِ، وحَلَّتْ بهِ اللعنةُ إلى يومِ القيامةِ.

قال تعالى له: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال له أيضاً: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر].

فلما أيقنَ إبليسُ أنهُ طُردَ مِنْ رحمةِ اللهِ ومن جنتِه، وحَلَّتْ به اللعنةُ إلى يومِ القيامةِ، وَسْوَسَ لآدمَ، وأقسمَ لهُ ليُخْرِجَنَّهُ من الجنةِ.

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه].

فكانَ من نتيجةِ وسوسةِ إبليسَ أنْ أكَلَ آدمُ وحواءُ منَ الشجرةِ التي نهاهما الله عنها قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه].

فأوقَعَ إبليسُ آدمَ وحواءَ في الذنبِ والخطيئةِ، فكان من عاقبةِ هذا الذنبِ الناتجِ عنْ وسوسةِ إبليسَ العدوِّ المبين ما يلي:

أولاً: وقوعُهما في معصيةِ الله

قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه].

وفي حديث الشفاعةِ يقولُ آدمُ عليه السلام عندما يذهبُ إليه الناسُ في أرضِ المحشر ليشفع لهم «**إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ**»[1].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) واللفظ له.

ثانياً: معاتبةُ اللهِ لآدمَ وحواءَ على ذلكَ

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف].

ثالثاً: انكشافُ العوراتِ منهما

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٢].

ليعلمَ الجميعُ أنَّ التبرجَ والسفورَ والعُرْيَ من فعلِ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، قال تعالى محذِّراً بني آدمَ من كيدِ الشيطانِ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف:٢٧].

رابعاً: التعبُ والشقاءُ بخروجهما من الجنة

قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾ [طه].

• ولما سمعَ آدمُ وحواءُ نداءَ الله لهما، وما تضمنَه ذلكَ النداءُ من العتابِ والتوبيخِ على أكْلِهما منَ الشجرةِ المنهيِّ عنها، ندما ندماً شديداً، وتوَّجها إلى اللهِ تعالى معترفينَ بالخطيئةِ، تائبينَ من الذنبِ، طالبينَ المغفرةَ والرحمةَ منَ اللهِ الغفورِ الرحيم. فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف] فتابَ اللهُ عليهما.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه].

ولحكمةٍ يعلمُها اللهُ عزَّ وجلَّ أنزلَ آدمَ وحواءَ وإبليسَ إلى الأرضِ قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف].

وحتى لا يكونَ للناسِ من ذريةِ آدمَ على الله حُجةٌ، حَذَّرَهُمْ منْ عداوةِ إبليسَ لهم، وأرسلَ إليهمُ الرسلَ وأنزلَ عليهمُ الكتبَ، ليبينَ لهم السبيلَ الذي يوصلهمْ إلى رضاهُ والجنةِ.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

• وبدأتِ المعركةُ على هذهِ الأرضِ بينَ إبليسَ وآدمَ وذريتِه، وإبليسُ يقودُ المعركةَ بنفسه ليلاً ونهاراً دونَ كللٍ أو مللٍ قال رجلٌ للحسنِ البصريِّ: أينامُ إبليسُ؟ قال: لو نامَ لوجَدْنا راحةً[1].

(١) رواه أحمد في «الزهد» (١/ ٢٦٦).

• ويستخدمُ إبليسُ في معركتهِ مع بني آدمَ أساليبَ متنوعةً يدعو فيها حزبَهُ ليكونوا من أصحابِ السعيرِ ومن هذه الأساليبِ لتكونَ منها على حذَرٍ.

الأسلوبُ الأولُ: الإغواءُ

قال تعالى على لسانِ إبليسَ: فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ! لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(1).

وإغواءُ الشيطانِ لبني آدمَ هو إضلالُهم وصدُّهم عن كلِّ خيرٍ يوصِلهُمْ إلى رضا اللهِ والجنةِ، وهذا الإغواء يكونُ على مراتبَ:

المرتبةُ الأولى: يدعو الشيطانُ الإنسانَ إلى الكفرِ والشركِ قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

(1) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨)، والحاكم (٧٦٧٢) واللفظ له، وأبو يعلى (١٣٩٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

وقال ﷺ: «**يقولُ اللهُ عزّ وجل: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**[1]**، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ**[2] **عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[3].

فإذا كفرَ الإنسانُ وأشْرَكَ وارتدَّ عن دينِه، واستجابَ للشيطانِ، استراحَ إبليسُ واطمأنَّ؛ لأنه جَنَّد هذا الإنسانَ في حزبِه، وأصبحَ جندياً من جنودِه، فمنَ الإنس شياطينُ، ومن الجنِّ شياطينُ، فإذا لم يستطِعِ الشيطانُ أن ينقلَ الإنسانَ إلى الكفرِ دعاهُ إلى:

المرتبةُ الثانيةُ: يدعو الشيطانُ الإنسانَ إلى الابتداعِ في الدين، فالبدعةُ أحبُّ إلى إبليسَ منَ المعصيةِ؛ لأنَّ ضَررَها في نفسِ الدين، وهو ضررٌ متعدٍّ، وهو ذنبٌ لا يُتابُ منه، وهي مخالِفةٌ لدعوةِ الرسلِ، وهي بابٌ إلى الكفرِ والشركِ. واستدلَّ شيخُ الإسلام ابن تيميةَ رحمهُ الله على ذلكَ بحديثين:

الأولُ: حديثُ الرجلِ الذي كان يشربُ الخمرَ (وهذا هو العاصي) عن عمرَ ابنِ الخطابِ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ

(١) حنفاء كلهم: أي مسلمين.

(٢) فاجتالتهم عن دينهم: أي ذهبوا بهم وأزالوهم عن دينهم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه**»[1] -يعني: ما علمتُ إلا أنه يحبُّ اللهَ ورسوله-.

الثاني: حديثُ الرجلِ الذي اعترضَ على قِسْمَةِ النبيِّ ﷺ (وهذا هو المبتدع).

بينما رسولُ الله ﷺ يُقَسِّمُ مالاً على بعضِ الناسِ، قامَ رجلٌ غائرُ العينين، مشرفُ الوجنتين، ناشزُ الجبهةِ، كثُّ اللحيةِ، محلوقُ الرأسِ، مشمِّرُ الإزارِ، فاعترضَ على قسمةِ رسولِ الله ﷺ.

فقال ﷺ: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» وقَالَ: «**لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ**»[2].

فهذا الرجلُ الذي شربَ الخمرَ نهى رسولُ الله ﷺ عن لَعْنِهِ، وشهدَ له بصحةِ الاعتقادِ، وذلك نَصٌّ أنَّ المعصيةَ انحرافٌ في العملِ والجوارحِ، أما الرجلُ الذي اعترضَ على رسولِ الله ﷺ مع كثرةِ صيامِه وصلاتِه وقراءتِه، حتى أنَّ فيه علاماتٍ على كثرةِ السجودِ فأمَرَ الرسولُ ﷺ بقتلِ ذريتهِ على كثرةِ صلاتِهم وصيامِهم وقراءتِهم للقرآنِ وما همْ عليهِ منَ العبادةِ والزهادةِ، لكنهم مبتدعةٌ.

وهكذا يتضحُ ويظهرُ قُبْحُ البِدَعِ في الإسلامِ، وأنها أظلمُ منَ المعاصي؛ لأنَّ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

البدعَ زيغٌ في العقيدةِ، وانحرافٌ في التصورِ، وفسادٌ في الإيمانِ، بينما المعاصي انحرافٌ في عملِ الجوارحِ. فالمبتدعةُ كالخوارج والمرجئةِ والشيعةِ والمعتزلةِ وغيرِهم لا يتوبونَ منْ بدعتِهم بلْ يظنونَ أنهم يُحسنون صنعاً.

واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

فإنْ عَجَزَ الشيطانُ عنْ دعوةِ الإنسانِ إلى الكفرِ والشركِ والابتداعِ انتقلَ به إلى:

المرتبةُ الثالثةُ: دعوتُهُ إلى كبائر الذنوب، ويظهرُ ذلكَ مِنْ قوله تعالى محذّراً من خُطُواتِ الشيطان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

وكبائرُ الذنوبِ تُضْعِفُ الإيمانَ، فالإيمانُ: قولٌ باللسانِ، واعتقادٌ في القلبِ، وعملٌ بالجوارحِ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصية ولذلك قال ﷺ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْـخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(١).

فإن عجزَ الشيطانُ عنْ دعوةِ الإنسانِ إلى كبائرِ الذنوبِ انتقلَ به إلى:

المرتبةُ الرابعةُ: دعوتُهُ إلى صغائرِ الذنوب، وصغائرُ الذنوبِ يستهينُ بها الإنسانُ ولكنها إذا اجتَمَعَتْ عليه أهلكتْهُ. قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**»(٢).

فإن عَجَزَ الشيطانُ عن دعوةِ الإنسانِ إلى صغائرِ الذنوبِ انتقلَ به إلى:

المرتبةُ الخامسةُ: دعوتُهُ إلى المباحات.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٢٣)، وفي «الصغير» (٩٠٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٧١)].

والمباحاتُ هي التي لا ثوابَ فيها ولا عقابَ، ولكنها تُضَيِّعُ الأجرَ على صاحبها، فلو قَضى هذه المباحاتِ في طاعةِ الله لأُجِرَ عليها، وسيندم المضيع لهذه الأوقات يوم القيامة في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندَمُ ويظهرُ ذلكَ من قولِه ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(١).

وقال ﷺ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَفَرَاغَك قَبْلَ شُغْلِكَ، وَغِنَاك قَبْلَ فَقْرِكَ، وَشَبَابَك قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِك**»(٢).

وهكذا ينتقلُ الشيطانُ في إغوائهِ للإنسان من مرتبةٍ إلى مرتبةٍ، فكونوا يا عبادَ الله! من الشيطانِ الرجيمِ على حذرٍ.

الأسلوبُ الثاني: التَّزْيينُ في الأرض

لما طَرَدَ اللهُ إبليسَ من جنتهِ ورحمتهِ ولعنهُ، أقسمَ إبليسُ ليُزَيِّنَنَّ لبني آدمَ في الأرض قال تعالى: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النحل]. وقال تعالى على لسان الهدهد:

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٢).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٤٨)، والحاكم (٧٨٤٦) ، والبيهقي قي «الشعب» (٩٧٦٨)، [«صحيح الجامع» (١٠٧٧)].

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤﴾ [النمل].

• ومن تزيين الشيطانِ للإنسانِ في الأرضِ أنه يُسَمِّي الأشياءَ بغير اسمِها الشرعيِّ، ومنَ الأمثلةِ على ذلك:

أولاً: أنه يسمي المعاصيَ بأسماءٍ محبَّبَةٍ إلى الناسِ ويُلبِّسُ عليهم فيقترفونَها، ومن ذلك:

١- الشجرةُ التي حرَّمَها اللهُ على آدمَ سماها لهُ شجرةَ الخلدِ فأكلَ منها آدمُ. قال تعالى على لسانِ الشيطان: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠﴾ [طه].

٢- الرِّشْوَةُ سماها الشيطانُ هديةً فقبِلَها كثيرٌ من الناسِ، مع أنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشِي**»(١).

واستعملَ رسولُ الله ﷺ رجلاً على الصدقةِ، فلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْـمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي! أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعَرُ**»

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ٢١٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٢١١)].

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ إِبْطَيْهِ[1] ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» مَرَّتَيْنِ[2].

فالهديةُ التي تُقَدَّمُ لكَ أيها الموظفُ بسببِ عملِكَ فهي رِشوةٌ فانتبه!

٣- الربا سمَّاهُ شياطينُ الإنسِ والجنِّ بالفائدةِ والرِّبحِ، فدخَلَ ذلك على كثيرٍ منَ الناسِ فأكلوا الربا. والله عزَّ وجلَّ يعلنُ الحربَ على أكَلَةِ الربا. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

والنبيُّ ﷺ يقول: «**دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً**»[3].

وقال ﷺ: «**الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْـمُسْلِمِ**»[4].

ومع ذلكَ أكَلَ كثيرٌ منَ المسلمينَ الربا باسمِ الفائدةِ والربح.

٤- التبرجُ سماه شياطينُ الإنسِ والجنِّ حضارةً، حريةً شخصيةً، والتبرجُ حرامٌ

---

(١) عُفرتي إبطيه: أي بياض إبطيه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٢٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧٥٩) واللفظ له، والبزار (٣٣٨١)، والدارقطني (٢٨٤٣)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٥)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي قي «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥١)].

بنصِّ الكتابِ والسنة.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْـجَمَاعَةَ، وَعَصَى إِمَامَهُ، وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا، فَتبَرَّجَتْ بَعْدَهُ، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْهُمْ**»[1]. وقوله: لا تسأل عنهم يعني: لأنهم من الهالكين.

وقال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ**[2] **الْـمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْـجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»[3].

بأبي هو وأمي ﷺ فقدْ رأينا منَ الظلمةِ مَنْ يضربُ الناسَ بسياطٍ كأذنابِ البقرِ، وبأسلحةٍ قاتلةٍ، بل ومنهم مَنْ يُهَدِّدُ شعبَهُ بضربهم بالأسلحةِ الكيماوية التي تَحْرِقُ الأخضرَ واليابسَ، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

٥- الخمرُ سمَّاها شياطينُ الإنسِ والجنِّ بالمشروباتِ الروحيةِ، فشربَها الكثيرُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٩)،والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، والبزار (٣٧٤٩)، والحاكم (٤١١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٨٧)].

(٢) البخت: واحدتها البختية وهي الناقة طويلة العنق ذات السنامين.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٢٨).

منَ الناس، مع أنَّ الخمرَ أمُّ الخبائث، وهي حرامٌ بالكتاب والسنة، وشاربُها وبائعُها ومَنِ اقتربَ منها ملعونٌ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْـخَمْرَ وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْـمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**»[1].

٦- المظاهراتُ، الإضراباتُ، الديمقراطيةُ، الخروجُ على وليِّ الأمرِ المسلمِ سماها شياطينُ الإنسِ والجنِّ: إصلاحاً، مكافحةَ الفسادَ، حريةً، أمراً بالمعروفِ ونهياً عن المنكرِ، رفعاً للظلم عن المظلومين، الربيع العربي، وأفْتَوْا لهم أنَّ مَنْ ماتَ في هذه المظاهراتِ فهو شهيدٌ فانخدعَ بذلك الكثيرُ منَ الشبابِ في بلادِ المسلمينَ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ: «**عَلَى الْـمَرْءِ الْـمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٦٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧٨١٦) بلفظ قريب، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٢) بزيادة: «وَآكِلَ ثَمَنِهَا»، [«صحيح الترغيب» (٢٣٥٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ له.

وقال ﷺ: «**أَلاَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلاَ يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[2].

فكلُّ ما يحدُثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ من الفوضى والقتلِ من تزيين شياطينِ الإنسِ والجنِّ: ﴿**يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام:١١٢].

فاستيقظوا من نومِكم، وانتبهوا من غفلتِكم يا أمةَ الإسلام! قبلَ فواتِ الأوان.

ثانياً: سمَّى الشيطانُ الطاعاتِ بأسماءٍ منفرةٍ، فابتعدَ عنها الناسُ وتركوها وزَهِدوا فيها ومن ذلك:

١- سمَّى الشيطانُ الحجابَ الشرعيَّ الذي فرضَه اللهُ تخلفاً ورجعيةً واعتداءً على حقِّ المرأة، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الأحزاب].

٢- وسمَّى الشيطانُ التمسُّكَ بالكتابِ والسنةِ تزمُّتاً وتعصُّباً وتشدداً واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لرسولِه ﷺ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى لرسوله ﷺ أيضاً: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى لرسوله ﷺ أيضاً: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ].

وقال ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(١).

٣- وسمّى الشيطانُ المطالبةَ بإقامةِ حكمِ اللهِ على القاتلِ والسارقِ والزاني

---

(١) **صحيح**: رواه البزار (٨٩٩٣)، والدارقطني (٤٦٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤) والحاكم (٣١٩)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

وشاربِ الخمرِ اعتداءً على حقوقِ الإنسانِ. والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة].

٤- وسمَّى الشيطانُ الجهادَ في سبيلِ الله لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا إرهاباً، في حين أنه سمَّى الإرهابَ وقتلَ الأبرياءِ عندَ بعضِ الفرقِ الضالةِ كالخوارجِ جهاداً.

٥- وسمَّى الشيطانُ الأنبياءَ والعلماءَ والدعاةَ المخلصين بأسماءٍ منفرةٍ كالعملاءِ والكذبَةِ والسَّحَرة والكَهنةِ وغيرها، فالشيطانُ أوحى إلى أوليائِه من الكفارِ من قومِ عادٍ أن يقولوا لنبيهم هودٍ عليه السلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦﴾ [الأعراف].

والشيطانُ هو الذي أوحى إلى أوليائِه من كفارِ مَدْيَنَ أن يقولوا للناس: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾ [الأعراف].

والشيطانُ هو الذي أوحى إلى فرعونَ أنْ يقول: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ٢٦﴾ [غافر].

وقال أيضاً عن موسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧﴾ [الشعراء].

والشيطانُ هو الذي أوحى إلى أوليائه من كفارِ مكةَ أن يقولوا عن رسولِ الله ﷺ: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان].

وأوحى إليهم أيضاً أن يقولوا لرسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر].

• فالشيطان يا عبادَ الله عدوٌ مبينٌ، يستخدمُ أساليبَ متنوعةً في معركتِهِ مع بني آدمَ منها: الإغواءُ، والتزيينُ في الأرضِ وقد تكلمنا عنهما.

فما هي الأساليبُ الأخرى التي يستخدِمُها الشيطانُ في معركتِه مع بني آدم؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ الله تعالى إن كان في العمرِ بقيةٌ.

٤

أساليبُ الشيطانِ في معركتِه معَ الإنسانِ

الأسلوبُ الثالثُ: الصدُّ عن سبيل اللهِ

الأسلوبُ الرابعُ: الإضلالُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور].

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

• قلنا في الجمعة الماضية: إنَّ الشيطانَ يقودُ المعركةَ معَ بني آدمَ بنفسهِ ويستخدمُ أساليبَ متنوعةً منها:

الأسلوبُ الأولُ: الإغواءُ

قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

الأسلوبُ الثاني: التزيينُ في الأرضِ

قال تعالى على لسانِ الشيطانِ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

ويُزينُ الشيطانُ لبني آدمَ في الأرض بطريقتين:

الطريقةُ الأولى: أنه يُسمي المعاصيَ بأسماءٍ محببةٍ إلى الناسِ فيقترفونها.

الطريقةُ الثانيةُ: أنه يسمي الطاعاتِ بأسماءٍ منفرةٍ للناس فيبتعدوا عنها، وقد تكلمنا عن هذين الأسلوبين في الجمعةِ الماضيةِ.

• ومن أساليبِ الشيطانِ أيضاً في معركته مع بني آدم:

الأسلوبُ الثالثُ: الصدُّ عن سبيلِ اللهِ

قال تعالى على لسان الشيطانِ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

الشيطانُ عدوٌ مبين أخذَ على نفسه عهداً أن يُزَيِّنَ لبني آدمَ في الأرض ليُهْلِكَهم، وكذلك أخذَ على نفسهِ عهداً أن يَصُدَّهم عن الحقِّ الذي جاءهم من عندِ اللهِ، وذلك بقعودِه لهم على الصراطِ المستقيمِ؛ طريق الحقِّ وسبيلِ النجاةِ فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقولُه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي: من قِبَلِ آخرتِهم، فأشككَهم فيها، وأخبرَهم أنه لا بعثَ ولا جنةَ ولا نارَ.

وقولهُ: ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أي: مِنْ قِبلِ دنياهُم، فأزَيِّنها لهم لينشغلوا بها عن طاعةِ الله.

وقولُه: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: من قِبلِ حسناتهم فأُبَطِّأَهم عنها، وأُثَقِّلَها عليهم.

وقولُه: ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾أي: من قِبلِ المعاصي والذنوب فأدعُوَهم إليها وآمُرَهم بها.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ولم يقلْ من فوقِهم؛ لأنه عَلِمَ أنَّ اللهَ مِنْ فوقِهم).

وقال قتادةُ: (أتاكَ الشيطانُ يا ابنَ آدمَ مِنْ كُلِّ وجهٍ غيرَ أنه لمْ يأتِكَ من فوقِكَ، لم يستطعْ أن يحولَ بينَكَ وبينَ رحمةِ الله).

وقال ابنُ القيمِ رحمه الله: (السبلُ التي يسلكُها الإنسانُ أربعةٌ لا غيرَ، فإنه تارةً يأخذُ عن جهةِ يمينِه، وتارةً عن شمالِه، وتارةً أمامه، وتارةً يرجِعُ خلفه، فأيُّ سبيلٍ سلكها مِنْ هذه السبلِ وجدَ الشيطانَ عليها رصداً له، فإنْ سلكَها في طاعةٍ وجدَهُ عليها يُثَبِّطُهُ عنها ويَقْطَعُهُ، أو يُعَوِّقُه ويُبَطِّئُه، وإنْ سَلَكها لمعصيةٍ وجدَهُ عليها حاملاً له وخادماً ومعيناً)[1].

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ١٠٣، ١٠٤).

فالشيطانُ قَعَدَ لابنِ آدمَ على جميعِ طرقِ الخيرِ والشر، فالخيرُ يَصُدُّهم عنه، والشَّرُّ يُحَبِّبُهُ لهم.

• قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ، وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ -أي تَلَفُ- النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**»(١).

• عن ابن مسعودٍ قال: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ**﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية)(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي(٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣)، وابن حبان (٤٥٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٤١)، [«صحيح الترغيب» (١٢٩٩)].

(٢) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، وأحمد (١/ ٤٣٥)، والطيالسي (٢٤١)، والدارمي (٢٠٢)، [«المشكاة» (٢٧)].

ولذلكَ عَلَّمنا النبيُّ ﷺ الاستعاذةَ من تَسَلُّطِ الشيطانِ علينا من جهاتهِ كُلِّها.

يقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: لمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(1).

• وقد حَذَّرَنا اللهُ عَزَّ وجلّ من أسلوبِ الشيطانِ هذا -وهو الصدُّ عن سبيلِ الله- فقال تعالى: ﴿**وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ** ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف]. لأنه إذا صدَّكَ الشيطانُ عن سبيل الله ضللت ضلالاً مبيناً.

قال تعالى على لسانِ الشيطان: ﴿**لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا** ﴿١١٨﴾ **وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ**﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

وقد أضلَّ الشيطانُ خلقاً كثيراً وصدَّهم عن السبيلِ الذي يُوصِلُهُمْ إلى رضا الله والجنةِ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ** ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

وقد أخبرَنا اللهُ عَزَّ وجلَّ في كتابهِ عن هؤلاءِ الذين أضلَّهمُ الشيطانُ وصَدَّهم عن السبيل ومنهم:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥)، [«صحيح الأدب المفرد» (١٢٠٠)].

أولاً: عادٌ وثمود

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت].

أتدرون من الذي منعَهُمْ منَ الاستجابةِ لرسُلِ الله، وصَدَّهُم عن السبيلِ؟ إنه الشيطانُ الذي قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف]. قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت].

ثانياً: قومُ سبأ

قال تعالى على لسانِ الهدهدِ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل:٢٢-٢٤].

أتدرون منِ الذي زينَ لهمْ هذا الكفرَ وصدهم عن السبيل؟ إنه الشيطانُ قال

تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل].

ثالثاً: المعرضُ عن ذكرِ الله المنسلخُ عن آياتِ الله

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

رابعاً: المنافقونَ

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

خامساً: فرعونُ

قال تعالى عن فرعونَ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

فرعونُ الذي قالَ لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].
وقال لهم أيضاً: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]. وقال لهم أيضاً: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف].

وقال فرعون لوزيره السيء: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦-٣٧].

أتدرونَ مَنِ الذي زَيَّنَ لفرعونَ هذا الكفرَ وصدَّهُ عن السبيل؟ إنه الشيطانُ ولذلك قالَ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

سادساً: الذين يَشْرَبونَ الخمرَ ويلعبونَ الميسرَ (القمار)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

فيا ابن آدم! انتبه، فالذي يصدُّكَ عن الصلاةِ هوَ الشيطانُ، والذي يصدُّكَ عن الصلاةِ في المسجد في جماعةٍ هو الشيطانُ، والذي يوسوسُ لكَ في صلاتِك هو الشيطانُ، والذي يمنعُكَ مِنْ قراءةِ القرآنِ ومِنْ ذكرِ الله هو الشيطانُ، والذي يمنعُكَ من مجالسِ العلمِ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ هو الشيطانُ، والذي يمنعُك منَ الصدقةِ وإخراجِ الزكاةِ هو الشيطانُ، والذي يمنعُك من كُلِّ خيرٍ يوصلُكَ إلى رضَا الله والجنةِ هو الشيطانُ، والذي يدعوكَ إلى الكفرِ والشرك لترتدَّ عن دينِكَ هو الشيطانُ، والذي يُزَيِّنُ لكَ البدعَ هو الشيطانُ، والذي يدعوكَ إلى كبائرِ الذنوبِ هو الشيطانُ، والذي يدعوك إلى كُلِّ شَرٍّ يوصلك إلى غضبِ الله والنارِ هو الشيطانُ فهو عدوُّك المبين.

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

والله عزَّ وجلّ يقول أيضاً: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة].

الأسلوبُ الرابعُ: الإضلالُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ

فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى في حقِّ الذينَ يريدونَ أن يتحاكموا إلى الطاغوت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء].

الشيطانُ يدعو بني آدمَ إلى الضلالِ خطوةً خطوةً، وأحياناً يدخلُ لهم في صورةِ الناصحِ الأمين، وأحياناً يُقْسِمُ لهم أنه لهم من الناصحين كما فعلَ مع أبينا آدم، قال تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢١-٢٢].

وانطلاقاً من قوله ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

والأحاديثُ الإسرائيليةُ تُذْكَرُ للاستشهادِ، لا للاعتضادِ، وهي على ثلاثةِ أقسامٍ:

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٦١).

أحدُها: ما عَلِمْنا صحتَه مما بأيدينا مما يُشْهَدُ له بالصدقِ، فذاكَ صحيحٌ.

والثاني: ما علمنا كَذِبَهُ بما عندنا مما يخالفُه.

والثالث: ما هو مسكوتٌ عنه لا هو مِنْ هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمنُ به ولا نُكَذِّبُه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدم[1].

وهذه قصةٌ وقعَتْ في بني إسرائيلَ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ تُبَيِّن كيفَ يستدرجُ الشيطانُ الإنسانَ إلى المعصيةِ خطوةً خطوةً.

يقولُ وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: (أنَّ عابداً كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهلِ زمانه، وكان في زمانه ثلاثةُ أخوةٍ لهم أختٌ، وكانت بكراً ليس لهم أختٌ غيرُها، فخرجَ البَعْثُ -الغزو- على ثلاثتهم، فلم يَدْروا عند مَنْ يُخَلِّفونَ أختَهم، ولا مَنْ يأمنونَ عليها، ولا عندَ من يضعونها، قالَ: فأجمع رأيُهم على أنْ يُخَلِّفوها عند عابدٍ مِنْ بني إسرائيلَ، وكان ثقةً في أنفسهم، فَأَتَوْهُ فسألوه أن يُخَلِّفوها عندَه، فتكونَ في كنفِه وجِوارِه إلى أن يرجعوا مِنْ غَزاتهم، فأبى ذلكَ عليهم، وتعوَّذَ باللهِ عز وجل منهم ومِنْ أختِهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم. فقال: أنزِلوها في بيتٍ حِذاءَ صومعتي، قال: فأنْزَلوها في ذلكَ البيتِ، ثم انطلقوا وتركوها، فمكثَتْ في جوارِ ذلكَ العابدِ زماناً ينزلُ إليها بالطعامِ من صومعته فيضعُه عند بابِ الصومعةِ، ثم يغلقُ بابَه ويصعدُ إلى الصومعةِ، ثم يأمرُها فتخرُجَ من بيتِها، فتأخذَ ما وُضِعَ لها

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦).

من الطعامِ، قال: فتلطَّفَ لهُ الشيطانُ فلم يَزَلْ يُرَغِّبُه في الخيرِ، ويُعْظِمُ عليه خروجَ الجاريةِ من بيتِها نهاراً، ويُخَوِّفُه أن يراها أحدٌ فَيُعَلِّقَها، فلو مَشَيْتَ بطعامِها حتى تضعَهُ على بابِ بيتِها كانَ أعظمَ أجراً، قال: فلم يَزْل به حتى مشى إليها بطعامِها، ووضعَه على باب بيتها، ولم يُكَلِّمْها، قال: فلبثَ على هذه الحالةِ زماناً، ثم جاءَه إبليسُ فَرَغَّبَه في الخيرِ والأجرِ وحَضَّهُ عليه، وقالَ لو كنتَ تمشي إليها بطعامِها حتى تضَعَهُ في بيتها كان أعظمَ لأجرك، قال: فلم يَزَلْ به حتى مشى إليها بالطعامِ، ثم وضعَهُ في بيتها، فلبثَ على هذه الحالةِ زماناً. ثم جاءَه إبليسُ فَرَغَّبَهُ في الخيرِ وحَضَّهُ عليه، فقالَ: لو كنتَ تُكَلِّمها وتحدِّثَها فتأنسَ بحدِيثك، فإنها قد استوْحَشَتْ وحشةً شديدةً، فلم يَزَلْ به حتى حَدَّثها زماناً يَطَّلِعُ إليها مِنْ فوقِ صومعته، ثم أتاهُ إبليسُ بعدَ ذلك، فقال: لو كنت تنزلُ إليها فتقعدَ على بابِ صومعتِك وتحدِّثَها، وتقعدَ هي على بابِ بيتها فتحدِّثك كان آنسَ لها، فلم يزلْ به حتى أنزلَه وأجلَسَهُ على بابِ صومعته يُحَدِّثُها وتُحَدِّثُه، وتخرجُ الجاريةُ من بيتها حتى تقعدَ على بابِ بيتها. فلبثا يتحدثان، ثم جاءَهُ إبليسُ فَرَغَّبهُ في الأجرِ والثوابِ فيما يصنعُ بها، وقال: لو خَرَجْتَ من بابِ صومعتِك ثم جَلَسْتَ قريباً من بيتِها فَحَدَّثْتَها كان آنسَ لها ، فلم يزل به حتى فعل، فلبثا زماناً على ذلك، ثم جاءَهُ إبليسُ فقالَ: لو دخلتَ البيتَ معَها فَحَدَّثْتَها ولم تتركها تُبْرِزُ وجَهها لأحد كانَ أحسنَ بك، فلم يزل به حتى دخل البيتَ فجعل يحدِّثها نهارَها كُلَّه، فإذا مضى النهارُ صَعِدَ صومعَتَه ، ثم أتاهُ إبليسُ بعدَ ذلكَ فلم يزلْ يُزَيِّنها له حتى ضربَ العابدُ على فَخِذِها وقَبَّلَها، فلم يزل به إبليسُ يُحَسِّنها في عينه ويُسَوِّلُ له حتى وقعَ

عليها، فأحبلَها فولَدَتْ له غلاماً، فجاءَه إبليسُ فقالَ: أرأيتَ إن جاءَ إخوةُ الجاريةِ وقد وَلَدَتْ منكَ كيف تصنعُ؟ لا آمنُ عليكَ أن تفتضحَ أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبَحْهُ وادفِنْه فإنها ستكتمُ ذلكَ عليك مخافةَ إخوتِها أن يطلعوا على ما صنعتَ بها ففعَلَ، فقال له: أتُراها تكتُمُ إخوتَها ما صنعتَ بها وقتلْتَ ابنَها، خُذْها واذبَحْها وادفِنْها معَ ابنها، فلم يَزَلْ به حتى ذبَحَها وألقاها في الحفرةِ معَ ابنها، وأطبقَ عليهما صخرةً عظيمةً وسَوَّى عليهما التراب، وصعدَ إلى صومعتِه يتعبدُ فيها، فمكثَ بذلك ما شاءَ اللهُ أن يمكثَ حتى أقبلَ إخوتُها منَ الغزو، فجاؤوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحَّمَ عليها وَبَكَاها، وقال: كانَتْ خيرَ امرأةٍ، وهذا قبرُها، فانظروا إليه، فأتى إخوتُها القبرَ، فَبَكَوْا أخْتَهم وتَرَحَّموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً، ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جنَّ عليهمُ الليلُ وأخذوا مضاجِعَهم، جاءهمُ الشيطانُ في النومِ على صورةِ رجلٍ مسافرٍ، فبدأ بأكبَرِهم فسأله عن أختِهم، فأخبره بقولِ العابدِ وموتِها وتَرحُّمِهِ عليها، وكيفَ أراهم موضعَ قبرِها فَأَكَذَبهُ الشيطانُ وقال: لم يَصْدُقْكُمْ أمْرَ أختِكم، إنه قَدْ أحبَلَ أختكم وَوَلَدَتْ منه غلاماً فذبحَه وذبحَها معه فَزَعاً منكم، وألقاها في حُفَيْرَةٍ احتَفَرها خلفَ بابِ البيتِ الذي كانت فيه عن يمينِ مَنْ دَخَله، فانْطَلِقوا فادخلوا البيتَ الذي كانت فيه عن يمينِ مَنْ دخله فإنكم ستجدونَها كما أخبرتُكم هناكَ، وأتى الأوسطَ في منامه فقالَ مثلَ ذلك، ثم أتى أصغرَهم فقالَ له مثلَ ذلك، فلما استيقظَ القومُ أصبحوا متعجبِّين مما رأى كلُّ واحدٍ منهم، فأقبلَ بعضهم على بعضٍ يقولُ كُلُّ واحدٍ منهم: لقد رأيتُ الليلةَ عجباً، فأخبرَ بعضُهم بعضاً بما

رأى، فقال أكبَرُهم: هذا حُلْمٌ ليسَ بشيءٍ فامْضوا بنا ودَعُوا هذا عنكم، قال أصغرُهم: واللهِ لا أمضي حتى آتيَ إلى هذا المكانِ فأنظرَ فيه، قال: فانطلقوا جميعاً حتى أَتَوُا البيتَ الذي كانت فيه أختُهم، ففتحوا البابَ وبحثوا الموضعَ الذي وُصِفَ لهم في منامِهم فوجدوا أختَهم وابنَها مذبوحَين في الحُفَيْرَة كما قيلَ لهم، فسألوا عنها العابدَ فصدَّقَ قولَ إبليسَ فيما صنعَ بهما، فاستَعْدَوْا عليه مَلِكَهُم فَأُنْزِلَ من صومعتِه وقُدّمَ لِيُصْلَبَ، فلما أوثقوه على الخشبةِ أتاهُ الشيطانُ فقال له: قد علمتَ أني أنا صاحبُك الذي فتنتُك بالمرأةِ حتى وقعت عليها وذَبَحْتَها وابنَها، فإنْ أنتَ أطعتَني اليومَ، وكَفَرْتَ باللهِ الذي خلقَكَ وصورّك خَلَّصْتُكَ مما أنتَ فيه، قال: فكفرَ العابدُ، فلما كفرَ باللهِ تعالى، خَلّى الشيطانُ بينَه وبينَ أصحابه فصلبوه[1].

وصَدَقَ اللهُ العظيمُ الذي يقولُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر:١٦].

• هذه هي أساليبُ الشيطانِ في معركتِه معَ بني آدمَ: إغواءٌ، تزيينٌ في الأرضِ، صدٌّ عن سبيلِ اللهِ، إضلالٌ .. فكن منها على حذر.

أما مداخلُ الشيطانِ التي يدخلُ منْ خلالها إلى الإنسانِ فهذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمر بقية.

(١) ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٩) .

٥

مداخلُ الشيطانِ على الإنسان

المدخلُ الأول: الجهلُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر].

ويقولُ سبحانَه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج].

• لَمَّا طَرَدَ اللهُ إبليسَ من رحمتِهِ ومن جنتِه، ولعنَهُ، أعلنَ إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ فقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٢﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص].

وقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

﴿خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

وإبليسُ يقودُ المعركةَ بنفسِه، ويستخدمُ فيها أساليبَ متنوعةً كالإغواءِ، والتزيين في الأرضِ، والصدِّ عن سبيلِ الله، ولم يكتفِ بذلك بل قالَ: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

وحتى يتمكنَ الشيطانُ منْ إضلالِ بني آدمَ فهو يدخلُ على الإنسانِ من جميعِ المداخلِ، فتارةً يدخلُ عليه مِنْ مدخَلِ الغضبِ، وتارةً يدخلُ عليه من مدخلِ الجهلِ، وتارةً يدخُلُ عليه من مدخَلِ العُجْبِ، وتارةً يدخلُ عليه من مدخلِ الحرصِ على الدنيا وطولِ الأملِ وغيرِ ذلك مِنَ المداخلِ التي سنتكلمُ عنها إن شاء الله تعالى.

ابنَ آدمَ! أتدري ما هي المداخلُ التي يدخلُ منها الشيطانُ إليك لِيُهلكَكَ ولِتكونَ معهُ في حزبِهِ الخاسرِ؟

الجواب:

المدخلُ الأول: الجهلُ

وهو مدخلٌ عظيمٌ من مداخلِ الشيطانِ، ولا نبالغُ إذا قلنا بأنَّ كُلَّ مداخلِ الشيطانِ منه تبدأُ، وعليهِ تعتمدُ، وبه تَقْوَى؛ لأنَّ الجاهلَ لا يعرفُ مداخلَ الشيطانِ فيسدَّها، ولا مكائِدَهُ فيُبطِلَها، ولا شِباكَه فيتجنَّبَها. فيجتذبُه الشيطانُ بسهولةٍ، ويتغلبُ عليه بأدنى حيلةٍ.

كما أنَّ الجاهلَ لا يعرفُ الخيرَ منَ الشَّرِّ، ولا السنةَ من البدعةِ، فربما أوقعَهُ في الشَّرِّ وهوَ يحسَبُ أنه خيرٌ، وربما أوقعَهُ في البدعةِ وهو يظنُّها سنةً، وبهذا يكونُ منَ الخاسرين.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٠)﴾ [الأعراف].

والجهلُ يطمسُ القلبَ ويُعمي البصيرةَ، ومن هنا يكونُ الجاهلُ للشيطان هدفاً فيوجِّهُ إليه سهامَ الشُّبُهاتِ وسمومَ الشهواتِ فيُردِيه قتيلَ الهوى، أسيرَ الشهوةِ، فإذا وَصَلَ إلى تلكَ الغايةِ اتخذه الشيطانُ جندياً ينشرُ بهِ الفسادَ في الأرضِ، ويصدُّ بهِ الناسَ عن الحقِّ، وبهذا يصيرُ مِنْ حزبِ الشيطان الخاسرِ قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [المجادلة].

- ومن مداخل الشيطان على الجاهل

أولاً: يَمْنَعُهُ مِنْ طَلَبِ العلمِ الشرعيِّ وحضورِ مجالسِ العلمِ

وذلك ليحرِمَهُ من فضلِ طلبِ العلمِ، وفضلِ مجالسِ العلمِ.

• ومن فضائلِ العلمِ المحرومِ منها الجاهلُ

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: « **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ العِلْمِ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الأَرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** »[(١)].

• ومن فضائل مجالسِ العلمِ المحرومِ منها الجاهلُ.

قال ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[(٢)].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) واللفظ له ، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٧٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

فالشيطانُ جعلَ كثيراً من بني آدمَ علماءَ في الدنيا، جهلاءَ بدينهم ليفعلَ بهم ما يشاءُ.

ثانياً: يجعلُهُ يُفْتي بغيرِ علمٍ -أي: يقولُ على اللهِ وفي دينِ اللهِ بغيرِ علمٍ- والفتوى بغير علمٍ حرام

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

والذي يأمر بالقول على الله بغير علمٍ الشيطان، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

فالشيطانُ هو الذي يأمرُ الإنسانَ أنْ يقولَ على اللهِ ما لا يعلمُ، ويُفتي في دينِ اللهِ بغيرِ علمٍ، وإذا أفتى الإنسانُ بغير علم قتلَ نفسَه، وقتل غيرَه، ودمَّرَ مجتمعَهُ.

• أما الدليلُ على أنَّ الذي يُفتي بغيرِ علمٍ يقتلُ نفسَه، قال ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ** -لا علمَ عندَه- **فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً**... الحديث»[1]. الحديث.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) واللفظ له.

الشاهدُ أنَّ الشيطانَ جعلَ هذا الراهبَ يعبدُ بغيرِ علمٍ ويُفْتى بغيرِ علم فكانتِ النتيجةُ أنْ أَغلَقَ بابَ التوبةِ أمامَ هذا الرجلِ، فتَسبب في قتلِ نفسِهِ.

• وأما الدليلُ على أنَّ الذي يُفتي بغيرِ علمٍ يقتلُ غيرَه:

عن جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً؛ وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ. فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَّا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ**[(١)] **السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ...**»[(٢)].

فتأمَّلوا يا عبادَ الله! كيفَ قال ﷺ: «**قَتَلُوهُ قتلَهُمُ اللهُ**» لمن تعجَّلَ في فتوى من فتاوى الطهارةِ فكانت سبباً في قتلِ رجلٍ! فكيفَ بمن تعجَّلَ في فتوى أَدَّتْ إلى مقتلِ العَشراتِ، أو المئاتِ، أو الألوفِ، أو جرّتْ دماراً وهلاكاً للأمةِ إلى سنين طويلةٍ؟!

ورسولُنا ﷺ يقول: «**قَتْلُ الْـمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا**»[(٣)].

---

(١) العي: الجهل.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٣٦)، والدارقطني في «سننه» (١/ ٣٥٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٨)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٢)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه النسائي (٣٩٩٠)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٥٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٠)].

وقال ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ**»[1].

فالذي يحدثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ منَ القتلِ؛ يقتلُ بعضُهم بعضاً إنما هو بسببِ الفتوى بغيرِ علمٍ، والذي يدفعُ الإنسانَ أن يُفتيَ بغيرِ علمٍ إنما هو الشيطانُ.

• وأما الدليلُ على أنَّ الذي يُفتي بغيرِ علمٍ يُدَمِّرُ مجتمعَه.

قولُه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[2].

فالشاهدُ أنَّ رؤوسَ الجهلِ (علماءَ السوءِ) سُئلوا «**فَأَفْتَوْا بغيرِ علمٍ**» فكانتِ النتيجةُ «**فَضَلُّوا وأَضَلُّوا**». فالناسُ إذا وقعتِ الفتنُ والهرجُ سألوا هؤلاءِ فأفْتَوْا لهم بغيرِ علمٍ فَضَلَّ الناسُ عن الحقِّ وعنِ الصراطِ المستقيمِ فوقعوا فيما حَرّمَ اللهُ عليهم، واختلَطَتْ عليهِمُ الأمورُ، ونطقَ فيهِمُ الرُّوَيْبِضَةُ.

كما أخبرَ ﷺ فقال: «**تَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْـخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ**

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

فِيهِمُ الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[(1)].

ثالثاً: ومِنْ مداخلِ الشيطانِ على الجاهلِ: أنهُ يدفعُهُ إلى اقترافِ كبائرِ الذنوبِ ومنها:

١ - الشركُ باللهِ

• فها هم قومُ موسى قالوا لموسى عليه السلام اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ؛ دفعهُمُ إلى ذلكَ الجهلُ قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٤٠)﴾ [الأعراف].

• وها هُمُ كفارُ مكةَ بجهلهم يطلبونَ منْ رسولِ الله ﷺ أَنْ يَعبُدَ آلهتَهم يوماً ويعبدوا إلهَهُ يوماً، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦)﴾ [الزمر].

كم من مسلمٍ يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ وَبسببِ الجهلِ وقعَ في الشركِ الأكبرِ والأصغرِ، فمنهم من يدعو غيرَ اللهِ ومنهم من يطوفُ بالقبورِ، ومنهم مَنْ يذبَحُ لغيرِ اللهِ، ومنهم من يحلفُ بغيرِ اللهِ إلى غيرِ ذلكَ منْ مظاهرِ الشركِ.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٠٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٩١)، والحاكم (٨٤٣٩)، [«صحيح الجامع» (٣٦٥٠)].

٢- الفواحشُ كالتبرجِ والزنا واللُّواطِ

• فالتبرجُ فاحشةٌ تقعُ فيها المرأةُ بسببِ الجهلِ، والذي يُزَيِّنُ لها ذلكَ الشيطانُ، قال تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف].

والفاحشةُ في الآيةِ هي التبرجُ والعُرْيُ، فكانَ الناسُ في الجاهليةِ رجالاً ونساءً يطوفون بالبيتِ عُراةً والذي زَيَّن لهم ذلك هو الشيطانُ بسببِ جهلِهم ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب].

• والزنا فاحشةٌ يقعُ فيها الإنسانُ بسببِ الجهلِ، والذي زَيَّنَ له ذلكَ هو الشيطانُ، قال تعالى على لسان يوسفَ عليه السلام عندما راوَدَتْهُ امرأةُ العزيزِ والنسوةُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

فالذي يقعُ في فاحشةِ الزنا جاهلٌ، والذي دفعهُ إلى الزنا وزيَّنُه له هو الشيطانُ، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

وقال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

• واللواطُ فاحشةٌ لا يقعُ فيها إلا جاهلٌ، والذي يَدْفَعُهُ إلى ذلكَ هو الشيطانُ قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

٣- الجهلُ يدفعُ صاحبَهُ إلى العنصريةِ المنتنةِ

قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح:٢٦].

وقال ﷺ: «**مَا بَالُ دَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ؟ .... دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[١].

وبسببِ الجهلِ انتشرَ في الأمةِ الإسلاميةِ اليومَ مرضُ التعصبِ المذهبي، والتعصب الحزبيِّ، والتعصبِ العنصريِّ، وكلُّ ذلك من فعلِ الشيطانِ بل سمَّى لهم ذلكَ الربيعَ العربيَّ، والديمقراطيةَ، والمجتمعاتِ المتحضرةَ وغيرَ ذلكَ منَ المُسمَّياتِ التي حَذَّرَ منها الشرعُ.

ورسولُنا ﷺ يقول: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْـمُسْلِمِينَ الْـمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ**»[٢].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ٢٠٢)، والحاكم (١٥٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٥)].

وقال ﷺ: «**وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»(١).

٤- الجهلُ يدفعُ صاحبَهُ إلى ارتكابِ جريمةِ القتلِ

الشيطانُ يدخلُ على الإنسانِ من مدخلِ الجهلِ بحرمةِ القتلِ، فَيوقِعَهُ في جريمةِ القتل، فما من جريمةِ قتلٍ إلا وراءَهَا الشيطانُ، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [القصص].

فالقتلُ من عمل الشيطان وهذا واضحٌ من الآية، بل أخبرَنا النبيُّ ﷺ أن القتلَ مِنْ أحبِّ الأعمالِ إلى إبليسَ، فقال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ**»(٢).

ولذلكَ حَذَّر النبيُّ ﷺ المسلمَ أن يُشيرَ إلى أخيهِ المسلمِ بالسلاحِ لأنَّ ذلكَ مدخلٌ للشيطان فقال ﷺ: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٦)، وابن حبان (٦١٨٩)، والحاكم (٨٠٢٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٩)].

لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ(١) **فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»**(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ الْـمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ**»(٣).

فكم من مسلمٍ وَجَّهَ السلاحَ إلى أخيه المسلمِ مازحاً، فما يشعرُ إلا ويُرْدِيه قتيلاً ويصبحُ منَ النادمين؟! فكيف إذا تواجَهَ المسلمان بِسَيْفَيْهما؛ كُلٌّ يعزمُ على قتلِ الآخرِ، كما يحدثُ اليومَ في بلادِ المسلمينَ؟

يقول ﷺ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْـمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْـمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»، قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْـمَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»(٤).

وفي رواية: «**إِذَا الْـمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السِّلَاحَ؛ فَهُمَا عَلَى جُرْفِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جَمِيعًا**»(٥).

كيف لا؟ واللهُ عزَّوجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

---

(١) (ينزع في يده): يرمي

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦١٦).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٨٨).

ورسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ؛ إِلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**»(١).

رابعاً: ومن مداخلِ الشيطانِ على الجاهلِ: أنه يدفعُه إلى الغُلُوِّ في الدين

فما أمرَ اللهُ تعالى بأمرٍ إلا للشيطانِ فيه نزعتان:

إما إلى تفريطٍ (جفاءٍ)، وإما إلى إفراط (غلو)، ودينُ الله وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بينَ جبلين، والهدى بينَ ضلالتين، والوسَطِ بينَ طرَفَين ذميمين، فكما أنَّ الجافي عن الأمرِ مُضيِّعٌ له، فالغالي فيه مُضيِّع له كذلك. هذا بتقصيره عن الحدِّ وهذا بتَجاوُزِه الحدَّ(٢).

ومن كيدِ الشيطانِ العجيبِ: أنه يشُمُّ النَّفْسَ، حتى يعلمَ: أيُّ القوتين تغلبُ عليها؛ قوةُ الإقدامِ والشجاعةِ، أم قوةُ الانكفافِ والإحجامِ والمهانةِ؟ فإنْ رأى الغالبَ على النفسِ المهانةَ والإحجامَ أخذ في تثبيطه وإضعافِ همتهِ وإرادتِهِ عن المأمور به، وثَقَّلَهُ عليه، فهوَّنَ عليه تركَهُ، حتى يتركَهُ جملةً، أو يُقَصِّرَ فيه ويتهاونَ به، وإنْ رأى الغالبَ عليه قوةَ الإقدامِ وعلُوَّ الهمةِ أخذَ يُقَلِّلُ عنده المأمورَ به، ويوهمُه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغةٍ وزيادةٍ، فيقصِّر بالأَوَّل ويتجاوزُ بالثاني، ولا يبالي الشيطانُ بأيهما ظَفِرَ(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٢٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩٢٢٨)، وابن حبان (١٣/ ٣١٨)، والحاكم (٨٠٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٤٦)].

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٥١٧).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٥).

فها همُ الخوارجُ فرقةٌ ضالةٌ، عندهُم شدَّةٌ وغِلْظةٌ وجهلٌ فدخلَ عليهمُ الشيطانُ منْ مدخلِ الجهلِ فجَعلهم ينطلقونَ إلى آياتٍ من كتابِ الله نزلَتْ في الكفارِ فيجعلونَها على المؤمنين فيكفِّرونَهم ويستحِلّونَ دماءَهم.

• ولذلك كانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يراهُم شرارَ خلقِ الله، ويقول: (إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفارِ، فجَعلوها على المؤمنين)[1].

• وكان يقولُ عنهم أيضاً: (يُكفِّرونَ المسلمين، ويستحِلُّونَ دماءَهم وأموالَهم)[2].

كيف لا؟ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يقولُ في وصفِهم: **«قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**[3].

ومن جهلِ الخوارجِ أنهم تَعَلَّقوا بشُبُهاتٍ واهيةٍ استحَلُّوا بها الخروج على عثمانَ بنِ عفانَ أمير المؤمنين رضي الله عنه وقتلوه، علماً بأن ابنَ عمر رضي الله عنهما بينها لهم ورَدَّها عليهم ومعَ ذلك لم يستجيبوا ولم ينتهوا.

• ومن جهلِهِمُ الشنيعِ أيضاً: أنهم تعلقوا بشبهاتٍ استحلوا بها الخروج على

---

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» (ص١١٤).

(٢) «الاعتصام» (٢/ ١٨٣، ١٨٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

عليِّ بنِ أبي طالبٍ أميرِ المؤمنين رضي الله عنه وقتلوه، علماً بأنَّ ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما بينها لهم وردَّها عليهم فاستجابَ له ألفان منهم والباقي بقيَ على جهله فقاتلهم عليٌّ رضي الله عنه والصحابةُ في موقعةِ النهروان وهزموهم.

• ومن جهلهمُ الشنيعِ: أنهم يقتلونَ أهلَ الإسلامِ ويدعونَ أهلَ الأوثانِ والصُّلبانِ، والدليلُ على ذلك: أنهم وجدوا عبدَالله بن خباب رضي الله عنهما ومعه أمُّ ولَدِهِ حُبْلى، فناقشوه في أمورٍ، ثم سألوهُ رأيَه في عثمانَ وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فنقموا عليه وتوعدوهُ بأن يقتلوه شرَّ قِتلة، فقتلوه وبقروا بطنَ المرأةِ[١].

ومرَّ بهم خنزيرٌ لأهلِ الذمةِ فقتلَه أحدُهم، فتحرَّجوا من ذلك، وبحثوا عن صاحبِ الخنزيرِ وأرْضَوه في خنزيره! فيا للعَجَبِ! أتكونُ الخنازيرُ أشدَّ حرمةً مِنْ المسلمين عندَ أحدٍ يدّعي الإسلام؟! لكنها عبادةُ الجُهالِ التي أملاها عليهمُ الهوى والشيطانُ[٢].

• قال ابنُ حجر رحمه الله: (إنَّ الخوارجَ لما حَكَمُوا بكفرِ مَنْ خالفهم؛ استباحوا دماءَهم، وتركوا أهلَ الذمةِ فقالوا: نفي لهم بعهدِهم، وتركوا قتالَ المشركينَ، واشتغلوا بقتالِ المسلمينَ، وهذا كُلُّه منْ آثارِ عبادةِ الجُهالِ؛ الذينَ لم تنشرحْ صدورهم بنورِ العلمِ، ولم يتمسكوا بحبلٍ وثيقٍ منه وكفاهم جهلاً أنَّ رأسَهم ردَّ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أمْرَه، ونسبَهُ إلى الجورِ، نسألُ اللهَ السلامة)[٣].

(١) «تلبيس إبليس» (ص٩٣).

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٥).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠١).

• وقال عنهم ابنُ تيميةَ رحمه الله: (فهم جُهَّالٌ، فارقوا السنةَ والجماعة عن جهل)[1].

وبهذا يتبينُ أنَّ الجهلَ كانَ منَ الصفاتِ البارزةِ في تلكِ الطائفةِ؛ التي هي إحدى الطوائفِ المنتسبةِ إلى الإسلامِ، فالجهلُ مرضٌ عُضالٌ يُهلِكُ صاحبَه من حيثُ لا يشعرُ، بل قد يريدُ الخيرَ فيقَعُ في ضدِّه[2].

* وها همُ الشيعةُ أجهلُ الناسِ بالكتابِ والسنةِ دخلَ عليهمُ الشيطانُ من بابِ الجهلِ فجعلهم يعتقدونَ أنَّ مَنْ أحبَّ عليًّا رضي الله عنه وآلَ البيت دخلَ الجنةَ بدونِ حسابٍ ولا عذابٍ ولو كانَ معهُ منَ المعاصي ما معه.

ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم يقولُ: **«يَا بَنِى هَاشِم! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِب! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُّ! أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئًا»**[3].

ودفعهُمُ الجهلُ إلى الغُلوِّ في قضيةِ الإمامةِ فقالوا: (لم نجتمعْ معهم -أي:أهلِ السنةِ- على إلهٍ ولا نبيٍّ ولا على إمامٍ، وذلك أنهم يقولون: إنَّ ربَّهُمْ هو الذي كانَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم نبيَّه، وخليفتَه بعدَه أبو بكر، ونحنُ لا نقولُ بهذا الربِّ ولا بذلكَ النبيِّ، بل نقولُ: إن الربَّ الذي خليفةُ نبيِّه أبو بكرٍ ليسَ ربَّنا ولا ذلكَ النبيُّ نبيَّنا)[4].

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٤٦٤).

(٢) «نوادر الأصول» (ص٥٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٤).

(٤) «الأنوار النعمانية» (٢/ ٢٨٧).

ودفعهمُ الجهلُ إلى الغلوِّ في عليٍّ ﷺ حتى كَذَبوا عليه وقالوا: إنَّ عليًّا قالَ: (والله لقد كنتُ مع إبراهيمَ في النار، وأنا الذي جعلتُها برداً وسلاماً، وكنتُ مع نوحٍ في السفينة وأنجيتُهُ مِنَ الغرق، وكنتُ مع موسى فعلمتُهُ التوراة، وكنتُ مع عيسى فأنطقتُهُ في المهد وعلمتُهُ الإنجيلَ، وكنتُ مع يوسفَ في الجبِّ فأنجيتُهُ من كيد إخوتِه، وكنتُ مع سليمانَ على البساطِ وسَخَّرْتُ له الريح)[1].

هكذا يفعلُ الجهلُ بأهلِه، وهكذا يفعلُ الشيطانُ بالجَهلة أعرفتم يا عبادَ الله**!** لماذا يمنع الشيطان كثيراً منَ المسلمين من العلمِ الشرعيِّ ومجالسِ العلم؟

الجواب: لِيَبْقُوا على جهلِهِم فيسهلُ عليه إغواءَهم وإضلالَهم وهَلاكَهم.

• ما هو المدخلُ الثاني الذي يدخلُ منهُ الشيطانُ على بني آدم؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) «الأنوار النعمانية» (ص٣١).

٦

المدخلُ الثاني من مداخلِ الشيطانِ: الغضبُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في كتابِه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل].

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

تكلمنا في الجمعةِ الماضيةِ عنِ المدخلِ الأولِ من مداخلِ الشيطانِ التي يدخلُ منها على الإنسانِ ألا وهوَ: **الجهلُ** وتبينَ لنا أنَّ الشيطانَ يدخلُ على الجاهلِ من بابِ الجهلِ ويُزَيِّنُ له أنه يُحْسِنُ صنعاً وأنهُ يسلكُ سبيلَ النجاةِ وهو في الحقيقةِ يسلكُ سبيلَ الهلاك كما قال تعالى: ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾**﴾ [الأعراف].

وموعدُنا في هذا اليومِ -إن شاءَ اللهُ تعالى- معَ المدخلِ الثاني من مداخلِ الشيطانِ على الإنسانِ ألا وهو: **الغضبُ**.

الغضبُ منْ مداخلِ الشيطانِ الكبرى، ومكائدهِ العُظمى؛ لأنَّ الشيطانَ يلعبُ بالغضبانِ كما يلعبُ الأطفالُ بالكرةِ، والمشاهَدَةُ أكبرُ دليلٍ على ذلكَ.

• ولما كانَ الغضبُ هُوَ ثورانُ القلبِ وازديادُ حركةِ الدم في الجسمِ وسرعتُها، وكانَ الشيطانُ يجري من ابنِ آدمَ مجرى الدم كما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»(١).

كان مدخلاً سهلاً للشيطانِ على الإنسانِ، وكانت وساوسُهُ سريعةً، والقراراتُ المتَّخَذَةُ عاجلةً، وذلك لأنَّ مَنْ ثارَ قلبُه وهاجت نفسُه قلَّ تركيزُه وضَعُفَ مِلْكُهُ لنفسِهِ ولسانِه ويدِه، ألا ترى الغضبانَ سريعاً باتخاذِ القرارِ عاجلاً بالتنفيذِ، بل ومندفعاً لا يدري ماذا يفعلُ أو يقولُ أحياناً؟

فكمْ من غضبانَ طلَّقَ زوجَه وهو لا يُريدُ أو لا يعلَمُ ماذا قالَ؟ أو قتلَ نفساً بريئةً بغيرِ حَقٍّ، أو آذى غيرَهُ ظلماً؟ وبالنظرِ إلى أحوالِ كثيرٍ من الغضبى من الناسِ وُجِدَ أنَّ الغضبَ يفتحُ أبوابَ الكبائرِ منَ الذنوب.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ [الشورى].

ففي الآية اقترنَ عدمُ الغضبِ باجتنابِ كبائرِ الإثمِ والفواحشِ، وَيُفهَمُ منَ الآيةِ أيضاً اقترانُ الغضبِ معَ كبائرِ الإثمِ والفواحِش، وهذا الغضبُ الذي يدخلُ من خلالِه الشيطانُ على الإنسانِ مذمومٌ في دينِنا. ولذلك جاءَ الشرعُ يأمرُ بِكَظْمِ الغيظِ وينهى عن الغضب.

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

قال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ**[(١)] **إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[(٢)]. فالقوةُ الحقيقيةُ هي التحكمُ في النفسِ عندَ الغضبِ، فلا ينطقُ بسوءٍ، ولا يتلفَّظُ بِفُحْشٍ، ولا يُمضي غيظَهُ.

قال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ**»[(٣)].

ولذلكَ عندما جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ و قَالَ: يَا رَسُولَ الله! أَوْصِنِي! قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**» قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَه، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ[(٤)].

ولما سأَلَ ابنُ عمرَ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! مَاذَا يُبَاعِدُنِي مِنْ غَضَبِ الله عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**»[(٥)].

• كيف يُسْكِنُ الإنسانُ غَضَبه؟ أو كيف يُغلِقُ هذا المدخل على الشيطانِ؟

يُسْكِنُ المسلمُ غضبَهُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ بعدةِ أمورٍ:

الأولُ: أنْ يستعيذَ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم

• عن شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا

(١) (الصُّرَعَةِ): هو الذي يصرع الناسَ كثيراً بقوته.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري(٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٣) **صحيح**: رواه ابن راهويه (٥١٦) ، والطيالسي (٢٥٢٥)، وهنّاد في «الزهد» (١٣٠٢)، و ابن حبان (٧١٧) ، [«صحيح الترغيب» (٢٧٥٠)].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٧٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٧٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٦)].

(٥) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٢/ ١٧٥)، وابن حبان (٢٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤٧)].

أَتَعَوَّذُ بِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ قَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي**»[(١)].

• و عن سُلَيْمان بْنُ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّى لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ آنِفًا؟ قَالَ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي[(٢)].

فهذا الرجلُ وقعَ في شرِّ كُلِّ جوارحِه عندما رفَض أنْ يستمعَ لنصيحةِ رسولِ الله ﷺ. والرسولُ ﷺ يقول: «**إذا غضبَ الرجلُ فقالَ: أعوذُ بالله سَكَنَ غضبُهُ**»[(٣)].

الثاني: أن يَسْكُتَ فلا يتكلمُ

قالَ ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ»[(٤)].

وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٥١)، والنسائي (٥٤٤٤)، وأحمد (٣/ ٤٢٩)، [«صحيح أبي داود» (١٣٨٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له.

(٣) **حسن**: رواه ابن عدى (٥/ ٢٥٦) ، وعنه السهمي في «تاريخ جرجان» (٢٥٢) عن أبي هريرة، والطبراني في «الأوسط» (٧٠٢٢) عن ابن مسعود، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٧٦)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٢٣٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٥)، والطيالسي (٢٧٣٠)، [«صحيح الجامع» (٤٠٢٧)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

الثالث: أنْ يُغَيِّرَ منْ حاله؛ إنْ كانَ قائماً يجلسْ، وإنْ كانَ جالساً يضطَّجعْ

قال ﷺ: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ»(١).

الرابع: أن يُفكِّرَ في قُبحِ منظرِه عندَ الغضبِ أو ينظرَ في المرآةِ ليرى منظرَهُ، فإنَّ هذا يساعدُهُ على تركِ الغضبِ

فالغضبُ له آثارٌ على الغضبانِ:

- ففي الظاهر: يتغيرُ لونُهُ وتنتفخُ أوداجُهُ وتضطربُ حركتُه.
- وفي اللسانِ: ينطلِقُ بالشَّتم والفُحْشِ منَ الكلامِ.
- وعلى الأعضاءِ: فالضربُ، والتهجُّمُ، والتمزيقُ، والقتلُ، والجرحُ عندَ التمكنِ مِنْ غيرِ مبالاةٍ، فإنْ هربَ منه المغضوبُ عليه، أو فاتَه بسببٍ، وعجزَ عنِ التَشَفِّي رَجَعَ الغضبُ على صاحبِهِ فمزق ثوبَه، ولطمَ نفسَه، وقد يضربُ بيده على الأرضِ، وقد يضربُ الجماداتِ ويتعاطى أفعالَ المجانين.

الخامس: أن يترفَّع بنفسِه عن السِّبابِ، والقذفِ، واللعنِ، والشتمِ؛ لأنَّ ذلك من صفاتِ السفهاءِ

كما رُوِيَ عنْ سلمانَ أنه قالَ لما شتمهُ رجلٌ: إنْ خفَّتْ موازيني فأنا شرٌّ مما تقولُ، وإن ثَقُلَتْ موازيني لم يَضُرَّني ما تقولُ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، وابن حبان (٥٦٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٣٢)، [«صحيح الجامع» (٦٩٤)].

ورُوي أنَّ رجلاً سبَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه فقال أبو بكرٍ: ما سترَ اللهُ عنكَ أكثرُ.

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقولُ: «لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»(١).

ويقولُ ﷺ: «لَيْسَ الْـمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيءِ»(٢).

ويقول ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

السادسُ: أن يتذكرَ جزاءَ الصفحِ والعفوِ وكظمِ الغيظِ في الدنيا والآخرةِ، فيدفعُهُ ذلك إلى تحملُّ جهلِ الجاهلِ وسَفَهِ السفيهِ، ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ، وما عندَه منَ الثوابِ العظيمِ ومِنْ ذلك:

أولاً: العزُّ والتمكينُ في الأرض

قال ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ»(٤).

فهذا يوسفُ عليه السلام بإحسانِه وعفوِه عنْ إخوتِه الذين ظلموهُ أعزَّهُ الله ومكَّنهُ في الأرضِ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٢)، وابن حبان (١٩٢)، والحاكم (٢٩)، [«صحيح الجامع» (٥٣٨١)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٩٨).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

قال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف].

ثانياً: محبةُ الله عزّ وجلّ

قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران]. وقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٣﴾ [المائدة].

والله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ عبدَهُ لا يُعَذِّبُهُ في النارِ أبداً؛ قال ﷺ: «**والله، لاَ يُلْقِي اللهُ حَبِيبَهُ فِي النَّارِ**»(١).

ثالثاً: مغفرةُ الذنوب

قال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٣٥)، وأبو يعلى (٣٧٤٧)، والحاكم (٧٣٧٤)، [«صحيح الجامع» (٧٠٩٥)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن].

رابعاً: الأجرُ العظيمُ

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ**»(١).

خامساً: الحورُ العينُ في جناتِ النعيم

قال ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ**»(٢).

كيف لا؟ وكَظْمُ الغيظِ مِنْ أحبِّ الأعمالِ إلى الله.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ يُدْخِلُه عَلَى**

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٤١٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٣١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٥٢)].

(٢) [«صحيح ابن ماجه» (٣٣٩٤)].

مُسْلِمٍ، أَوْ يَكشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْـمَسْجِدِ (يَعْنِي: مَسْجِدَ الْـمَدِينَةِ) **شَهْرًا، وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ»**(١).

كلُّ هذه الثمراتِ يتحصلُ عليها المسلمُ إذا كظَمَ غيظَهُ عندَ الغضبِ، وينجو من شرِّ الشيطانِ الذي يدخلُ عليه مِنْ بابِ الغضبِ ليوقِعَهُ في كُلِّ شَرٍّ .. فاحذَرْ يا عبدَ الله! أنْ يَدْخُلَ عليكَ الشيطانُ في لحظةِ الغضبِ فيوقِعَكَ في كبائرِ الذنوبِ فتندمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ، وتذكرْ يا عبدَ الله! دائماً وصيةَ رسولِ الله ﷺ التي قال فيها للرجلِ: «**لا تَغْضَبْ**». يقولُ الرجل: فَفَكَّرْتُ حينَ قالَ رسولُ الله ﷺ ما قالَهُ، فإذا الغضبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّه.

واعلموا عبادَ الله! أنَّ الغضبَ نوعان: غضبٌ مذمومٌ، وغضبٌ محمودٌ

أما الغضبُ المذموم فهو: الغضبُ للنفسِ أو مِنْ أجلِ الدنيا الفانيةِ، وهذا الغضبُ هو الذي نهى عنه الشرعُ؛ لأنهُ هو المدخلُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على الإنسانِ.

أما الغضبُ المحمود فهو: الذي يكونُ للهِ ولدينِ اللهِ، وهو غضبُ الأنبياءِ والمرسلينَ والدعاةِ إلى اللهِ المخلِصينَ.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٣٦)، والطبراني في «الكبير» (١٣٦٤٦)، وفي «الأوسط» (٦٠٢٦)، و«الصغير» (٨٦١)، [«السلسلة الصحيحة» (٩٠٦)].

ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- فهذا إبراهيمُ عليه السلام يغضبُ لله عزَّ وجلَّ عندما يرى أباهُ وقومَهُ يعبدونَ الأصنامَ والتماثيلَ من دون الله. فيقولُ لهم: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾، ويقولُ لهم أيضاً: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾ [الأنبياء] ويقولُ لهم أيضاً: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [الصافات].

ثم قالَ لهم مُهَدِّداً: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨﴾ [الأنبياء].

٢- وهذا موسى عليه السلام يغَضبُ لله عزَّ وجلَّ عندما رجَعَ من لقاءِ ربِّه فوجَدَ قومَه يعبدونَ العجلَ من دون الله، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [الأعراف:١٤٨] إلى أنْ قالَ ربُّ العزةِ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ﴾ [الأعراف].

٣- وهذا سليمانُ عليه السلام يغضبُ لله عزَّ وجلّ عندما قالَ له الهُدهُد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ [النمل].

٤- وهذا رسولُنا ﷺ يغضبُ إذا انْتُهِكَتْ حُرماتُ الله، ومن الأمثلةِ على ذلك:

• عَنَ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْـمَرْأَةِ الْـمَخْزُومِيَّةِ الَّتِى سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ! وَايْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[١].

• وعنها رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً[٢] لِي بِقِرَامٍ[٣] فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ وَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ[٤] بِخَلْقِ الله**»[٥].

• و اسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلاً عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي! أَفَلاَ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) السهوة: تشبه الرف أو الخزانة الصغيرة يوضع فيها الشيء

(٣) القرام: الستر من صوف ذي ألوان.

(٤) يضاهون: يشابهون.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧) واللفظ له.

الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةٌ لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةٌ تَيْعِرُ»(١) ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَيْ(٢) إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» مَرَّتَيْنِ(٣).

• وعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: (خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْـمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ(٤) السُّؤَالُ**»)(٥).

فهذا رسولُنا ﷺ الذي كان لا يغضبُ لنفسِه أبداً وإنما يغضبُ إذا انتُهكت حرماتُ الله، وقد أمرَنا اللهُ أن نتأسى به فقال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾**﴾ [الأحزاب].

فاحذرْ يا عبدَ الله! منَ الغضبِ المذمومِ الذي يدخلُ منهُ الشيطانُ فيوقعَكَ في الشرِّ، فتندمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

• ما هو المدخلُ الثالثُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ إلى الإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) تيعر: تصيح وتصوت صوتا شديدا

(٢) العفرة: بياض مشوب بالسمرة

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٣٦)، ومسلم (١٨٣٢) واللفظ له.

(٤) العي: الجهل.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٣٦)، والدارقطني (٧٢٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٧)، [«صحيح الجامع» (٧٨١١) عن جابر]، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٣) عن ابن عباس].

٧

المدخلُ الثالثُ من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ: حبُّ الدنيا

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه للشيطان: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف].

لما طردَ اللهُ إبليسَ من رحمتِه وجنتِه ولعنَهُ إلى يومِ الدينِ لأنه رفض أن يسجدَ لآدمَ، أعلنَ إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريتِه، ويستخدمُ في معركتِه أساليبَ متنوعةً، ويدخلُ على بني آدمَ من مداخلَ شتى ليهلكهم، وقد تكلمنا عن المدخل الأولِ ألا وهو: **الجهلُ**، وتكلمنا أيضاً في الجمعةِ الماضيةِ عن المدخلِ الثاني ألا وهو: **الغضبُ**.

وموعدُنا في هذا اليومِ إن شاءَ اللهُ تعالى معَ المدخل الثالثِ الذي يدخلُ منه الشيطان إلى الإنسانِ ألا وهو: **حُبُّ الدنيا**.

- الشيطانُ غَرُورٌ: قال تعالى في وصفِه: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].
- والدنيا غرارة: قال تعالى في وصفها: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر:٥]. وقال

تعالى في وصف أهل النار: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف:٥١].

وجمعَ اللهُ بينَ غُرورِ الشيطانِ وغرورِ الدنيا في موضعين من كتابه؛ فقال تعالى مُحَذِّراً عبادَه من غُرورِ الشيطانِ وغُرورِ الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقد أقسمَ إبليسُ باللهِ أن يُزَيِّنَ الدنيا لبني آدم ليهلِكَهم فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر].

وقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ...﴾ [الأعراف:١٦-١٧]. أي: من قِبلِ آخرتِهم فأُشككَهم فيها، ومن قِبَل دنياهم فأزينها لهم لينشغلوا بها عن طاعةِ اللهِ.

ويا أسفاهُ فقد نجحَ إبليسُ في ذلكَ وانخدَعُ الكثيرُ من بني آدمَ بالدنيا واطمأنوا لها، وظنوا أنهم مُخَلَّدونَ فيها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ].

فإبليسُ دخلَ على بني آدمَ من مدخلِ حبِّ الدنيا فزيَّنَ لهم الرشوةَ وسماها لهم بالهديةِ فقبِلَها الكثيرُ منهم فعرَّضوا أنفسَهم للعنةِ اللهِ؛ قال ﷺ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشِي**»(١).

وزيَّنَ لهمُ الرِّبا وسمَّاهُ لهم بالفائدةِ والربحِ فأكَلَهُ الكثيرُ منهم فعَرَّضوا أنفسَهم لحربِ اللهِ. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

وزيَّنَ لهمُ الميسِرَ (القمارَ) وسماهُ لهم باليانصيب الخيري فأقبلَ عليه الكثيرُ منهم فَعَرَّضوا أنفسَهم لعذابِ اللهِ لأنهم أكلوا أموالَ الناسِ بالباطلِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٣١٣)، وأحمد (٢/ ٢١٢)، والطبراني في «الدعاء» (٢٠٩٣)، [«صحيح الجامع» (٥١١٤)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

وزيَّن لكثيرٍ منَ التجارِ الدنيا فجعلهم يطففون الميزان، وينفقون سلعتهم باليمين الكاذبة فَعَرَّضوا أنفسَهم لعذاب اللهِ وسَخَطِهِ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

وقال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْـمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى، وَالْـمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْـمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْـحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(١).

فزينَ الشيطانُ الدنيا لكثيرٍ من بني آدم فاغتروا بها وانشغلوا بها عن الآخرة، قال تعالى عن الشيطانِ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء].

وخطبَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه فقال: (ألا أيها الناس، إنما الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ، يأكلُ منها البرُّ والفاجرُ، وإنَّ الآخرةَ وعدٌ صادقٌ، يحكمُ

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٢١١)، والنسائي (٥٣٣٣) واللفظ له، وأحمد (٥/ ١٦٨)، والطيالسي (٤٦٩)، [«صحيح الجامع» (٣٠٦٧)].

فيها مَلِكٌ قادرٌ، ألا إنَّ الشيطانَ يعدكُمُ الفقرَ، ويأمرُكم بالفحشاءِ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة:].

أيها الناسُ! أحسِنوا في أعمارِكم، تَحَفَّظوا في أعقابِكُم، فإنَّ اللهَ وعدَ جنتَه من أطاعه، وأوعدَ نارَه من عصاهُ، إنها نارٌ لا يهدأُ زفيرُها، ولا يُفَكُّ أسيرُها، ولا يُجْبَرُ كسيرُها، حَرُّها شديدٌ، وقعرُها بعيدٌ، وماءُها صديد، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم إتباعُ الهوى وطولُ الأمل؛ فإنَّ إتباعَ الهوى يصدُّ عن الحقِّ؛ وإنَّ طولَ الأملِ يُنسي الآخرةَ)[1].

وقد تبرأَ الشيطانُ من حزبِه الذين اتبعوهُ في النارِ ليزدادوا عذاباً فوقَ عذابهم فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم].

ابن آدمَ! إذا أردتَ أن تنجوَ من كيدِ الشيطانِ وتُغلِق أمامهُ هذا المدخلَ (وهو حبُّ الدنيا) فعليك بما يلي:

أولاً: أن تعلمَ أنَّ الدنيا زائلةٌ لا تدومُ لأحدٍ ولا يدومُ لها أحدٌ حتى الأنبياء.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ

(١) «البداية والنهاية» (٨/ ٨).

إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [القصص]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر].

وقال جبريلُ لرسولِنا ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»(١).

ابنَ آدم!

لاَ شَيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... يَبْقَى الإِلَهُ وَيَفْنَى المَالُ والوَلَدُ
لَمْ تُغْنِ عَنْ هرْمُزٍ يومًا خَزَائِنُهُ ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلاَ سُلَيْمَانَ إِذْ تَجْرِي الرِّيَاحُ لَهُ ... والإِنْسُ وَالجِنُّ فِيمَا بَيْنَهَا تَرِدُ
أَيْنَ المُلُوكُ الّتِي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
حوضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلاَ كَذِبِ ... لاَ بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

ابنَ آدم!

تَزَوَّدْ مِنْ مَعَاشِكَ للمِعَادِ ... وقُمْ للهِ وَاجْمَعْ خَيرَ زَادِ
وَلاَ تجْمَعْ مِنَ الدُّنْيا كَثيراً ... فَإِنَّ المَالَ يُجْمَعُ للنفَادِ
أَتَرْضَى أنْ تكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ ... لَهُمْ زَادٌ وَأنْتَ بغَيرِ زادِ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ)(٢).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٥٨)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٧، ٨٢٤)].

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (٨٧٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠١٥٣).

وقيل لعليٍّ رضي الله عنه: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ! صِفْ لَنَا الدُّنْيَا؟ قَالَ: (وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنْ، وَمَنْ سَقَمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، حَلَالُـهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ؟!)[1].

هذه هي الدنيا يا عبادَ اللهِ التي زيَّنَها الشيطانُ لكثيرٍ من بني آدمَ فانخدَعوا بها؛ فمنْ أجلِها يتباغضونَ ويتحاسدونَ ويقتلُ بعضُهم بعضاً، وما يحدثُ في العالمِ اليومَ من قتلٍ كُلُّهُ منْ أجلِ هذه الدنيا الفانية، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

ثانياً: أن تعرفَ قيمةَ الدنيا

فاللهُ الذي خلقَها يصفُها لعبادِهِ حتى لا يغتروا بها، فيقول سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا**»[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٥٨٤٠)، والحاكم (٧٨٤٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٤٠)].

وقال ﷺ: «**وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ**[1] **فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**»[2].

وقال ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالاَهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**»[3].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ[4] فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[5] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»[6].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[7].

---

(١) اليم: البحر.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥٨).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٨٠)، [«صحيح الترغيب» (٧٤)].

(٤) كنفته: أي جانبه ؛ قد أحاط به الناس من جانبه.

(٥) الأسك: ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٧) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، والطيالسي (٢٧٥)، والبزار (١٥٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٨٢)].

وقال عليٌّ ﷺ: (الدنيا جيفةٌ، فمن أرادَها فليصبرْ على مخالطةِ الكلابِ)(١).

ثالثاً: أن تعلمَ يا ابنَ آدمَ أنَّ مَنْ أحبَّ الدنيا وركَنَ إليها ونسيَ الآخرة، أذلته وأهلكتْهُ وجعلتِ الفقرَ بينَ عينيه دائماً

• أما الذلُّ: فقولُه ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** -كنايةً عن حبِّ الدنيا والركون إليها- **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

• وأما الهلاكُ: فقوله ﷺ: «**فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم**»(٣).

• وأما الفقرُ: فقولُه ﷺ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهَ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ**»(٤).

ولذلكَ جاءَ التحذيرُ من فتنةِ الدنيا في الكتابِ والسنةِ، قال تعالى في موضعين

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وهنّاد في «الزهد» (٦٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٣١٦٩)].

في كتابه: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»(١).

وعن عبدِالله بنِ الشِّخِّير رضي الله عنه قالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾﴾ قَالَ: « **يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ**»(٢).

وقال ﷺ:«**هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ جِبْرِيلُ ﷺ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لاَ تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَأْخُذُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(٣).

رابعاً: أن تعلمَ يا ابنَ آدمَ أنَّ مَن آثرَ الدنيا على الآخرة دخلَ النار

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٣) **حسن صحيح**: رواه البزار (٢٩١٤)، [«صحيح الترغيب» (١٧٠٢) عن حذيفة]، والطبراني في «الكبير» (٧٦٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٧) بلفظ: «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى...»، [«صحيح الجامع» (٢٠٨٥) عن أبي أمامة].

كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

وقال ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللهِ يَا رَبِّ! وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْـجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ! يَا رَبِّ! مَا مَرَّ بِي بُؤُسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**»(١).

كيف لا؟ والله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٠٧).

خامساً: أن تتعظَ بالذينَ افْتُتِنوا بالدنيا فهلكوا، والعاقلُ مَنِ اتعظَ بغيره

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ؛ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْـمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْـمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ**»(1).

وهذا مثالٌ لغنيٍّ جاهلٍ افتُتِنَ بالدنيا فوصَل إلى أخبثِ المنازِل، أتدرونَ مَنْ هو يا عبادَ الله؟ ... إنه قارون.

(1) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦) (٨٦٩)].

• قارونُ كانَ من قومِ موسى فافتُتِن بالدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

• نصحَهُ أهلُ العلمِ من قومِهِ الذينَ يعرفونَ حقيقةَ الدنيا:

النصيحةُ الأولى: قالوا له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ لأن الفرح بالدنيا الفانية ونسيان الآخرةَ هلاكٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨﴾ [يونس].

النصيحةُ الثانية: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [القصص:٧٧].

النصيحةُ الثالثة: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص:٧٧].

النصيحةُ الرابعة: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص].

• قارونَ ردَّ النصيحةَ ولم يقبلها وافتُتِنَ بدنياهُ وَفَتَنَ الناسُ قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ

قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [القصص].

• أهلُ العلمِ الذينَ يعرفونَ حقيقةَ الدنيا ينصحونَ الذينَ افتتنوا بدنيا قارونَ

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص].

• قارونُ المفتونُ بدنياه يهلِكُ، وغيرهُ يعتبر.

قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص].

فالدنيا غرارةٌ يدخلُ منها الشيطانُ إلى ابنِ آدمَ فيهلِكُه، ولذلك لما جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»[1].

---

(١) حسن لغيره: رواه ابن ماجه (٤١٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٤٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٢١٣)].

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِـمَوْتِكَ(١).

• ما هو المدخلُ الرابعُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ إلى الإنسان؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ إن كان في العمر بقية.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

٨

المدخلُ الرابعُ من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ: الكِبْرُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٤) قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾[ص].

لما رفضَ إبليسُ أن يسجدَ لآدمَ عليه السلام، طردَهُ اللهُ من جنتِه، وطردَهُ من رحمتِه، ولعنَهُ إلى يومِ الدين، فلما أيقنَ إبليسُ أنهُ طُرِدَ من رحمةِ الله ومن جنتِه ولُعِنَ؛ أعلنَ الحربَ على آدمَ وذريتِه مستخدِماً أساليبَ متنوعةً كالإغواءِ، والتزيينِ في الأرضِ، والصدِّ عن سبيلِ الله، والإضلالِ، وحتى يتمكنَ من إضلالِ بني آدمَ فإنهُ يدخلُ عليهم منْ مداخلَ شتى منها:

المدخلُ الأولُ: **الجهلُ**.

المدخلُ الثاني: **الغضبُ**.

المدخلُ الثالث: **حبُّ الدُّنيا**.

وقد تكلمنا عن هذهِ المداخلِ الثلاثةِ في الخُطَبِ الماضيةِ، وموعدُنا في هذا اليوم إن شاءَ اللهُ تعالى معَ: المدخلُ الرابعُ ألا وهو: **الكِبْرُ**.

• الكِبْرُ داءٌ خطيرٌ مُهْلِكٌ، هلكَ بسببِه إبليسُ، ولذلِكَ دخلَ إبليسُ على بني آدمَ من مدَخلِ الكِبْر ليُهْلِكَهمْ كما هلكَ.

• ورسولُنا ﷺ رحمةً بأُمته يُعرِّفُ لنا الكِبرَ لنكونَ منهُ على حَذرٍ ولنغلقَ البابَ أمامَ الشيطانِ حتى لا يدخلَ علينا منه، فقال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(1).

• وبَطَرُ الحق: هو رَدُّهُ ودفعُه، وهذا ما وقعَ فيه إبليسُ عندما رفضَ أن يستجيبَ لأمرِ رَبِّه، فإنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ هو الحقُّ ولا يأمرُ إلا بالحقِّ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

• وغَمْطُ الناسِ: هو احتقارُهم والتعالي والتكبرُ عليهم، وهذا ما وقعَ فيه إبليسُ أيضاً عندما قال عن آدم محتقراً له: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحشر].

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

ولما قال اللهُ لإبليسَ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص]. قال إبليسُ متكبراً محتقراً لآدم: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

فكانَتْ نتيجةُ هذا التكبر أن هلكَ إبليسُ وطُرِدَ من الجنةِ ومن رحمةِ الله ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى له أيضاً: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الأعراف:١٨].

وكان من نتيجةِ تكبرِ إبليسَ على آدمَ أيضاً أنْ حَلَّتْ به لعنةُ الله إلى يومِ الدينِ.

قال تعالى لإبليس: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص].

فلما هلكَ إبليسُ بسبب الكبرِ، دخل على بني آدمَ مِنْ هذا المدخلِ ليُهْلِكَهُم، فالكبرُ داءٌ خطيرٌ يُهلِكُ صاحبَهُ، ويظهرُ ذلك من خطورةِ الكِبْر وهي:

أولاً: الكِبْرُ يَمنعُ صاحبَهُ من الاستجابةِ لأمرِ اللهِ، ومنَ الاستجابةِ لرسلِ اللهِ، ومنَ الاستجابةِ لآياتِ اللهِ.

• فالكبرُ هو الذي منعَ إبليسَ منَ الاستجابةِ لأمرِ اللهِ، قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص].

• والكبرُ هو الذي منعَ كثيراً من الناسِ أن يستجيبوا لرسلِ اللهِ.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى أن قال ربُّ العزةِ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى أن قال ربُّ العزة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف].

• وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون].

• وقال تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الصافات].

• والكبرُ هو الذي منعَ كثيراً من الناسِ أن ينتفعوا بآياتِ الله.

• قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

ثانياً: الكبرُ سببٌ للعذابِ في الدنيا

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللهُ بِهِ**

الأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ[1] **فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[2].

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقول: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»[3]. والمرءُ إذا أُعجبَ بنفسِه تكبرَ على غيره بغيرِ الحَقِّ فيهلَكُ.

ثالثاً: المتكبرُ مجرمٌ لا يُحبُّهُ اللهُ، ولذلكَ طبعَ على قلبهِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف]، فهذه أدلةٌ من كتابِ الله على أنَّ المتكبرَ مجرمٌ.

أمّا الأدلةُ على أنَّ اللهَ لا يحبُّه قال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا

(١) يتجلجل: يتحرك مع جلبة في حركته.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٨٥) عن ابن عمر بلفظ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْـخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، ومسلم (٢٠٨٨) عن أبي هريرة.

(٣) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٣١)، ورواه البزار (٧٢٩٣) بلفظ: «وإعجاب المرء برأيه» [«صحيح الجامع» (٣٠٣٩)].

يَعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل].

وأمّا الأدلةُ على أنَّ اللهَ طبعَ على قلبِ المتكبر، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر].

ومن طبعَ اللهُ على قلبه فلن يهتديَ إلى الإيمانِ أبداً، قال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

ومن طبَعَ اللهُ على قلبِه فلا يستمعُ للحقِّ ولا يَتّبعُهُ أبداً بل يَتَّبعُ هواه، قال تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾﴾ [محمد].

رابعاً: المتكبرُ مثواهُ النارُ وبئسَ المصيرُ

وهل أُعدَّتِ النارُ إلا للمتكبرين، قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر].

وقال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟! كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[1].

وقال ﷺ: «احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْـجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ -أي: النار-: يَدْخُلُنِي الْـجَبَّارُونَ وَالْـمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ -أي: الجنة-: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَقَالَ لِـهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا»[2].

فالنارُ أُعِدَّتْ للمتكبرينَ، بل لقد امتلأتْ بالمتكبرين.

• وها هُم المتكبرونَ في النارِ يتبرءون مِمَّنْ اتبعوهم، وإبليسُ الذي أضَلَّهم ودخَلَ عليهم مِنْ مدخلِ الكبرِ يتبرأُ منهم جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٦).

كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

• وها همُ المتكبرونَ في النارِ يندمون في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

الكِبْرُ منَ المهلكاتِ، هلكَ بسببهِ إبليسُ، فَطُرِدَ مِنْ رحمةِ اللهِ، ومن جنتِه، وحَلَّت به لعنةُ اللهِ إلى يومِ الدينِ، فدخلَ إبليسُ على ابنِ آدمَ من هذا المدخلِ

ليُهلِكَهُ كما هَلَكَ.

فكيفَ يتخلصُ الإنسانُ منْ داءِ الكبرِ المهلِكِ؟ أو كيفَ يُغلقُ الإنسانُ هذا المدخلَ أمامَ الشيطانِ؟

الجوابُ من كتابِ ربِّنا، ومن سنةِ نبيِّنا ﷺ.

أولاً: أن يعرِفَ الإنسانُ رَبَّه

إذا عرفَ الإنسانُ أنَّ الكبرَ صفةٌ من صفاتِ الله تعالى وحدَه وأنَّ مَنْ نازعَه فيها عذَّبَهُ في جهنمَ، فلا يجوزُ له أن يتكبرَ. قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى يصفُ نفسَهُ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر].

ونبيُّنا ﷺ يخبرُنا أنَّ الله عزَّ وجلَّ حذَّرَ وتوعَّدَ من نازعَهُ في صفةِ الكبرِ عذَّبَهُ فقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**». وفي مسلم: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ فَمَنْ يُنَازِعُنِى عَذَّبْتُهُ**»[1].

وفي روايةٍ عن أبي هريرة: «**فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ**»[2].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٢٠)، وأبي داود (٤٠٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٣٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٩٢) واللفظ له، [«المشكاة »(٧)].

ثانياً: أنْ يعرفَ الإنسانُ نفسَهُ

إذا عرف الإنسانُ نفسَهُ عَرَفَ قدْرَه، فلا يتكبرُ، فكيف يتكبرُ الإنسانُ وأصلُهُ الطين؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون].

وكيف يتكبر الإنسانُ وقد خُلِقَ من ماءٍ مهينٍ؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة].

وكيف يتكبرُ الإنسانُ وقد خرجَ من مجرى البول مرتين؟ مرةً من جهةِ أبيهِ ومرةً من جهةِ أُمِّه.

قال الأحنفُ بن قيس: (عجباً لابنِ آدم! يتكبرُ وقد خرجَ من مجرى البول مرتين)[1].

وكيف يتكبرُ الإنسانُ وأولُهُ نُطفَةٌ مَذِرَةٌ، وآخِرُهُ جيفةٌ قَذِرةٌ، وهو بين ذلك يمشي وفي بطنهِ العَذَرةُ. وما أحسنَ قول الله تعالى: قتل الانسان ما اكفره ﴿مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ [عبس].

ثالثاً: أن يعرفَ الإنسانُ عَدُوَّه الذي يُزَيِّنُ له الكبرَ

والعدُوَّ المبينُ للإنسانِ هو الشيطانُ الرجيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى على

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢٠١).

لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥)﴾ [القصص].

والشيطانُ -العدوُّ المبينُ- يجري من ابن آدمَ مجرى الدم كما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»(١).

يدخلُ على الإنسان من مدخَلِ الكبر، فينفخُ فيه فيتكبرُ، ولذلك أمرَنا النبيُّ ﷺ أن نستعيذَ باللهِ من نفخِ الشيطانِ؛ فقال ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(٢). والنفخُ هو الكبرُ.

رابعاً: أن يعرفَ الإنسانُ خطورةَ الكبرِ، وفضيلةَ التواضعِ

قال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(٣).

وقال ﷺ: «**يُحْشَرُ الْـمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صَوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ؛ طِينَةِ الْـخَبَالِ**»(٤).

وقال ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، [«المشكاة» (٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٩١).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٢٧)، وأحمد (٢/ ١٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٩١١)(٣٥٨٣)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٨).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(1).

خامساً: أن يَستَعيذَ الإنسانُ باللهِ من المتكبرينَ، ويتأسى بالمتواضعين

فهذا نبيُّ اللهِ موسى عليه السلام لما بلغه أنَّ فرعونَ المتكبرَ قرَّرَ قتلَه، استعاذَ باللهِ من شرِّ هذا المتكبر. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر].

وها هو رسولُنا ﷺ يضربُ لأمتهِ أروعَ الأمثلة في التواضع كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء].

ومن الأمثلة على تواضعه ﷺ:

• يقول أنسٌ رضي الله عنه: (كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ)(2).

و سُئِلت عائشة رضي الله عنها: (مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ)(3).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٧٦).

• ويقول ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**» فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**»[1].

• هذا هو الكبرُ، داءٌ خطيرٌ مهلِكٌ، يدخلُ منه الشيطانُ لِيُهلِكَ به بني آدمَ، فكونوا مِنَ الكبرِ على حذرٍ.

ما هو المدخلُ الخامسُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على الإنسان؟ هذا ما نعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كانَ في العمر بقيةٌ.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٢٦٢).

٩

المدخلُ الخامسُ

من مداخلِ الشيطانِ على الإنسانِ: إتباعُ الهوى

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأعراف].

الشيطانُ للإنسانِ عدوٌّ مبينٌ، يدخلُ عليه من مداخلَ شتى لِيهلِكَهُ ويجعلَهُ من حزبِه الخاسرِ الهالِكِ وقد تكلمنا في الجُمعِ الماضيةِ عن:

المدخلُ الأولُ: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالث: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **المدخلُ الخامسُ: إتباعُ الهوى.**

• **الهوى لغةً**: قالوا: هوى يَهْوى، أي أحبَّ. وتدلُّ المادةُ التي اشْتُقَّ منها على الخُلُوِّ والسُّقوط، ومن ذلكَ: الهواءُ بين السماءِ والأرضِ، سُمِّيَ بذلك لخُلُوِّه، وكلُّ خالٍ هواءٌ، قال تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم]. أي خاليةٌ لا تعي شيئاً.

ويقال: هوى الشيءُ يهوي: أي سقطَ، والهاويةُ جهنَّمُ؛ لأنَّ الكافرَ يسقطُ فيها.

• وهوى النفسِ مأخوذٌ منَ المعْنيَيْنِ جميعاً (الخُلُوُّ والسُّقوطُ) لأنهُ خالٍ من كلِّ شيءٍ، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي. وقيلَ سُمِّيَ بذلك لأنهُ يهوي بصاحبِهِ في الدنيا إلى كُلِّ داهيةٍ وفي الآخرةِ إلى الهاويةِ.

• **والهوى اصطلاحاً**: ميلُ النفسِ إلى ما تستلِذُّه منَ الشهواتِ من غير داعيةِ الشرع، واتباعُ الهوى معناه: إيثارُ مَيلِ النفسِ إلى الشهوةِ، والانقيادُ لها فيما تدعو إليه من معاصي اللهِ عزَّ وجلّ[1].

• والشيطانُ يدخلُ للإنسانِ من مدخَلِ الهوى، فيزيِّنُ له شهواتِهِ ويدفَعُهُ إليها، فلا يعرفُ هذا الإنسانُ إلا شهواتِهِ وملذاتِهِ ولو كانَ فيها سَخَطُ ربِّهِ وغضبُهُ، فهو لا يبالي إذا فازَ بشهوتِهِ وحظِهِ، رَضِيَ رَبُّهُ أمْ سَخِطَ، فهو مُتَعَبَّدٌ لهوا ه ...إنْ أحبَّ أحبَّ لهواهُ، وإن أبغضَ أبغضَ لهواه، وإن أعطى أعطَى لهواه، وإن منَعَ منعَ لهواهُ، فهواهُ آثرُ عندَه وأحبُّ إليه من رضى مولاهُ، فالهوى إمامُه،

(١) [انظر: «نضرة النعيم» (٩/ ٣٧٥١، ٣٧٥٢)].

والشهوةُ قائدُهُ، والجهلُ سائقُهُ، والغفلةُ مركبُهُ، ولقد ربَطَ اللهُ عزَّ وجلَّ بينَ الهوى والشيطانِ، فقالَ تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ...﴾ [الأنعام:٧١]. أي: استغوَتْهُ وزَيَّنَتْ له هواهُ ودَعَتْهُ إليه.

فالهوى مِنْ أعدى أعداءِ الإنسان، والشيطانُ عدوٌّ مبينٌ للإنسان، والنفسُ التي بينَ جَنْبَيْكَ أمَّارةٌ بالسوء، فكيفَ إذا دخل الشيطانُ من مدخلِ الهوى في النفسِ الأمّارةِ بالسوء؟!

وكما قالَ القائلُ:

إنِّي ابْتُليتُ بأَرْبَعٍ ما سُلِّطُوا ... إلا لِشدَّةِ شِقوَتي وعَنائي
إبْليسُ والدُّنيا ونفسي والهوى ... كيفَ الخلاصُ وكلُّهم أعدائي

• فالهوى يُعمي صاحبَهُ ويُصِمُّه.

قال ابن تيميةَ رحمه الله: صاحِبُ الهوى يُعْمِيهِ الهوى ويُصِمُّهُ، فلا يَسْتَحْضِرُ ما للهِ ورسولِه في الأمرِ ولا يطلُبُه أصلاً، ولا يرضى لِرِضا اللهِ ورسولِهِ، ولا يغضبُ لغضبِ اللهِ ورسولِه، بل يرضى إذا حَصَّلَ ما يرضَاهُ بهواهُ، ويغضبُ إذا حصَّلَ ما يغضبُ لهُ بِهواهُ، فليس قصدُهُ أن يكونَ الدينُ كُلُّهُ لله، وأن تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، بل قصدُهُ الحمِيَّةُ لنفسِهِ وطائفتهِ أو الرياءُ ليُعَظَّمَ هو ويُثْنى عليه، أو لِغرضٍ مِنَ الدنيا فلم يكُن للهِ غضبُهُ، ولم يكنْ في سبيلِ اللهِ جهادُهُ، بل إنَّ أصحابَ الهوى يَغْضَبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً معذوراً، ويَرْضَوْنَ عمَّنْ يُوافِقُهُم، وإنْ

كان جاهلاً سَيِّءَ القصدِ، ليس لهُ عِلمٌ ولا حُسنُ قصْدٍ، فيُفْضِي هذا إلى أنْ يَحمَدُوا مَنْ لم يَحْمَدْهُ اللهُ ورسولُهُ، ويَذُمُّوا مَنْ لم يَذمَّهُ اللهُ ورسولُهُ، وتصيرُ مُوالاتُهم ومعادَاتُهم على أهواءِ أنفسِهم لا على دينِ الله ورسولهِ[1].

• والإنسانُ إذا اتبعَ هواهُ، ودخلَ عليه الشيطانُ من مدخلِ هواهُ جعلَهُ في مَصَافِّ الحيواناتِ، ويجلبُ له الخزيَ في الدنيا، والعذابَ في الآخرة.

قال تعالى في وصفِ هؤلاء: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

* ولذلك جاءَ الإسلامُ يأمرُ باتباعِ الشرعِ وأهلِهِ، وينهى عنِ اتباعِ الهوى وأهلِهِ، قال تعالى لرسولِهِ ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى:١٥].

(١) [«منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٢٥-٢٥٦)].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه].

• واشتدَّ النهيُ والتحذيرُ حتى قُرِنَ بالتهديدِ فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد].

• بل أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أن يُصَرِّحَ بضلالِ الذين اتبعوا أهواءَهم فقال له: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام].

وذلك لأنَّ كلَّ مَنْ خالفَ الشريعةَ فقد وافقَ الهوى، ومن وافقَ الهوى فَقَدْ ضلَّ. كما قالَ تعالى لنبيِّه: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ

ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الروم].

• واتباعُ الهوى أضرارهُ كثيرةٌ، وعواقبُهُ وخيمةٌ، ومِنْ مضارِّ الهوى:

أولاً: عدمُ الاستجابةِ لرسُلِ الله

كما قالَ تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [القصص:٥٠].

بل يدفعُهُمُ الهوى إلى تكذيبِ الرسلِ والاعتداءِ عليهم بالقتل كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: الانحرافُ عن سبيل الله

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [الشورى:١٥].

ثالثاً: الانحرافُ في العقيدة

فالهوى يدفعُ كثيراً من أهل الأهواءِ إلى الانحرافِ في العقيدة، ولذلكَ قالَ تعالى لرسولِه ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا

تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

فنهاهم عن اتباعِ أهواءِ الضالين الذين لم يؤسِّسوا عقيدتَهم على علمٍ وهدى، ولذلك يُعْرَفُ أهلُ الأهواءِ مِنْ أهلِ القبلةِ بأنهم (الذين لا يكونُ معتقَدُهم مُعتقدَ أهلِ السنة، وهمُ الجبريةُ والقَدرِيَّةُ والروافضُ والمعَطِّلَةُ والمشَبِّهَةُ، وكلٌّ منهم اثنتا عَشْرَة فِرقة)[1].

فلا بُدَّ لكلِّ مَنْ أرادَ النجاةَ أن يُؤسِّسَ مُعتقدَهُ على الكتابِ والسنة بفهمِ سلفِ الأمةِ، يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (العباداتُ مبناها على الشرعِ والاتباعِ لا على الهوى والابتداع، فإنَّ الإسلامَ مبنيٌّ على أصلين:

أحدهما: أنْ يَعْبُدَ الله وحدَه لا شريكَ له، **والثاني**: أن تعبُدَه بها شرعَه على لسانِ رسولِه ﷺ لا تعبدُه بالأهواءِ والبدع)[2].

رابعاً: الانحرافُ في الحكم

ولذلك قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٤٨]. وقال له أيضاً: [المائدة]. ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩].

(١) «نضرة النعيم» (٩/ ٣٧٥٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٨٠).

وقال تعالى لنبيِّه داودَ عليه السلام: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

عبادَ الله! إنه لا تنتظمُ مصالحُ الخلقِ إلا بسُلطانٍ قاهرٍ سائسٍ، ثم إنَّ ذلك السلطانَ إنْ كانَ حُكمُهُ على وفقِ هواهُ، ولطلبِ مصالحِ دنياهُ عَظُمَ ضررُهُ على الخلقِ، فإنه يَجعلُ الرعيةَ فداءً لنفسِه، ويتوسَّلُ بهم إلى تحصيلِ مقاصدِ نفسِهِ، وذلك يُفضي إلى تخريبِ العالمِ، ووقوعِ الهرْجِ والمرْجِ في الخلقِ، وذلكَ يُفضي أخيراً إلى هلاكِ ذلك المَلِك، أما إذا كانت أحكامُ ذلك الملكِ مطابقةً للشريعةِ الحقَّةِ الإلهيةِ انتظمَتْ مصالحُ العالَمِ، واتسَعت أبوابُ الخيراتِ على أحسنِ الوجوهِ، فهذا هو المرادُ من قوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعني: لا بُدَّ من حاكمٍ بينَ الناسِ بالحقِّ فكنْ أنتَ ذلك الحاكم.

ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ **وتفسيرُهُ:** أنَّ متابعةَ الهوى توجبُ الضلالةَ عن سبيلِ الله، والضلالُ عنْ سبيلِ الله يُوجِبُ سوءَ العذاب، فينتجُ أن متابعةَ الهوى توجبُ سوءَ العذابِ(١).

---

(١) [انظر: «إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة» للشيخ عبدالعظيم بن بدوي -حفظه الله- (ص٤٩٨)].

وما يحدثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ من الفوضى والخروجِ على ولاةِ أمرِهم بسببِ اتباعِ الهوى منَ الحكامِ والمحكومين.

خامساً: الانحرافُ في الشهادة

قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء].

أي فلا تتبعوا الهوى وميلَ النفس إلى أحدٍ ممن كُلِّفتُم العدْلَ فيهم، أو الشهادةَ لهم أو عليهم، كراهةَ أنْ تعدلوا، بل آثِروا العدْلَ على الهوى، فبذلكَ يستقيمُ الأمرُ في الورى، أو: لا تتبعوا الهوى لئلا تعدلوا عن الحقِّ إلى الباطلِ، فالهوى مَزَلَّةُ الأقدام[1].

والهوى صُنوفٌ شتَّى، حُبُّ الذَّاتِ هوى، وحبُّ الأهلِ والأقربينَ هوى، والعطفُ على الفقير -في موطنِ الشهادةِ والحكم- هوى، ومجاملَةُ الغنيِّ هوى، ومضارَّتُه هوى، والتعصبُ للعشيرةِ والقبيلةِ والأمةِ والدولةِ والوطنِ -في موطنِ الشهادةِ والحكم- هوى، وكراهةُ الأعداءِ ولو كانوا أعداءَ الدين -في موطن الشهادة والحكمِ- هوى، وأهواءٌ من شتى الصنوفِ والألوان، كلُّها مما ينهى اللهُ الذينَ آمنوا عن التأثرِ بها، والعُدولِ عن الحقِّ والصدقِ تحتَ تأثيرِها[2].

---

(١) «مختصر المنار» (٢/ ٢٢٠).

(٢) انظر: «إعلام ذوي الأفئدة بأحكام سورة المائدة» للشيخ عبد العظيم بدوي.

سادساً: حصولُ التفرقِ والاختلافِ، ووقوعُ العداوةِ والبغضاءِ.

الخلافُ والتفرقُ في الأمةِ ناشئٌ عن اتباعِ الهوى، فأهلُ الأهواءِ يتبعونَ المتشابهَ منَ الأدلةِ ابتغاءَ الفتنةِ، فيؤدي ذلكَ إلى وقوعِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الناسِ فيضِلون ويُضِلون.

قال تعالى مبيناً موقفَ الراسخين في العلمِ وأهلِ الأهواءِ من المتشابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

وعن معاويةَ بن أبي سفيانَ رضي الله عنهما قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَكُونُ أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ؛ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ**[1] **بِصَاحِبِهِ، فَلا يَبْقَى مِنْهُ مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ**»[2].

وعن معاويةَ رضي الله عنه قال: (قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، أَلا وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى يَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ

(١) الكَلَبُ: داءٌ يَعرِضُ للإنسانِ من عض الكَلْبِ الكَلِب، فيصيبُهُ شبهُ الجنون، فلا يعضُّ أحداً إلا كَلِبْ.

(٢) صحيح لغيره: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (٤٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ رقم (٨٨٤))، وابن أبي عاصم في «السنة» (١) واللفظ له، [«الظلال» (١)].

بِصَاحِبِهِ لا يَدَعُ مِنْهُ عِرْقًا ، وَلاَ مِفْصَلا إِلَّا دَخَلَهُ»[1].

ولذلك ضربَ اللهُ لأتْباعِ الهوى مثلَ السَّوْء فقال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

سابعاً: انتشارُ الفسادِ الذي يُؤدي إلى الهلاك.

قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون].

والذين اتبعوا أهواءَهم واتخذوا دينهم لهواً ولعباً يخبرُنا اللهُ عزّ وجلّ في كتابه أنهم كانوا يكرهونَ الحقَّ ولا يتبعونَه قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف].

فاتباعُ الهوى يؤدي إلى انتشارِ الفسادِ في الأرضِ، وانتشارُ الفسادِ يؤدي إلى الهلاكِ قال ﷺ: «**ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»[2].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ رقم (٨٨٤))، والحاكم (٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢) واللفظ له، [«ظلال الجنة» (٢)].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٣١)، والبزار (٧٢٩٣) بلفظ: «وإعجاب المرء برأيه» [«صحيح الجامع» (٣٠٣٩)].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلاَّتِ الْـهَوَى»(1).

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام].

ويقول سبحانه: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم]. ولكن كما قال رب العزة: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

كيف يتخلصُ الإنسانُ منَ الهوى؟ أو كيفَ يُغلِقُ الإنسانُ مدخلَ الهوى أمامَ الشيطان؟

الجواب:

أولاً: بالاستعاذةِ باللهِ منْ شياطينِ الجنِّ والإنسِ

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

(1) **صحيح**: رواه أحمد (4/ 420)، والبزار (3844)، والطبراني في «الصغير» (511)، [«صحيح الترغيب» (52)].

وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

من تَتَبَّعَ آياتِ التعوذِ في القرآنِ الكريمِ وجدَ أنَّ الأمرَ بالتعوذ بالله -عزّ وجلّ- قد سُبقَ بعملٍ صالح، وذلك لأنَّ في النفسِ مداخلَ كثيرةً للشيطانِ، كالشهوةِ والغضبِ والحرصِ والهوى وغيرها، فإذا ما تحصَّنْتَ بالتقوى والإخلاصِ، انغلقَتْ هذه المداخلُ ونَجَوْتَ من كيدِ الشيطانِ.

وكان رسولُ الله ﷺ يستعيذُ بالله تعالى فيقول: «**أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[(١)].

ثانياً: بالاستعاذةِ باللهِ منْ شرِّ نفسِهِ

وكانَ ﷺ يستعيذُ منْ شرورِ النفسِ في مُقَدِّمَةِ مواعِظِهِ وخُطَبِهِ فيقولُ: «**إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا**»[(٢)].

فالنفسُ الأمارةُ بالسوءِ تأمرُ صاحبَها بالشرِّ وتسوِّلُ له الإقدامَ على فعله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، [«المشكاة» (٧)].

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٨٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٥٥٠٤)، وأبو يعلى (٧٢٢١)، [«المشكاة» (١٠)].

ويبينُ ابنُ القيمَ رحمه اللهُ خطرَ النفسِ الأمَّارةِ، واستغلالَ الشيطان لها، فيقولُ: (أما النفسُ الأمَّارةُ: فالشيطانُ قرينُها وصاحبُها فهو يَعِدُها وَيُمَنِّيها، ويقذفُ فيها الباطلَ، ويأمرُها بالسوءِ ويزينهُ لها في صورةٍ تَقْبَلُها وتستحسِنُها، ويُمِدُّها بأنواع الإمدادِ والباطلِ منَ الأمانيِّ الكاذبةِ، والشهواتِ المهلكةِ، ويستعينُ عليها بهواها وإرادتِها، فمنه يدخلُ عليها كُلُّ مكروهٍ)[1].

ثالثاً: بالاستعاذةِ باللهِ منْ شرِّ الهوى

كانَ ﷺ يستعيذُ باللهِ من شرِّ الهوى، فيقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ**»[2]. فالشيطانُ يدخلُ على الإنسانِ من مدخلِ الهوى، فيمنعُه منَ الاستغفارِ.

قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ! لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»[3] فالإنسانُ إذا اتبعَ هواه لا يستغفرُ أبداً.

قال الأوزاعيُّ رحمه الله: (إِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيْنَ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟ قَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الاِسْتِغْفَارِ؟ قَالُوا: إِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ مَا

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٩١) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠/ رقم (٣٦))، والحاكم (١٩٤٩)، [«صحيح الجامع» (١٢٩٨)].

(٣) حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨)، والحاكم (٧٦٧٢) واللفظ له، وأبو يعلى (١٣٩٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

نُطِيقُهُ، إِنَّهُ لَمَقْرُونٌ مَعَ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَابٍ لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ مِنْهُ، قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ»(1).

رابعاً: بمخالفةِ النفسِ والهوى

إذا أمسَكَ المرءُ بزمامِ نفسِه ووجَّهها إلى طريقِ الخيرِ، فقد نالَ السعادةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرةِ، وإذا أتْبَعَ نفسَه هواها، ووجَّهها إلى طريقِ الشرِّ فقد خابَ وخسرَ الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسرانُ المبين.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر:٤١].

---

(١) رواه الدارمي (٣٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٠٨).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران].

• ما هو المدخلُ السادسُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على الإنسانِ؟ هذا ما نعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إنْ كانَ في العمرِ بقيةٌ.

١٠

المدخلُ السادسُ

من مداخلِ الشيطانِ على الإنسانِ: حُبُّ المالِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور].

لما طردَ اللهُ عزَّ وجلَّ إبليسَ من جنتهِ ورحمته، ولعنهُ إلى يوم الدين لأنه أبى أنْ يسجدَ لآدمَ، أعلنَ إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريتهِ واستخدمَ في معركتهِ أساليبَ متنوعةً، ولم يكتفِ بذلك بل قال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

وحتى يتمكنَ الشيطانُ مِنْ إضلالِ بني آدمَ فإنه يدخلُ عليهم من مداخلَ شتى ليهلِكَهم ومنها:

المدخلُ الأول: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالث: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

المدخلُ الخامسُ: اتباعُ الهوى.

وقد تكلمنا عن هذه المداخلِ في الجمعِ الماضيةِ.

* وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

المدخلُ السادِسُ: حُبُّ المال

• المالُ الذي في أيدينا جميعاً هو مالُ اللهِ.

قال تعالى: ﴿**وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ**﴾ [النور:٣٣].

وقال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

• وهذا المالُ الذي في أيدينا مَلَّكَنا اللهُ إياهُ لنقيمَ الصلاةَ ونُؤْتِيَ الزكاةَ ونتقربَ به إلى اللهِ تعالى.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عزوجل قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادٍ** -أي منَ المال- **لَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ، وَلَوْ كَانَ لَهُ**

وَادِيَانِ، لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(1).

• والمالُ الذي في أيدينا زينةُ الحياةِ الدنيا، وفتنةٌ وامتحانٌ.

قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن].

وقال ﷺ: **«إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»**(2).

• والإنسانُ بطبيعتِه وفطرتِه يُحِبُّ المالَ حباً شديداً.

قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى في وصف الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ -أي: المالِ- ﴿لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات].

• فلما علمَ الشيطانُ أنَّ الإنسانَ يُحِبُّ المالَ حباً جماً، وأنَّ المالَ فتنةٌ، دخلَ الشيطانُ على ابنِ آدمَ من هذا المدخلِ (وهو حبُّ المال) ليفتنَهُ وليهلِكَهُ وليجعلَهُ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٠٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٠٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٣٩)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٥)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٩/ رقم (٤٠٤) [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٣)].

عبداً لهذا المالِ، فيعملُ ليلاً ونهاراً بجمعه من حِلِّه ومن غيرِ حِلِّه، فَيُحَوِّلُ الشيطانُ المالَ من نعمةٍ إلى نِقمةٍ.

• فالشيطانُ دخلَ على كثيرٍ منَ الناسِ منْ مدخلِ حبِّ المالِ، فجعلهم يأكلونَ الربا فهلكوا، وتعرضوا لحربِ الله ورسولِهِ، وحلَّ بهم الذلُّ.

قال ﷺ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ**»(١).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩]

وقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ، لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(٢).

• ودخلَ الشيطانُ على كثيرٍ منَ الناسِ فجعلهم يقبلونَ الرِشوةَ وهي حرامٌ، فَعَرَّضوا أنفسَهم للعنةِ الله.

قال ﷺ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشِي**»(٣).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٤٦٠) بلفظ «أحلوا بأنفسهم كتاب الله» ، والحاكم (٢٢٦١)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٣٣)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٩)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجه (٢٣١٣) واللفظ له، وأحمد (٢/ ١٩٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٢١١)].

• ودخلَ الشيطانُ على كثيرٍ منَ الناس فجعلهم يُطَفِّفون في الكيلِ والميزانِ، ويكْذبونَ في البيعِ والشراءِ فعرضوا أنفسهم لعذاب الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين].

• وقال ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَـهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

وقال ﷺ: «**إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَحَلَّ الْبَيْعَ؟ قَالَ: «**بَلَى؛ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ، وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الْـمُسْبِلُ، وَالْـمَنَّانُ، وَالْـمُنَفِّقُ(٣) سِلْعَتَهُ بِالْـحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(٤).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٨٢)، ومسلم (١٥٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣١٤/ رقم (٧١١)،والحاكم (٢١٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٦)، [«صحيح الترغيب» (١٧٨٦)].

(٣) المُنْفِقُ والمنَفِّقُ روايتان في صحيح مسلم.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦).

وقال ﷺ: «**الحَلْفُ**(١) **مَنفقَةٌ للسلعةِ، مُمْحَقَةٌ للبركةِ**»(٢).

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: مَرَّ أَعْرَابِيٌّ بِشَاةٍ، فَقُلْتُ: تَبِيعُنِيهَا بِثَلاَثَةِ دَرَاهِمَ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ، ثُمَّ بَاعَنِيهَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ**»(٣).

والذي يدفعُ التُجارَ إلى الغِشِّ والكذبِ في البيعِ والشراءِ هوَ الشيطانُ الذي دخلَ عليهم من مدخلِ حبِّ المالِ.

ولذلك قالَ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالإِثْمَ يَحْضُرَانِ البَيْعَ، فَشُوبُوا بَيْعَكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»(٤).

• ودخلَ الشيطانُ على كثيرٍ منَ الأغنياءِ من مدخلِ حُبِّ المالِ، فَخَوَّفهم منَ الفقرِ، فجعلهم يكنزون ولا يتصدقون ولا يُخرجونَ زكاةَ أموالهم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة].

(١) والحَلْفُ والحَلِفُ: بسكون اللام وكسرها.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٣) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٦٢)، وابن حبان (٤٩٠٩)، [«صحيح الترغيب» (١٧٩٢)].

(٤) صحيح: رواه الترمذي (١٢٠٨)، والنسائي (٣٧٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٥٧/ رقم (٩١٣))، [«صحيح الجامع» (٧٩٧٣)].

وقال تعالى للشيطان: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء].

فلما استجابَ الأغنياءُ للشيطانِ وبخلوا بأموالهم وكنزوها عرَّضوا أنفسَهم لعذابِ الله. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

وقال ﷺ: «**مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ**»[1].

* وقد حذَّرَ اللهُ عزَّ وجلّ عبادَهُ مِنْ فتنةِ المالِ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون].

• وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ أُمتَهُ من فتنةِ المالِ فقال ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ، بَاتَا فِي زَرِيبَةِ غَنَمٍ، أَغْفَلَهَا أَهْلُهَا، يَفْتَرِسَانِ ويَأْكُلانِ بِأَسْرَعَ فِيهَا فَسَادًا مِنْ حُبِّ الْـمَالِ وَالشَّرَفِ فِي دِينِ الْـمَرْءِ الْـمُسْلِمِ**»[2].

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الصغير» (٩٣٥)، وابن الحطاب في «مشيخته» (١١٠)، [«صحيح الترغيب» (٧٦٢)].

(٢) **حسن صحيح**: رواه أبو يعلى (٦٤٤٩)، الطبراني في «الصغير» (٩٤٣)، وفي «الأوسط» (٧٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٨٩)، عن أبي هريرة [«صحيح الترغيب» (٣٢٥١)]. وهو عند الترمذي =

وقال ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْـخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ»[1].

وقال ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي! إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[2].

وقال ﷺ: «يَتْبَعُ الْـمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ؛ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[3].

* ودخلَ الحسنُ البصريُّ على عبدِالله بنِ الأدهمِ يعُودُهُ في مرضِه، فرآهُ يُصَوِّبُ بصرَهُ في صُنْدُوقٍ في بيتهِ ويُصَعِّدُهُ، ثم قال: (أبا سعيدٍ، ما تقولُ في مائةِ ألفٍ في هذا الصُندوق، لم أُؤدِّ منها زكاةً، ولم أصِلْ مِنها رَحِماً؟

قال: ثكِلَتْكَ أُمُّك، ولِمَن كُنتَ تجمعُها؟ قال: لِرَوعةِ الزَّمانِ، وَجَفْوَةِ السُّلطانِ، ومُكاثَرةِ العشيرةِ ثمّ مات، فشَهِدَهُ الحسنُ فلمّا فَرَغَ مِنْ دَفنهِ قال: انظروا إلى هذا المسكين، أتاهُ شيطانُهُ فحذَّرَهُ رَوْعَةَ زمانِهِ، وَجَفْوَة سُلطانِهِ، ومُكَاثرةَ عشيرتِهِ، عمّا رزقَهُ اللهُ إيّاه وغمَرَهُ فيه، انظروا كيفَ خَرجَ منها مَسْلُوباً محرُوباً. ثمّ التفتَ إلى الوارثِ فقال: أيّها الوارِثُ! لا تُخدعَنَّ كما خُدِعَ صُوَيحِبُكَ بالأمسِ، أتاك هذا المالُ

=(٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦) عن كعب بن مالك بلفظ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْـمَرْءِ عَلَى الْـمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» وهو حديث صحيح كذلك [«صحيح الترغيب» (١٧١٠)].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٨٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

حلالاً فلا يكوننَّ عليك وَبالاً، أتاك عفواً صفواً ممَّن كانَ له جَمُوعاً مَنُوعاً، مِنْ باطلٍ جمعَهُ، ومن حقٍّ منعَهُ، قطعَ فيه لجُجَ البحارِ، ومَفَاوِزَ القِفارِ، لم تكدحْ فيه بيمينٍ، ولم يَعْرَقْ لك فيهِ جَبِينٌ. إنَّ يومَ القيامةِ يومٌ ذُو حَسَراتٍ، وإنَّ مِنْ أعظمِ الحسراتِ غداً أن ترى مالك في ميزانِ غيرِكِ فيالهَا عَثرَةً لا تُقالُ، وتوبَةً لا تُنالُ)[1].

• وعنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنهُ كان يُعطي الناسَ عَطاءَهُم، فجاءَهُ رجلٌ فأعطاهُ ألفَ دِرهَمٍ، ثم قال: خُذها؛ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ، وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ**»[2].

• نعم والله! لقد أهلكَ الشيطانُ كثيراً من بني آدم بالدرهمِ والدينارِ عندما دخلَ عليهم من مدخلِ حُبِّ المال، وقد أخبرَنا اللهُ عن هؤلاءِ في كتابه، وأخبرَنا عنهم نبيُّنا ﷺ في سنتِه لنتعظَ بهم، فالعاقلُ مَنِ اتعظَ بغيره. ومن هؤلاء:

أولاً: صاحبُ الجنتينِ في سورة الكهف الذي افتُتِنَ بمالِه فتكبَّرَ على صاحبه وكفر، فحرمَهُ اللهُ مالَه.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ

(١)ذكره ابن حمدون «التذكرة الحمدونية» (١/ ٢٤٥)، وابن عبد ربه في «العقد الفريد» (١/ ٣٠٣)، والوطواط في «غرر الخصائص الواضحة» (١٥٨).

(٢)**صحيح لغيره**: رواه البزار (١٦١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٥٨)].

لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].

فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف].

ثانياً: قارونُ الذي افتُتِنَ بماله فبغى وطغى وكفرَ فأهلَكَهُ اللهُ ومالَه

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٦-٧٨].

فكانت النتيجةُ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

وقارونُ هو الذي قالَ اللهُ فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [العنكبوت].

ثالثاً: الأبرصُ والأقرعُ في حديث «الثلاثةُ من بني إسرائيلَ» اللذان افْتُتِنا بمالهما فسَخِطَ اللهُ عليهما

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ

فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ -أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ شَكَّ الراوي- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ؛ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْـمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ؛ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْـحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟! فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْـمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِـهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟

فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1].

هؤلاء همُ ضحايا حبِّ المالِ، دخلَ عليهمُ الشيطانُ من مدخلِ حبِّ المال فأهلكهم. فهل من معتبرٍ؟! فهل من متعظٍ؟! فهل من مستيقظٍ من غفلتهِ قبلَ فواتِ الأوانِ؟!

فالله عزَّ وجلّ يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

*** كيف يُنَجِّي المسلمُ نفسَهُ من فتنةِ حبِّ المالِ؟ أو كيفَ يغلقُ المسلمُ مدخلَ حبِّ المال أمامَ الشيطانِ؟ الجوابُ:**

أولاً: بالعلمِ الشرعيِّ.

فبالعلم الشرعيِّ يتقي المسلمُ ربَّه في مالِهِ، ويعرف حقَّ اللهِ فيه فيصلُ بمالهِ إلى أفضلِ المنازِلِ، أما الجاهلُ فيصلُ بمالِهِ إلى أخبثِ المنازلِ.

قال ﷺ: «**إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْـمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا،**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[1].

ثانياً: أن يعرفَ المسلمُ فضلَ الإنفاقِ والتصدقِ في سبيلِ الله

فمن عرفَ فضلَ الإنفاق في سبيلِ الله والتصدقِ على الفقراءِ والمساكينِ، وأنَّ ما عندَهُ يَنْفَدُ، وما عندَ الله باقٍ دفعَهُ ذلك للإنفاقِ والتصدق.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»[2].

وقال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[3].

وقال ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ»[4].

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٤٧)، وأبو يعلى (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن حبان (٣٣١٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٠/ رقم (٧٧١)، [«صحيح الترغيب» (٨٧٢)].

ثالثاً: أن يعلمَ المسلمُ أنَّ البخلَ شرٌ على صاحبِه في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠].

وقال ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(١).

وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا»(٢).

رابعاً: أن يعلمَ المسلمُ أنه واقفٌ يومَ القيامةِ بينَ يدَيْ ربِّه ليَسْأَلَهُ عن هذا المال

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر].

وقال ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ»(٣).

• ما هو المدخلُ السابعُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على الإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥١٩)، وأحمد (٢/ ١٩١)، والحاكم (١٥١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٠٧٠)، [«صحيح أبي داود» (١٤٨٩)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧)، وأبو يعلى (٧٤٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٢) عن أبي برزة، [«صحيح الترغيب» (٣٥٩٢)]، ورواه البزار (٢٦٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦١/ رقم (١١١) عن معاذ، وهو صحيح لغيره [«صحيح الترغيب» (٣٥٩٣)].

١١

المدخلُ السابعُ

منْ مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ: الغفلة

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[فاطر].

ويقول سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾[إبراهيم].

• لما خلقَ اللهُ آدمَ بيدِهِ ونفخَ فيه من روحِه وأمرَ الملائكةَ أن يسجدوا له أبى إبليسُ واستكبرَ وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢]. وإبليسُ لم يكنْ منَ الملائكة طَرْفَةَ عين. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾[الكهف].

ولم يكتفِ إبليسُ بذلكَ بل قالَ: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[الأعراف].

فإبليسُ قعدَ لابن آدمَ على كُلِّ طرقِ الخيرِ يمنعهُ منها، وقعدَ له أيضاً على كُلِّ طرقِ الشَّرِّ يدعوه إليها، ولم يكتف بذلك، بل أخذ يدخلُ من مداخلَ شتى ليُهلِكَهُ ويجعلَه من حزبه الخاسرِ الهالك، ومِنْ هذه المداخلِ:

المدخلُ الأول: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالث: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

المدخلُ الخامسُ: اتباعُ الهوى.

المدخلُ السادسُ: حبُّ المالِ.

وقد تكلمنا عن هذه المداخل في الجُمع الماضية، وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ الله تعالى مع: **المدخل السابع: الغفلةُ**

• الشيطانُ للإنسانِ عدوٌّ مبين، إذا غفِلَ الإنسانُ عن ذكرِ رَبِّهِ دخَلَ عليه الشيطانُ من مدخلِ الغفلةِ فأنساهُ ذكرَ اللهِ والصلاةَ وجميعَ العباداتِ، حتى أنساهُ القرآنَ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

ولم يكتفِ الشيطانُ بذلكَ بل جعلَ ابنَ آدم يغفلُ عن الموتِ والقبرِ والبعثِ والنشورِ والحسابِ والميزانِ والجنةِ والنارِ.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:١-٣].

فإبليسُ دخلُ على ابنِ آدمَ من مدخلِ الغفلةِ فجعلهُ في غفلةٍ عن الموت والقبرِ والآخرةِ وشغلَهُ بالدنيا الفانيةِ، وهذا حالُ كثيرٍ منَ الناسِ إلا مَنْ رَحمَ ربي، كما قالَ القائلُ:

أمـا واللهِ لـو عَلِـمَ الأنـامُ ... لمـا خُلِقـوا لمـا هَجَعـوا ونـاموا
لقـد خُلقـوا لأمـرٍ لـو رأتـهُ ... عيـونُ قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممـاتٌ ثـم قـبرٌ ثـم حـشرٌ ... وتـوبيخٌ وأهـوالٌ عظـامُ
ليـومِ الحـشر قـد عَمِلَـت رجـالٌ ... فـصلُّوا مـن مَخافتِـه وصـاموا
ونَحـنُ إذا أُمِرنـا أو نُهينـا ... كأهـلِ الكهـفِ أيقـاظٌ نيـامُ

* لماذا دخلَ إبليسُ على بني آدم من مدخل الغفلةِ؟

دخلَ إبليسُ على بني آدمَ من مدخل الغفلةِ ليجعَلهم منَ الهالكين والخاسرينَ في الدنيا والآخرة وذلك:

أولاً: لأنَّ الغفلةَ تمنعُ الإنسانَ أن ينتفعَ بآياتِ الله

وإذا كانَ الإنسانُ في غفلةٍ عنْ آياتِ اللهِ ضلَّ ضلالاً مبيناً، وسلكَ سُبُلَ الضلال.

قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

ثانياً: لأنَّ الغفلةَ سببٌ للطبعِ على قلوبِ بني آدمَ وسمعِهم وأبصارِهم

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [النحل].

وقال ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»[1].

ثالثاً: لأنَّ الغفلةَ سببٌ لعذابِ الدنيا

فهذا فرعونُ وقومُه أهلكهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ وعَذَّبهم بالغَرق بسببِ الغفلةِ.

قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٥).

رابعاً: لأنَّ الغفلةَ سببٌ لدخولِ النار

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

* فانتبهْ يا ابنْ آدمَ من غفلتِك قبل فواتِ الأوان.

• فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حذَّركَ في كتابه من الغفلةِ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]. وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم].

• وأخبركَ اللهُ عزَّ وجلَّ يا ابنَ آدمَ عن حالِ الغافلين وندمِهم لتتعظَ بهم، فالعاقلُ مَنِ اتعظَ بغيره.

• فها همُ الغافلونَ عند موتهم يقولُ أحدُهم: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ

صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]. ويقولُ أيضاً: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون].

• وها همُ الغافلونَ إذا خرجوا من قبورهم يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾ [يس:٥٢].

• وها همُ الغافلونَ في أرضِ المحشرِ يقولونَ: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

• وها همُ الغافلونَ إذا وُضِعَ الكتابُ يقولون: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

• وها همُ الغافلونَ إذا وقفوا على أبوابِ جهنمَ يقولون: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام].

• وها همُ الغافلونَ إذا دخلوا جهنمَ وصُبَّ العذابُ على رؤوسِهم صَبًّا يقولونَ: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون].

ويقولونَ أيضاً: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة].

ويقولون أيضاً: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

ويقولون أيضاً لخزنةِ جهنمَ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

* **ابنَ آدم!** كيفَ تغفلُ عن الموت وهو حقٌّ كتبَه اللهُ على جميعِ الخلائقِ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال جبريلُ عليه السلام لرسوله ﷺ: «**يَا مُحَمَّدُ! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»(1).

وكان الفاروقُ عمرُ يتمثل بهذه الأبياتِ(2):

لاَ شَيءَ مِمَّـا تَـرَى تَبْقَـى بَـشَاشَتُهُ ... يَبْقَـى الإلَـهُ وَيَفْنَـى المَـالُ والوَلَـدُ
لَمْ تُغْـنِ عَـنْ هُرْمـزٍ يومًـا خَزائِنُـهُ ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلتْ عادٌ فَما خَلَـدُوا

(1) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، [«صحيح الترغيب» (٦٢٧) (٨٢٤)].

(2) ذكره الطبري في تاريخه عن عمر (٢/ ٥٧٦).

وَلاَ سُـلَيْمَانَ إِذْ تَجْـرِي الرِّيَـاحُ لَـهُ ... والإِنْـسُ وَالجِـنُّ فِـيمَا بَيْنَهـا تَـرِدُ
أَيْـنَ الْمُلُـوكُ الّتِـي كَانَـتْ لِعِزَّتِهـا ... مِـنْ كُـلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَـا وَافِـدٌ يَفِـدُ
حوضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِـلاَ كَـذِبٍ ... لاَ بُـدَّ مِـنْ وِرْدِهِ يَوْمًـا كَـمَا وَرَدُوا

• **ابنَ آدم!** كيفَ تغفَلُ عنِ الآخرةِ، عنِ القيامةِ، عنِ الطامَّةِ الكبرى، عن الصاخَّةِ، عن يومِ الدينِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار].

• **ابنَ آدمَ!** كيفَ تغفلُ عنِ الآخرةِ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

ويقولُ سبحانَه: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ﴿٤٠﴾ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس].

يَوَدُّ الغافلُ عن يومِ القيامةِ أن يفتديَ بكلِّ ما يملكُ لينجوَ مِنْ عذابِ الله، فيُقال له كلَّا! قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج].

• **ابنَ آدم!** كيفَ تغفلُ عن النارِ واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لعباده مُحَذِّراً منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

ويقول سبحانه: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧﴾ [فاطر].

كيفَ يُنَجِّي الإنسانُ نفسَهُ من الغفلةِ؟ أو كيفَ يُغلِقُ مدخلَ الغفلةِ أمامَ الشيطان؟

الجواب:

أولاً: بالإكثارِ منْ ذكرِ الله

فالذكرُ ضِدُّ الغفلةَ، وقد أمرَ اللهُ تعالى بالذكرِ ورغَّب فيه، ونهى عن الغفلةِ وحذَّر منها؛ قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ [الأحزاب].

وجعلَ اللهُ الذكرَ عنوانَ الإيمانِ، والنسيانَ والغفلةَ عنوانَ النفاقِ والكفرانِ.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [المجادلة].

وذكرُ الله عزَّ وجلَّ يحفظُكَ منَ الشيطانِ قال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ**

عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[1].

وقال ﷺ: **«لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**[2].

وقال ﷺ: **«مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»**[3].

وقال ﷺ: **«مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»**[4].

وفي روايةٍ: **«فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ»**[5].

ولذلك لما جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ يقولُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٨٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (٢٦٩١).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٣٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥١)،[«صحيح الترمذي» (٢٧٢٤)].

(٥) **صحيح**: رواه ابن حبان (٨٢٢)، [«صحيح الجامع» (٤٩٩)].

قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله**»(١).

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْـحَيِّ وَالْـمَيِّتِ**»(٢).

ثانياً: باغتنامِ الفرصِ

قال ﷺ لرجلٍ وهو يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرِمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**»(٣).

ويقولُ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»(٤). وزادَ الترمذيُّ: «**وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ**»(٥).

فكانَ ابنُ عمرَ بعدَها يقول: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٦٨)، والحاكم (١٨٢٢)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩١)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١٨٣٢)، ، ووكيع في (الزهد) (٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٦٨) واللفظ لوكيع كلهم عن عمرو بن ميمون، [«صحيح الجامع» (١٠٧٧)]، ورواه الحاكم (٧٨٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٦٧) عن ابن عباس ، [«صحيح الترغيب» (٣٣٥٥)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٣)، وابن ماجه (٤١١٤)، وأحمد (٢/ ٤١)، [«المشكاة» (٧)].

فَلاَ تَنْتَظِرِ الْـمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِـمَوْتِكَ)[(١)].

ولذلك قالَ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[(٢)].

ثالثاً: الإكثارُ منْ ذكرِ الموتِ والقبرِ والقيامةِ والجنةِ والنارِ

يقولُ ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ؛ الْـمَوْتِ»[(٣)].

ويقول ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلاَ فَزُورُوهَا؛ فإنها تُرِقُّ الْقَلْبَ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ»[(٤)].

ويقولُ ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا والْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ»[(٥)].

ويقول ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤١٢).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٩٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٣٣)].

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم (١٣٩٣)، [«صحيح الجامع» (٤٥٨٤)].

(٥) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣)، والحاكم (١٣٧٣) [«صحيح الترغيب» (٣٥٥٠)].

(٦) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والحاكم (٣٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٠)].

كيف لا؟ والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلاَ مِثْلَ الجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا**»[1].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه].

ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ].

فانتبِهْ أيها الغافلُ مِنْ غفلتِك ولا تنسَ الموتَ والقبرَ والقيامةَ والجنةَ والنارَ قبلَ أنْ تندَمَ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

• ما هو المدخلُ الثامنُ من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفهُ في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إنْ كانَ في العمرِ بقية.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٦٠١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٣٨٣) [«صحيح الترغيب» (٣٦٦٢)].

١٢

المدخلُ الثامنُ

من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ: اللسانُ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء].

• النارُ أعدَّها اللهُ للكافرين، قال تعالى: ﴿**فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ** ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]. وإبليسُ إمامُ أئمةِ الكفرِ، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

وقد بشَّرَ اللهُ عَزَّ وجلَّ الكافرين بالنارِ والعذابِ الأليم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

فإبليسُ من المُبَشَّرين بالنارِ، بل بَشَّرَهُ اللهُ ومَنْ تبعهُ بالنارِ فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ [الإسراء].

• فلما طُرِدَ إبليسُ منَ الجنة، وبُشِّرَ بالنارِ، أعلَنَ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ، واستخدمَ في حربه أساليبَ متنوعةً ليتمكنَ من إهلاكِ بني آدمَ، ولم يكتفِ بذلكَ بلْ قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص].

وحتى يتمكنَ من إغوائِهم فهو يدخلُ عليهم من مداخلَ شتى منها:

المدخلُ الأولُ: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالثُ: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

المدخلُ الخامسُ: اتباعُ الهوى.

المدخلُ السادسُ: حُبُّ المالِ.

المدخلُ السابعُ: الغفلَةُ.

وقد تكلمنا عن هذه المداخلِ في الجُمعِ الماضيةِ فكونوا منها على حَذَرٍ، وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **المدخلِ الثامنِ: اللسانُ**

• اللسانُ حجمهُ صغيرٌ، وشأْنُهُ عظيمٌ، وجُرمُهُ كبيرٌ. يقول ﷺ: «**أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**»[(١)].

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٢)].

ولما سألَ معاذٌ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عن عملٍ يُدْخِلُهُ الجنةَ ويُبَاعِدُهُ عن النارِ دلَّه على أبوابِ الخيرِ منَ الواجباتِ والمستحباتِ، ثم قال له: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يا رسول الله! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، وقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»[1].

فالحديثان يدلان على أنَّ أكثرَ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ حصائِدُ ألسنتهم، وذلك لأن اللسانَ هو بمثابةِ القائدِ الأعلى لأعضاءِ الجسدِ، فإنِ استقامَ استقامت، وإنِ اعوَّج اعوَجَّت.

قال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ** -أي: تَذِلُّ له وتخضَعُ- **فتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»[2].

• فإذا اعْوَجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ من مدخلِ اللسانِ ليهلِكَهُ، ولذلكَ قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٣٠/ رقم (٢٦٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٩٥)، والطيالسي (٢٣٢٣)، وعبد بن حميد (٩٧٩)، وأبو يعلى (١١٨٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧١)].

ففي الآية دليلٌ على أنَّ للشيطانِ علاقةً باللسانِ إذا اعْوَجَّ، ولذلك أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ عبادَهُ في الآيةِ أن يقولوا التي هي أحسنُ حتى لا يدخلَ الشيطانُ.

فباللسانِ ينطقُ الإنسانُ بالشهادتين فيدخلُ بذلكَ في الإسلامِ، وباللسانِ ينطقُ الإنسانُ بكلمةِ الكفرِ فيخرجُ بذلكَ منَ الإسلامِ. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤].

- وباللسانِ يدخلُ الإنسانُ الجنة
- وباللسانِ يدخلُ الإنسانُ النارَ.

قال ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ**» -أي: اللسانِ- «**وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ**» -أي: الفرجِ- «**أَضْمَنْ لَهُ الْـجَنَّةَ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَـحْيَيْهِ**» -أي: اللسانِ- «**وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ**» -أي: الفرجِ- «**دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ**»(٣).

- وباللسان يتحصلُ الإنسانُ على رضا الله، وباللسانِ يَحِلُّ بالإنسانِ سَخَطُ الله.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٢) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٠٩)، وأحمد(٥/ ٣٦٢)، والحاكم (٨٠٥٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٤١٣)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨) واللفظ له.

قال ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تعالى، مَا كان يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا كان يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**»(١).

• فاللسانُ يا عبادَ الله! حجمهُ صغيرٌ، وَجُرْمُهُ كبيرٌ، ومدخلٌ عظيمٌ من مداخلِ الشيطانِ إلى الإنسانِ.

• فإذَا اعوَجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ فيدفَعُهُ للخوضِ في الباطلِ فيهلَكُ، لأنَّ الخوضَ في الباطلِ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قالَ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ فُلاَنَةً يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصِيَامِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «**هِيَ فِي النَّارِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله! فَإِنَّ فُلاَنَةً يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَتَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا! قَالَ: «**هِيَ فِي الْجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٦٩)، ومالك (١٧٨١)، وأحمد (٣/ ٤٦٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٨)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٤٤٠)، وإسحاق بن راهويه (٢٩٣)، والحاكم (٧٣٠٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٦٠)].

وقال ﷺ: «**لَـمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(١).

فكم من المسلمينَ دخلَ عليه الشيطانُ من مدخلِ اللسانِ فأوقعَه في الخوضِ في الباطلِ؟! وإذا اعوجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ فدفعهُ إلى الغيبة ليُهلِكَهُ لأنَّ الغيبَةَ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ**»(٢).

ويقولُ جابرٌ رضي الله عنه: كُنا عند النبيِّ ﷺ فهَبَّتْ ريحٌ مُنتنةٌ، فقال الرسولُ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الـمُؤْمِنِينَ**»(٣).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٣٩)].

(٢)**صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٤٠) وهوحسن صحيح عن أبي برزة الأسلمي]، وأبو يعلى (١٦٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٦٨٢) واللفظ له ، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٤) وهو صحيح عن البراء].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٣/ ٣٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٢)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٤٠)].

فكم من المسلمينَ دخلَ عليهِ الشيطانُ من مدخلِ اللسانِ فأوقَعهُ في الغِيبَةِ؟!

• وإذا اعوَّجَ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ فأوقعه في النميمةِ ليهلِكَه، فإنَّ النميمةَ حرامٌ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].

وقال ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ الْـجَنَّةَ نَمَّامٌ**»(١).

وقال ﷺ عندما مرَّ بقبرين: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْـمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْـمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ**»(٣).

فكم من المسلمينَ دخلَ عليهمُ الشيطانُ من مدخلِ اللسانِ فأوقعَهُ في النميمةِ فأفسدَ بينَ الناسِ؟!

• وإذا اعوَجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ فأوقعَهُ في الكذبِ وقولِ الزورِ وشهادةِ الزورِ ليهلِكه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٤/ ٢٢٧)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٢٢٥)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤١٨٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٢٤)].

فالكذبُ حرامٌ. قال ﷺ: «... **وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

وقولُ الزورِ وشهادةُ الزورِ حرامٌ. قال تعالى: ﴿**وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ** ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «**أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ(٢).

فكم منَ المسلمينَ دخلَ عليهم الشيطانُ من مدخلِ اللسانِ فأوقعهم في الكَذبِ وقولِ الزورِ وشهادةِ الزورِ؟!

• وإذا اعوجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ فدفعَه للقولِ على اللهِ بغيرِ علمٍ، والقولُ على اللهِ بغيرِ علمٍ، والفتوى بغيرِ علمٍ حرامٌ قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧) واللفظ للبخاري.

﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

فكم من المسلمينَ دخلَ عليهمُ الشيطانُ من مدخلِ اللسانِ فأوقعهم في القولِ على الله بغيرِ علمٍ والفتوى بغيرِ علمٍ؟!

• وإذا اعوجَّ اللسانُ دخلَ الشيطانُ على الإنسانِ من مدخلِ اللسانِ فدفعَه إلى تكفيرِ المسلمينَ فهلَكَ، لأن تكفيرَ المسلمينَ حرامٌ.

قال ﷺ: «**كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»(٣).

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٤).

يقول أبو هريرةَ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٦٠٤٥).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ للبخاري.

الْـمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ -أي: المذنبُ- **خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ** -أي: المجتهدُ-: **وَالله لاَ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْـمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»**، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[(١)].

*** كيف يُعالجُ الإنسانُ لسانَهُ من آفاتِ اللسانِ؟ أو كيفَ يغلقُ الإنسانُ مدخَل اللسانِ أمامَ الشيطانِ؟ الجواب:**

أولاً: بالصمت

قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[(٣)].

والصحابةُ ﵃ ضربوا لنا أروعَ الأمثلةِ في الصمت.

• فعن أسلمَ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَهْ! غَفَرَ اللهُ لَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لَهُ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْـمَوَارِدَ)[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠١) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٣٢٣)، وابن حبان (٥٧١٢)، [«صحيح الجامع» (٤٤٥٥)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، والدارمي (٢٧١٣)، والطبراني في «الأوسط» (١٩٣٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٤)].

(٤) **صحيح**: رواه مالك (١٧٨٨)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (٩٢) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٦٣٦) [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٣)].

إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْـجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو ذَرَبَ اللِّسَانِ**[1] **عَلَى حِدَّتِهِ**»[2].

• وهذا ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقولُ: (وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سِجْنٍ مِنْ لِسَانٍ)[3].

• وارتقى ابنُ مسعودٍ يوماً على الصفا، ثم أخذَ بلسانِهِ وقال: (يَا لِسَانُ! قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ**»)[4].

ثانياً: إمساكُ اللسانِ عنِ الخوضِ في الباطلِ وما لا خيرَ فيه.

• عن عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[5].

---

(١) ذرب اللسانِ: أي: حدتُه وشرُّه وفُحْشُه.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى (٥)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (٩٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٣)].

(٣) **صحيح موقوفا**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨٧٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٥٨)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٤٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٣/ ١٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٧٢)].

(٥) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٧١/ رقم ٧٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤١)].

• وعن سفيانَ بنِ عبدِالله رضي الله عنه قال: قلتُ: يَا رَسُولَ الله! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمْ بِهِ، قَالَ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(١).

• ولما سأَلَ معاذٌ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عن عملٍ يُدخلهُ الجنةَ ويباعِدُهُ عن النارِ قال ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**» وبعدَ أن أخبرَه بأركانِ الإسلامِ ودلَّه على أبوابِ الخيرِ قال ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»(٢).

• وكان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يأخذُ بلسانِهِ ويقولُ: (ويحك! قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوِ أمسِكْ عَنِ شَرٍّ تَسْلَمْ، وإلا واللهِ ستَنْدَم)(٣).

ثالثاً: أنْ يُرطِّبَ المسلمُ لسانَه بذكرِ اللهِ

• جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ يقول: يَا رَسُولَ الله! إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ -أي: أتمسكُ به- قَالَ ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله**»(٤).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان (٥٦٩٩)، والحاكم (٧٨٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٢)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٦٦)].

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٤٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٨)، البيهقي في «الشعب» (٤٥٩٠).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٢٦٨)، والحاكم (١٨٢٢)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩١)].

كيف لا؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿...وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»(١).

ويقول ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيم**»(٢).

ويقولُ ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْـحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»(٣).

رابعاً: على المسلم أن يُشْغِلَ لسانَه بما يُرْضِي اللهَ من قراءةِ القرآنِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، والإصلاحِ بينَ الناس

قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٥).

وقال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

خامساً: على المسلمِ أنْ يتذكرَ عذابَ القبرِ، فاللسانُ سببٌ لعذابِ القبرِ، وعليه أن يتذكرَ الحسابَ والميزان، فاللسانُ يجعلُ الإنسانَ يومَ القيامةِ منَ المفلسين

قال ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا والْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»(٢).

فَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكرِ الموتِ والقبرِ أَمْسَكَ لسانَه عنِ الباطلِ، ومن تَذَكَّرَ الحسابَ والوقوفَ بينَ يدَيِ الله أَمْسَكَ لسانَه عن الحرام.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**»(٣).

ومَنْ تَذَكَّرَ الميزانَ والحسناتِ والسيئاتِ أَمْسَكَ لسانَه عن السَّبِّ والشتمِ والغِيبةِ والنميمةِ حتى لا يكونَ منَ المفلسين.

قال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْـمُفْلِسُ؟**»، قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ، فقال: «**إِنَّ الْـمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٩١٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٨٣٠)، [«صحيح الترغيب» (١٤١٦)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وأحمد (١/ ٦٣)، والحاكم (١٣٧٣) [«صحيح الترغيب» (٣٥٥٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٦١٠).

شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

ما هوَ المدخلُ التاسعُ من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفُهُ في الجمعةِ القادمةِ إنْ شَاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمرِ بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨١).

١٣

المدخلُ التاسعُ

من مداخلِ الشيطانِ للإنسان: الأمنُ من مكرِ اللهِ

عبادَ اللهِ! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

ويقولُ سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

• لما طُرِدَ إبليسُ منَ الجنة ومن رحمةِ اللهِ، وحَلَّتْ به اللعنةُ إلى يومِ الدينِ، أعلنَ الحربَ على آدمَ وذُرِيّتِه، واستخدمَ أساليبَ متنوعةً، ولم يكتفِ بذلكَ بل أخذَ يَدْخُلُ على بني آدمَ من مداخلَ شتى ليهلكَهم منها:

المدخلُ الأولُ: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالث: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

المدخلُ الخامسُ: اتباعُ الهوى.

المدخلُ السادسُ: حُبُّ المالِ.

المدخلُ السابعُ: الغفلةُ.

المدخلُ الثامنُ: اللسانُ

وقد تكلمنا عن هذه المداخلِ في الجُمعِ الماضيةِ فكن منها يا ابنِ آدم على حَذَرٍ.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **المدخلِ التاسعِ: الأمنُ مِنْ مكْرِ اللهِ.**

• الأمنُ نقيضُ الخوفِ

والأمنُ مِنْ مكرِ اللهِ يتحقَّقُ بالاسترسالِ في المعاصي معَ الاتكالِ على رحمةِ اللهِ وعفوِهِ ومغفرتِهِ[1].

فالآمِنُ مِنْ مكرِ اللهِ تَرِكَ الطاعاتِ وأقبلَ على المعاصي بالليلِ والنهارِ، فإذا قيلَ له: اتقِ اللهَ، قال: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ**!!**

والآمنُ من مكرِ اللهِ اتخذَ دينَهُ لهواً ولعباً، فإذا قيلَ له: اتقِ اللهِ قال: إنَّ ربكَ واسعُ المغفرة**!!**

---

(١) «نضرة النعيم» (٩/ ٣٩٩٩).

والآمنُ من مكرِ الله يرتكبُ كبائرَ الذنوبِ، فإذا قيلَ له: اتقِ الله قال: إنَّ اللهَ يقولَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

• والإيمانُ الصادقُ لا يتمُّ إلا بالخوفِ من عذابِ الله، والرجاءِ لمغفرتِهِ وثوابِهِ. ولذلك قال الإمامُ الطحاويُّ رحمه الله في عقيدة أهلِ السنةِ والجماعةِ: (والأمنُ والإياسُ ينقلانِ عن ملةِ الإسلام، وسبيلُ الحقِّ بينهما لأهلِ القبلة)[1].

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

• فالخوفُ والرجاءُ للمؤمنِ كجناحَيِ الطائرِ إذا استويا استوى الطيرُ وتمَّ طيرانُه، وإذا نقصَ أحدُهما وقعَ فيه النقصُ، وإذا ذهبا صارَ الطائرُ في حدِّ الموت.

• وقد مدحَ اللهُ أهلَ الخوفِ والرجاءِ في كتابه؛ فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

(١) «العقيدة الطحاوية» تعليق الشيخ الألباني (٤٢).

فالرجاءُ يستلزمُ الخوفَ، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوفُ يستلزمُ الرجاءَ، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً[1].

• ولذلك جمع اللهُ عزَّ وجلَّ في أكثرِ مِنْ آيةٍ من كتابهِ العزيزِ بينَ الترهيبِ والترغيبِ اللذين يورثانِ الخوفَ والرَجاءَ في قلبِ المؤمن كقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة].

وقولِه تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد].

وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر].

• ومعَ ذلكَ فقد دخلَ الشيطانُ على ابنِ آدمَ من مدخلِ الرجاءِ فقال له: لا تَخَفْ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، إنَّ ربك واسعُ المغفرةِ، إن رحمتَ الله وسعَتْ كلَّ شيءٍ.

• فأمِنَ ابنُ آدمَ مكرَ اللهِ وتجرأ على معصيةِ اللهِ، وتركَ طاعةَ اللهِ فوقعَ في كبيرةٍ من كبائرِ الذنوبِ ألا وهي: الأمنُ مِنْ مكرِ الله.

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٧١-٣٧٢).

• نقولُ للآمِنِ من مكرِ اللهِ: كيفَ تأمنُ مكرَ اللهِ؟ والخوفُ من اللهِ فرضٌ على كُلِّ أحدٍ.

فالله عَزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥]. ويقولُ سبحانه: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٥١﴾ [النحل].

بل الخوفُ من اللهِ من لوازمِ الإيمان. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران].

فاللهُ عزَّ وجلَّ أهلٌ لأن يُخافَ ويُتقى قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المدثر].

• وقد مدحَ اللهُ وأثنى على أهلِ خشيتِهِ وأهلِ الخوفِ منه فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون].

و عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «**لاَ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لاَ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ**»[1].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ٢٠٥)، والحاكم (٣٤٨٦)، [«السلسلة الصحيحة» (١٦٢)]

وقال الحسنُ رحمه الله: (اجْتَهَدوا والله في الطاعةِ، ثم خافوا أن تُردَّ عليهم أعمالُهم، إنَّ المؤمنَ جَمَعَ إحساناً وخشيةً، وإنَّ المنافقَ جمعَ إساءةً وأَمْناً)[1].

• وأثنى اللهُ أيضاً على أهل خشيته على لسان رسوله ﷺ.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ...»** وذكر منهم: **«وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**[3].

وفي الحديث القدسيِّ: أنَّ اللهَ تعالى قال: **«وَعِزَّتِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[4].

• ابن آدم! كيفَ تأمنُ مكرَ الله؟ والله عزَّ وجلَّ حَذَّرَنا في كتابه من أن نأمنَ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٤٨).

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٦٣٩)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (١٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٧٧٥)، [«صحيح الترغيب» (١٢٢٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٤) **حسن صحيح**: رواه البزار (٨٠٢٩)، وابن حبان (٦٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٦٦٦)].

مكرَهُ، وأَخْبَرَنا سبحانه أنَّ الذين يأمنون مكرَ الله هم الخاسرون الهالكون.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [الملك].

• ابنَ آدم! كيفَ تأمنُ مكرَ الله؟

• وهاهُمُ الملائكةُ الذين لا يعصونَ اللهَ ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويُسَبِّحونَ اللهَ بالليل والنهار لا يفترون؛ يخافونَ من اللهِ عَزَّ وجلّ:

قال تعالى في وصفهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

ويقول ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بالمَلأِ الأَعْلَى، وجِبْرِيلُ كَالحِلْسِ**(١) **البَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٢).

---

(١) الحلس: الكساء.

(٢) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٤٣٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢١)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٩) واللفظ له، [«صحيح الجامع» (٥٨٦٤)].

• وها هم الأنبياء، صفوةُ الخلقِ يخافونَ ربَّهم:

قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

وهو إبراهيم عليه السلام يقولُ في دعائه: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

• وها هو رسولُنا محمدٌ ﷺ يقولُ: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام].

ويقول ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**»(١).

ويقول ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ**»(٢) -أي: فينفخ.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والحاكم (٣٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٥٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٢٤٣)، وأحمد (٣/ ٧٣) واللفظ له، وأبو يعلى (١٠٨٤)، وابن حبان (٨٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٢٠٠٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٩٦)، والحاكم (٨٦٧٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٧٩)].

• ولما مات عثمانُ بنُ مظعونٍ رضي الله عنه، قالت أُمّ الْعَلاَءِ -امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ-: رَحْمَةُ الله عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ! فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟**» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَالَ: «**أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْـخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي**» قَالَتْ: فَوَاللهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا[1].

• وها هم عبادُ الرحمنِ يخافونَ اللهَ عَزَّ وجلَّ! قال تعالى في وصفهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

ويقول أيضاً في وصفهم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

• وها همْ أهلُ الجنة يخبرونَنا أنَّ سببَ أمنِهم في الآخرة، وفوزِهم بالجنة هو أنهم كانوا في الدنيا يخافونَ منَ اللهِ قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (١٢٤٣).

* **ابنَ آدمَ!** كيف تأمنُ مكرَ الله؟ والله عزَّ وجلَّ في كتابه أنزلَ آياتٍ بيناتٍ يُخَوِّفُ بها عبادَهُ تخلعُ القلوبَ، وتهزُّ الأبدانَ، وتَقشَّعِرُّ لها الجلودُ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾ [النبأ].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة].

وقد ذكر سبحانَهُ أنَّ الحكمةَ من ذكر هذه الآياتِ وأمثالِها تخويفُ عبادِهِ حتى يتقوه، فقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه].

فيا من أَمِنتَ مكرَ اللهِ! أما تقرأُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]. وقولهُ تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

وقولَهُ تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب].

فيا من أَمِنتَ مكرَ اللهِ! إذا سأَلَ اللهُ الصادقين عن صدقهم، فكيف يكونُ حالُ الكاذبين والعصاةِ المجرمين؟

• يا من أمنتَ مكرَ اللهِ! أما تقرأُ أحاديثَ رسولِ اللهِ ﷺ التي يخوِّفُ بها أُمتهُ ومنها:

قوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ**

الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ...» الحديث[1].

ويقول ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ.قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**»[2].

و عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»[3].

فكيف ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ، واللهُ عزَّ وجلَّ يخبرُنا عن هذا اليومِ فيقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) واللفظ له.

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان].

ويقول سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [عبس].

ويقول سبحانه: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفجر].

ويقول ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١).

• ابنَ آدم! كيف تأمنُ مكرَ الله؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٢).

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

نعم والله! لا يأمنُ مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون، أما المؤمنون الصادقون فهمُ الذينَ يخافونَ ربَّهم، فدفعهُمْ خوفُهم إلى الطاعاتِ والابتعادِ عن المعاصي فأَمِنوا يومَ القيامة.

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

ويقول سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

فلما خافوا عملوا، ولما عملوا أمِنوا يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل].

أما الذين دخلَ عليهمُ الشيطانُ من بابِ الرجاءِ وأمَّنهم مكرَ اللهِ تركوا عبادةَ اللهِ، وأقبلوا على معصيتِه، فندموا يومَ القيامةِ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ، وقالوا: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام]. وقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك].

فاحذرْ يا عبدَ الله أن تكونَ من الآمنين مكرَ الله فتندمَ يومَ القيامة في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندمُ.

ما هو المدخلُ العاشرُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على الإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفه إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الجمعةِ القادمةِ إنْ كانَ في العمرِ بقيةٌ.

١٤

المدخلُ العاشرُ

من مداخلِ الشيطانِ للإنسانِ: القنوطُ من رحمةِ الله

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في وصفِ الشيطانِ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص].

فالشيطانُ عدوٌ مُضِلٌّ مبينٌ لبني آدمَ، يقودُ المعركةَ معهم بنفسِه، ويستخدمُ في معركتِه أساليبَ متنوعةً ليهلكهم، ولم يكتفِ بذلك بل يدخلُ عليهم من مداخلَ شتى ليكونوا من أصحابِ السعيرِ، ومنْ هذه المداخلِ:

المدخلُ الأول: الجهلُ.

المدخلُ الثاني: الغضبُ.

المدخلُ الثالث: حبُّ الدنيا.

المدخلُ الرابعُ: الكِبْرُ.

المدخلُ الخامسُ: اتباعُ الهوى.

المدخلُ السادسُ: حُبُّ المالِ.

المدخلُ السابعُ: الغفلَة.

المدخلُ الثامن: اللسانُ.

المدخل التاسعُ: الأمنُ من مكرِ الله.

وقد تكلمنا عن هذه المداخلِ في الجُمعِ الماضيةِ فكونوا منها على حَذَرٍ، وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع **المدخلِ العاشرِ: القنوطُ مِنْ رحمةِ الله. أو اليأسُ من رحمةِ الله**

• والخوفُ والرجاءُ قرينان، إذا انفكَّ أحدُهما عن الآخرِ هلكَ الإنسانُ، فإذا انفردَ العبدُ بالخوفِ وحدَهُ كانَ ذلك قُنوطاً من رحمةِ الله، وإذا انفردَ بالرجاءِ وحدَهُ كان أمناً منْ مكرِ الله، وكلاهُما مذمومٌ، والمحمودُ: الجمعُ بينَ الرجاءِ والخوفِ، فيعملُ المؤمنُ بطاعةِ اللهِ وهو يرجو رحمَةَ اللهِ، ويتركُ معصيةَ اللهِ خوفاً من عقابِ الله[1].

وقد مدحَ اللهُ عبادَهُ الذين يعبدونَهُ بالخوفِ والرجاءِ؛ قال تعالى في وصفِ الملائكةِ: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧** ﴾ [الإسراء].

---

(١) «إعلام ذوي الأفئدة» (ص١٤٨) للشيخ عبدالعظيم بدوي حفظه الله.

فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول للذين عبدوا الملائكة: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي، يتقرَّبون إليَّ بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعونهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضلِ أحوَالِهم ومقاماتِهم من الحبِّ والخوفِ والرجاءِ.

• وقال تعالى في وصفِ الأنبياءِ والمرسلين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ [الأنبياء].

• وقال تعالى في وصف عبادِه الصالحين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾ [السجدة].

• والعبدُ وهو يسيرُ إلى ربِّه بالخوفِ والرجاءِ يأتيه الشيطانُ العَدُوُّ المبينُ فيدخلُ عليه من بابِ الرجاءِ فقط، فيقولُ له: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، إنَّ ربَّكَ واسعُ المغفرة، ورحمةُ الله وسعَتْ كُلَّ شيءٍ فيجعلُهُ يأمنُ مكرَ الله، والأمنُ مِنْ مكرِ الله يورثُ الغفلةَ، والغفلةُ تورِثُ التهاونَ، وما أدراكَ ما التهاونُ؟ هو سُلَّمُ الشيطانِ وسببٌ من أسبابِ الخسران.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف].

• فإذا لمْ يستطعِ الشيطانُ أن يدخُلَ للعبدِ من بابِ الأمنِ مِنْ مكرِ الله، دخلُ عليه من بابِ القُنوطِ من رحمةِ الله، فيقولُ له: إنَّ ذنوبَكَ كثيرةٌ وعظيمةٌ لا يمكنُ أنْ تُغْفَرَ، ولا يمكنُ أن تُدْرِكَكَ رحمةُ الله، فيظلُّ خلفَ العبدِ حتى يقنطَ، فإذا قَنَطَ

قالَ له: إذاً فتمتعْ من الدنيا بما تشاءُ قبلَ الموتِ ما دُمْتَ داخلاً النارَ لا محالَة؛ بهذهِ الطريقةِ يستدرجُ العبدَ حتى ينطلقَ في المعاصي والشهواتِ ليقضيَ نَهْمَتَهُ منها، فيكونَ من الضالين المعَذَّبين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٣﴾ [العنكبوت].

• وكيف يقنطُ العبدُ من رحمةِ الله ويستجيبُ للشيطانِ العدوِّ المبينِ؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر].

ويقولُ سبحانَهُ على لسانِ الملائكةِ: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحجر].

* أيها العاصي! كيفَ تقنطُ من رحمةِ الله؟ ... ورحمةُ الله واسعةٌ!

• فاللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

• ويقولُ سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر].

• وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤﴾ [الأنعام].

• وقال ﷺ: «لَـمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»(١). وفي روايةٍ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»(٢).

• وقال ﷺ: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

• عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لاَ، وَهْيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَـلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»(٤).

• وقال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْـمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»(٥).

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٢٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٦٩) (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) واللفظ له.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) واللفظ للبخاري.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٥٥).

* أيها العاصي! كيف تَقْنَطُ من رحمةِ الله؟ والله عزَّ وجلَّ يغفرُ الذنوبَ جميعاً.

• قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر:٣].

• وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ [الرعد:٦].

• وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر].

• عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠﴾ [الفرقان].

ونزل: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر][1].

• وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٧٤٩).

• وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ! حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**»(1).

• وقال ﷺ: «**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَـهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**»(2).

• أيها العاصي! كيفَ تقنطُ من رحمةِ الله؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يفتحُ أبوابَ التوبةِ أمامَ العُصاةِ على مَصْراعَيْها فيقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:8].

ويقولُ سبحانَه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة].

---

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (2441)، ومسلم (2768) واللفظ للبخاري.

(2) **صحيح**: رواه مسلم (2767).

فالله عزَّ وجلَّ يقبلُ التوبةَ:

• من الكافرِ إذا تابَ مِنْ كُفرِهِ، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

• ومن اليهودِ الذينَ قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]. وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤].

• ومنَ النصارى الذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [يونس:٦٨]، وقالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

وبعدَ ما قالوا ما قالوا فتحَ اللهُ أمامَهم بابَ التوبة. فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة].

• ومن المنافقين الذين أَبْطنوا الكفرَ وأظهروا الإسلامَ إذا تابوا من نفاقهم وكفرهم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء].

• ومن الذين عَذَّبوا أولياءَ اللهِ وحَرَّقوهُم بالنارِ إذا تاب هؤلاء الظَّلمةُ من فعلِهم وكفرِهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

يقولُ الحسنُ البصريُّ رحمهُ اللهُ: (انظروا إلى هذا الكرم والجودِ، قتلوا أولياءَه وهو يدعوهم إلى التوبةِ والمغفرةِ)[1].

فيا أيها القانطُ من رحمةَ الله! اللهُ عزّ وجلّ يفتحُ أبوابَ التوبةِ أمامَ الكافرِ، وأمامَ اليهودِ والنصارى، وأمامَ المنافقين، وأمامَ الذين قتلوا أولياءَهُ ليتوبوا، ووعدَهم إن تابوا تابَ عليهم، وأنتَ تقنطُ من رحمةِ الله أيها المسلمُ، وتَيْئَسُ من رَوْحِ اللهِ، إنه الشيطانُ الذي سوَّلَ لكَ ذلكَ ليحرِمَكَ منَ التوبةِ قبلَ الموت.

وها أنا أضعُ أمامَكَ أيها القانطُ من رحمةِ الله أمثلةً للتائبين الذين تابوا إلى اللهِ توبةً نَصوحاً وتَقَبَّلَ اللهُ منهم توبَتَهم وغفرَ لهم.

المثالُ الأولُ: الرجلُ الذي قتلَ مائةَ نفسٍ.

قال ﷺ: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ؟ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ:**

(١) رواه آدم ابن أبي إياس كما في «تفسير مجاهد» (٤٩٥). وانظر «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٣٢).

جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ -أي: حكما- فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ»(1).

المثالُ الثاني: المرأةُ التي زَنَتْ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى؛ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَصَبْتُ حَدّاً، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّهَا؛ فَقَالَ: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَائْتِنِي بِهَا**» فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَشُكَّتْ(2) عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللهِ! وَقَدْ زَنَتْ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ تَعَالَى**»(3).

المثالُ الثالث: توبةُ ماعزِ بن مالكٍ الذي زنى.

جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! طَهِّرْنِي. فَقَالَ: «**وَيْحَكَ! ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**». قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ! ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ وَتُبْ إِلَيْهِ**». قَالَ: فَرَجَعَ

(1) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(2) فَشُكَّتْ: أي: فَشُدَّتْ.

(3) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٦).

غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! طَهِّرْنِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِيمَ أُطَهِّرُكَ؟**». فَقَالَ: مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبِهِ جُنُونٌ؟**» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ. فَقَالَ: «**أَشَرِبَ خَمْراً**». فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ -أي: شَمَّ رائحةَ فمه- فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَزَنَيْتَ؟**». فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ: قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ إِنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ**»، فَقَالُوا: غَفَرَ اللهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ**»[1].

المثالُ الرابعُ: كعبُ بنُ مالكٍ وصاحباهُ الذين تخلفوا عنْ رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٦٩٥).

• أدلةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسنةِ تُخبرُ عن سَعَةِ رحمةِ اللهِ ومغفرتِهِ وعفوِه عنِ العُصاةِ، فإذا سمعَ العاصي الخائفُ بها قَوِيَ رجاؤُهُ في رحمةِ الله، فاستقامَ على طاعتِه، ولم يقنَطْ أبداً من رحمةِ اللهِ، وهذا هو المقصودُ من الخوفِ والرجاءِ، كما وصفَ اللهُ أنبياءَه وأولياءَه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

فقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩].

وقد اختُلفَ أيُّهما أفضلُ؟ الخوفُ أمِ الرَّجاءُ؟

والجوابُ: الخوفُ والرجاءُ دواءان تُداوى بهما القلوبُ، فَفَضْلُهما بحسَبِ الداءِ الموجودِ، فإنْ كانَ الغالبُ على القلبِ الأمنَ مِنْ مكرِ اللهِ تعالى والاغترارَ به، فالخوفُ أفضلُ، وإنْ كانَ الأغلبُ هو اليأسَ والقنوطَ من رحمةِ الله فالرجاءُ أفضلُ، وكذلك إنْ كانَ الغالبُ على العبدِ المعصية، فالخوفُ أفضلُ، وإنْ كانَ الغالبُ الطاعةَ فالرجاءُ أفضلَ، فالأصلحُ أن يتعادلَ خوفُهُ ورجاؤُهُ في حالِ حياتِهِ فإذا أشرفَ على الموتِ كان الأصلحُ غَلَبَةَ الرجاءِ وحسنَ الظن، لقول النبي

ﷺ: «**لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**»(١). لأن الله عزَّ وجلَّ قال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»(٢).

فالرجاءُ في حالِ الاحتضارِ يُؤَمِّنُ الإنسانَ مما يخافُ ويبلِّغُهُ ما يرجو:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْـمَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمُوْطِنِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(٣).

• هذه أساليبُ الشيطانِ في معركتِه مع بني آدمَ، وهذه مداخِلُهُ التي يدخلُ منها على بني آدمَ ليُهلِكَهم، ولم يكتفِ الشيطانُ بذلك بل يتعدى على الإنسان في دينه وفي نفسه وبدنِه ومالِه منْ لحظةِ ولادتِه إلى أن تخرجَ روحُهُ من جسده.

فما هي اعتداءاتُ الشيطانِ على الإنسان؟ هذا الذي سنتحدثُ عنه ابتداءً من الجمعةِ القادمةِ إنْ شَاءَ الله تعالى إن كانَ في العمرِ بقيةٌ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) **حسن صحيح**: رواه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٠١)، وأبو يعلى (٣٤١٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٨٣)].

١٥

اعتداءاتُ الشيطانِ على الإنسان

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه.

الاعتداء الثاني: اعتداءُ الشيطانِ على صلاةِ الإنسان.

عبادَ الله! يقولُ الله عزَّ وجلَّ في كتابِه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[الإسراء].

• لما خلقَ اللهُ آدمَ بيده، ونفخَ فيه من روحِه، وأمرَ الملائكةَ أن يسجدوا له، حسدَ إبليسُ آدمَ ورفضَ أنْ يسجدَ له وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾. وقال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر]. وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

ولم يكتفِ إبليسُ بذلك بل أعلَنَ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ فقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا

ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

• والمعركةُ بينَ الشيطانِ والإنسانِ تبدأُ منَ اللحظةِ الأولى مِنْ ولادتِهِ وحتى آخِرِ نفسٍ من حياته، فبدايةُ المعركةِ هي عبارةٌ عن إعلانِ الحربِ بطعنةٍ في جنبي المولودِ ظلماً وعُدواناً وحَسداً.

• قال ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ، إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**»(١).

• وقال ﷺ: «**صِيَاحُ الْـمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(٢).

ونهايةُ المعركةِ بينَ الشيطانِ والإنسانِ تكونُ بخروجِ روحِ الإنسانِ يقول ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(٣).

يأتي الشيطانُ الإنسانَ وهو في سَكَراتِ الموتِ يقولُ له: مُتْ على اليهودية! مُتْ على النصرانيةِ! أتموتُ على الإسلام وربُّكَ يفعلُ بك كذا وكذا؟ يريدُ أن

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٦٧).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٣/٢٩)، وأبو يعلى (١٣٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨)، والحاكم (٧٦٧٢) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

يُخرِجَهُ منَ الدنيا على غيرِ الإسلامِ. ولذلك كانَ رسولُ الله ﷺ يستعيذُ بالله دائماً مِنْ أنْ يَتَخَبَّطَهُ الشيطانُ عندَ الموتِ.

فيقول ﷺ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَالْـهَدْمِ، وَالْغَرَقِ وَالْـحَرْقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْـمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً**»(١).

فاللهُ عَزَّ وجلَّ وحدَهُ هو الذي يُثبِّتُ المؤمنَ على دينِه في الدنيا وعندَ الموتِ وفي القبرِ قال تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ** ﴾ [إبراهيم:٢٧].

* المعركةُ بينَ الشيطانِ والإنسانِ شرسةٌ، يقُودُها إبليسُ بنفسه ليلاً ونهاراً، لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ ولا ينامُ ولا يَقيلُ.

• قال ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْـمَاءِ** -وفي طريق البحر- **ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!**» قَالَ الأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «**فَيَلْتَزِمُهُ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وأحمد (٣/ ٤٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٠/ رقم (٣٨١)، والحاكم (١٩٤٨)، [«صحيح الجامع» (١٢٨٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

• وقال ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ. قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَشْرَكَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى زَنَى فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيَجِيءُ هَذَا، فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ»(١).

فإبليسُ وجنودُهُ ينشرونَ الشرَّ ليلاً ونهاراً لا ينامون ولا يقيلون. قال رجلٌ للحسنِ البصريِّ: أينامُ إبليسُ؟ قال: لو نامَ لوجَدْنا راحةً(٢).

وقال ﷺ: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ»(٣).

• إبليسُ وجنودُهُ مع نشرهم للشَّرِّ بالليلِ والنهارِ، فهم يعتدون على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه، وصلاتِهِ، ونومِه، وغير ذلك.

فما هي اعتداءاتُ الشيطانِ على الإنسانِ لنكونَ منها على حذرٍ؟

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسان وعقيدتِه ويكون ذلك:

١- بالكفر والشركِ. قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٦١٨٩)، والحاكم (٨٠٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٠)].

(٢) **رواه أحمد في** «الزهد» (١/ ٢٦٦).

(٣) **حسن**: رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٠٤٧)، [«صحيح الجامع» (٤٤٣١)].

وقال ﷺ ذاتَ يومٍ في خُطبتِهِ: «**أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...**»(١).

٢- بإفساد العقيدة والابتداعِ في الدين، قال ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ! فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقْرَأْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ**»(٣).

وقال ﷺ: «**يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْـخَلْقَ؛ فَمَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥٧)، وأبو يعلى (٤٧٠٤)، وابن حبان (١٥٠)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٠)].

[الإخلاص] **ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»**(١).

قال الإمامُ الألبانيُّ رحمه الله: (دَلَّتْ هذهِ الأحاديثُ الصحيحةُ على أنه يجبُ على مَنْ وسوسَ إليه الشيطانُ بقوله: مَنْ خلقَ اللهَ؟ أنْ ينصَرِفَ عن مُجادَلتِه إلى إجابَتِهِ بما جاءَ في الأحاديثِ المذكورةِ، وخلاصتُها أنْ يقولَ: آمنتُ باللهِ ورسلِهِ، اللهُ أحدٌ، الله الصمدُ، لم يلدْ ولم يولَدْ، ولم يكن له كفواً أحد. ثم يَتْفُلُ عن يَساره ثلاثاً، ويستعيذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ، ثم ينتهي عنِ الانسياقِ معَ الوسوسةِ.

وأَعتقدُ أنَّ مَنْ فعلَ ذلك؛ طاعةً للهِ ورسولِه، مُخْلصاً في ذلك أنه لا بدَّ أنْ تذهبَ الوسوسةُ عنه، ويندحَر شيطانُه؛ لقوله ﷺ: «**فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ**»(٢).

وهذا التعليمُ النبويُّ الكريمُ أنفعُ وأقطَعُ للوسوسةِ منَ المجادلةِ العقليةِ في هذه القضيةِ، فإنَّ المجادلةَ قلما تنفعُ في مثلِها، ومنَ المؤسفِ أنَّ أكثرَ الناسِ في غفلةٍ عَنْ هذا التعليم النبويَّ الكريم! فتنبهوا أيها المسلمون! وتَعَرَّفوا إلى سنةِ نبيِّكم، واعملوا بها: فإنَّ فيها شفاءَكم وعِزَّكم)(٣).

• فالشيطانُ يعتدي على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه ليُهْلِكَهُ، وليكونَ من حزبِهِ في الدنيا ومعه في النار في الآخرة، وصدقَ ربُّ العزةِ حيثُ يقولُ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٤٧٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٢٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٥٣)، [«صحيح الجامع» (٨١٨٢)].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٢٥٧)، والبزار (٥٠)، وأبو يعلى (٤٧٠٤)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٠)].

(٣) انظر «السلسلة الصحيحة» المجلد الأول، القسم الأول (ص٢٣٦).

عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

• فَمنِ الذي جعَلَ النصارى يقولونَ: عيسى هو الله، عيسى ابنُ الله، إنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثة؟!... إنه هو الشيطانُ!

ومَنِ الذي جعَلَ اليهودَ يقولون: عُزيرٌ ابنُ الله؟ ويقولون: إنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياءُ، ويقولونَ: يدُ اللهِ مغلولةٌ؟!... إنه هو الشيطان!

ومَنِ الذي جَعَلَ قومَ موسى يقولونَ لموسى: اجعَلْ لنا إلهاً كما لهم آلهة؟!... إنه هو الشيطان!

ومَنِ الذي جعلَ كفارَ مكةَ يقولونَ: أجَعَلَ الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجابٌ؟!... إنه هو الشيطان!

ومَنِ الذي جعلَ عُبّادَ القبورِ يطوفونَ بالقبورِ، ويَدْعونَ الأمواتَ مِنْ دونِ الله؟!... إنه هو الشيطان!

ومَنِ الذي جعلَ الخوارجَ يقتلونَ أهلَ الإسلامِ ويَدَعُونَ أهلَ الأوثانِ، ويُكَفِّرونَ المسلمَ الذي يقولُ لا إلهَ إلا اللهُ بالمعصيةِ؟!... إنه هو الشيطان!

ومَنِ الذي جعَلَ الشيعةَ الروافضَ يقولونَ: النظرُ إلى عليٍّ عبادة، ويقولون: مَنْ زار قبرَ الحسينِ كان كمن زارَ اللهَ فوقَ عرشه. ويقولون: إنَّ زائري قبرَ الحسين يدخلونَ الجنةَ قبلَ الناسِ؟!.. إنه هو الشيطانِ

نعمْ إنه الشيطانُ اعتدى على هؤلاءِ الجَهَلةِ فأفسَدَ عقيدَتَهم وأخرجَهم عن دينِهم، وهم يظنونَ أنهم يُحْسِنُونَ صنعاً.

واللهُ عَزَّ وجلَّ يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطانِ على صلاةِ المسلمِ.

- الصلاةُ هي الركنُ الثاني من أركانِ الإسلامِ.
- الصلاةُ عمودُ الدينِ.
- الصلاةُ نورٌ.
- الصلاةُ تجارةٌ رابحةٌ.
- الصلاة سببٌ للتمكين في الأرض.
- الصلاةُ سببٌ لدخولِ الجنةِ.
- الصلاةُ هي الصلةُ بينَ العبدِ وربِّه.

ولذلك يعتدي الشيطانُ على صلاةِ العبدِ ليحرِمَهُ مِنْ هذا الخيرِ، ويظهرُ ذلكَ مما يلي:

أولاً: حضورُ الشيطانِ بينَ الإنسانِ وقلبِه في الصلاةِ للوسوسةِ.

يقول النبيُّ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، فَإِذَا قُضِيَ

أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا -أي أُقيمت الصلاة- **أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الإِنْسَانِ وَقَلْبِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا؛ حَتَّى لاَ يَدْرِي أَثَلاَثاً صَلَّى أَمْ أَرْبَعاً...**»[1].

وفي روايةٍ: «**حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِى كَمْ صَلَّى؟!**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَهُ الشَّيْطَانُ فَلَبَّسَ عَلَيْهِ، حَتَّى لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ**»[3].

وأتى عثمانُ بنُ أبي العاصِ النبيَّ ﷺ فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي، يُلَبِّسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزَبٌ**[4]**، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثاً**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي[5].

ثانياً: اختلاسُ الشيطانِ منْ صلاةِ العبدِ

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ الاِلْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ فَقَالَ ﷺ: «**هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ**»[6].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٨٥)، ومسلم (٣٨٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣١)، ومسلم (٣٨٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٣٢)، ومسلم (٣٨٩).

(٤) خنزب: يجوز في الخاء الثلاثة أوجه الفتح والكسر والضم راجع «النهاية» (٢/ ٨٢) و«شرح المسلم» برقم (٢٢٠٣).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٧٥١).

ثالثاً: مرورُ الشيطانِ بين يَدَيِ المصلي لِيَقْطَعَ عليه صلاته

• قال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا، لاَ يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ»[1].

• وقال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ، فَلْيَدْنُ مِنْهَا، لا يَمُرُّ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا»[2].

• وقال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا لاَ يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ»[3].

• وقال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[4].

• وقال ﷺ: «لاَ تُصَلِّ إِلاَّ إِلَى سُتْرَةٍ، وَلاَ تَدَعْ أَحَداً يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنْ أَبَى فَقَاتِلْهُ؛ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٩٥)، والنسائي (٧٤٨)، وأحمد (٤/ ٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤٠٧)، [«صحيح الجامع» (٦٥٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٦٢٤)، [«صحيح الجامع» (٦٣٧)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٩٨)، وابن ماجه (٩٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٤٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٧٣)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٩٥٥)، وأحمد (٢/ ٨٦)، وابن خزيمة (٨٠٠) واللفظ له، والبزار (٦١٤٧)، وابن حبان (٢٣٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٦٨)، والحاكم (٩٢١)، [«صحيح الترغيب» (٥٦١)].
وفي لفظ لمسلم: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّى فَلاَ يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ» (٥٠٦).

• عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةً مَكْتُوبَةً، فَضَمَّ يَدَهُ فِي الصَّلاَةِ، فَلَمَّا صَلَّى قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَحَدَثَ فِي الصَّلاَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**لاَ، إِلاَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيَّ، فَخَنَقْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي، وَأَيْمُ اللهِ**[1] **لَوْلاَ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَخِي سُلَيْمَانُ؛ لاَرْتُبِطَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْـمَسْجِدِ حَتَّى يَطِيفَ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ**»[2].

«**فَمَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لاَ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ**»[3].

• وكان ﷺ يقول: «**إِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤْخِرَةِ**[4] **الرَّحْلِ فَلْيُصَلِّ؛ وَلاَ يُبَالِ مَنْ مَرَّ وَرَاءَ ذَلِكَ**»[5].

• عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْطَعُ الصَّلاَةَ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَي الرَّجُلِ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ: الْـمَرْأَةُ، وَالْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ الأَسْوَدُ**» قُلْتُ: مَا بَالُ الأَسْوَدِ مِنَ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «**الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**»[6].

---

(١) وأيم: تقرأ بهمزةِ وصلٍ على الألف وبهمزةِ قطعٍ عليها.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠٥٣)، والدارقطني (١٣٧٥) واللفظ له، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٥٠)، [«صفة الصلاة» ص٨٤].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٨٢) ، [«صفة الصلاة» ص٨٤].

(٤) مُؤْخِرَةِ الرحلِ: بضم الميم وكسر الخاء وهمزة ساكنة، وهي العود الذي في آخر الرحل.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٤٩٩).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (٥١٠)، واللفظ لابن ماجه (٩٥٢)، وفي لفظ لأبي داود (٧٠٣) عن ابن عباس: «**يَقْطَعُ الصَّلاَةَ الْـمَرْأَةُ الْـحَائِضُ وَالْكَلْبُ**»، ويعني بالحائض: البالغة.

فليتقِ اللهَ المسلمُ في صلاتِه، فإذا صَلَّى فَلْيُصَلِّ إلى سترةٍ فإنها واجبةٌ، وليتَّقِ اللهَ الذين يَمُرونَ بينَ يَدَي المصلين، فإن النبيَّ ﷺ يقول: «**لَوْ يَعْلَمُ الْـمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْـمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ**[1] **لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**»[2].

قال أبو النَّضْرِ: لا أدري! قال: أربعين يومًا، أو شهراً، أو سنةً؟

رابعاً: منعُ الشيطانِ المسلمَ مِنْ تسويةِ الصَّفِّ في الصلاةِ

أخبرَنا النبيُّ ﷺ أنَّ الشيطانَ يعتدي على صفوفِ المسلمينَ في الصلاةِ فيعملُ على عدمِ تسويتها.

قال ﷺ: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، وَحَاذُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَسُدُّوا الْـخَلَلَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْـحَذَفِ**» يَعْنِي: أَوْلاَدَ الضَّأْنِ الصِّغَارَ[3].

وقال ﷺ: «**أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ الْـمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْـخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ**»[4].

---

(١) ماذا عليه: أي: لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه من الإثم لاختار الوقوف أربعين على ارتكاب ذلك الإثم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٥٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٢٧)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٨٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٩١)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٦٦)، وأحمد (٢/ ٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٠١)، [«صحيح الترغيب» (٤٩٥)].

(الفُرجات): جمع فُرْجة، وهي المكانُ الخالي بين الاثنين. ومعنى **(وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ)** أي: لا تتركوا مكاناً خالياً بينكم في الصفِّ يدخلُ منهُ الشيطانُ، ومَنْ سدَّ الفُرْجَة التي بينهُ وبينَ أخيهِ فقد وصلَ الصفَّ، ومَنْ وصلَ صفاً وصلَهُ اللهُ، ومن لم يستجبْ لأمرِ رسولِ الله ﷺ وتركَ الفُرجةَ بينهُ وبينَ أخيه في الصفِّ، فقد قطع الصفَّ، ومن قطع صفاً قطعهُ الله، وهو بذلك يكونُ قدْ أطاعَ الشيطانَ وعصى رسولَ الله ﷺ.

• والشيطانُ يعتدي على المسلمينَ في تسويةِ صفوفِهم.. أتدرون لماذا؟

أولاً: ليحرمَهم من الصلاةِ التامَّةِ الحسنةِ.

يقول ﷺ: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ**»[(١)]. وفي رواية: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ**»[(٢)]. وفي روايةٍ: «**أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلاَةِ؛ فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ**»[(٣)].

ثانياً: ليوقِعَ بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ بسببِ اختلافِ قلوبهم.

قال ﷺ: «**اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»[(٤)]. وقال ﷺ: «**أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، وَاللهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**»[(٥)]. وفي رواية:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤٣٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٢).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٦٦٢)، وأحمد (٤/ ٢٧٦)، وابن خزيمة (١٦٠)، وابن حبان (٢١٧٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٧٦)، [«السلسلة الصحيحة» (٣٢)].

«لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[1].

فالاختلافُ في تسويةِ الصفوفِ سببٌ في اختلافِ القلوبِ، وسببٌ لاختلافِ الوجوهِ، واختلافُ الوجوهِ هو اختلافُ الكلمةِ وتهيُّجُ الفتنِ، ومَنْ نظرَ إلى أحوال المسلمينَ اليومَ وما وقع بينهم منَ الاختلافِ والفتنِ يعلمُ أن عدمَ تسوية الصفوفِ في الصلاة سببٌ من أسباب اختلاف المسلمين، فالذين لا يُسَوُّونَ صفوفهم في الصلاة كيف يقفون صفاً واحداً في وجهِ العدو في الجهادِ في سبيلِ الله؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].

ثالثاً: ليوقِعَهم في الهلاكِ والفشَلِ والتنازعِ

يقول ﷺ: **«اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»**[2].

ويقول ﷺ: **«لاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»**[3].

والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

ومن خلال الجمعِ بينَ النصوصِ؛ يكونُ المعنى: (استووا ولا تختلفوا؛ فتهلكوا وتفشلوا وتذهبَ ريحُكم) أَوَأكثرَ من هذا الهلاكِ نريدُ؟ أم أشدَّ مِنْ هذا الفشلِ ننتظرُ؟! فها نحن تَفَرَّقنا شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠).

[المؤمنون] وها نحن وقد تداعَتْ علينا الأممُ كما تداعتِ الأكَلَةُ على قَصْعتِها و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة].

أما آن للمسلمينَ أن يُسَوُّوا صفوفَهم في الصلاة لتأتلفَ قلوبُهم فيصبحوا أمةً واحدةً، وصفاً واحداً ليواجهوا هذه الفتن التي تموجُ بالأمةِ موجَ البحر؟؟

رابعاً: ليوقِعَهم في الإثم، وذلك لأنَّ تسويةَ الصفوفِ واجبةٌ، ويظهرُ ذلك من أمرِه ﷺ: «**سَوُّوا صفوفَكم**»، «**أقيموا صفوفَكم**»، «**حاذوا بينَ الأعناقِ**»، «**تراصُّوا**»، «**سُدُّوا الخَلَلِ**».

وهذه كُلُّها أوامر، والأمرُ للوجوبِ، ولا قرينةَ تصرفُ هذا الأمرَ إلى الاستحبابِ، والذي لم يُسَوِّ صَفَّهُ في الصلاةِ آثمٌ، ويظهرُ ذلك من نهيِه ﷺ: «**لا تَذروا فُرجاتٍ للشيطان**»، «**لا تختلفوا فتختلفَ قلوبكم**».

وهذه كُلُّها نواهي، والنهيُ للتحريم، ولا قرينةَ تصرفُهُ إلى الكراهةِ كما هو معلوم. فعلى المسلمينَ أن يتقوا اللهَ في صلاتِهم وفي تسويةِ صفوفِهم، ولْيَعلموا أنَّ «**مَنْ وصلَ صفاً وصلَهُ اللهُ، ومَنْ قَطَعَ صَفاً قَطَعَهُ اللهُ**».

وَلْيعلموا أنهم إذا سَوَّوْا صفوفَهم في الصلاةِ فقد أطاعوا ربَّهم واستجابوا لأمر نبيِّهم، وإنْ لم يُسَوُّوا صفوفَهم فقد أطاعوا عدوَّهم الشيطانَ الذي قالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

• ما هي الاعتداءاتُ الأخرى التي يعتدي بها الشيطانُ على الإنسانِ؟ هذا الذي سنَعرفُه إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الجمعةِ القادمةِ إنْ كانَ في العمرِ بقية.

١٦

الاعتداءُ الثالثُ

اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسانِ وبيتهِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

ويقول سبحانه: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾ [يس].

- فالنارُ أعدَّها اللهُ للكافرينَ منَ الجنِّ والإنسِ.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة].

وإبليسُ إمامُ أئمةِ الكفرِ والشرِّ، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة].

وقد بَشَّرَ اللهُ عزّ وجلَّ الكافرينَ بالنارِ والعذابِ الأليم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ [التوبة].

فإبليسُ منَ المبشَّرين بالنارِ، بل بَشَّرَهُ اللهُ ومَنْ تبعَهُ بالنارِ فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ٦٣﴾ [الإسراء].

• فلما طُرِدَ إبليسُ منَ الجنةِ، وبُشِّرَ بالنّارِ، أعلنَ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ، ولم يكتفِ بذلكَ بل أخذَ يعتدي على بني آدمَ بكلِّ أنواعَ الاعتداءاتِ ومنها:

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِهِ.

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطانِ على صلاةِ الإنسانِ.

وقد تكلمنا عن هذينِ الاعتداءين في الجمعةِ الماضيةِ. وموعدُنا في هذا اليومِ إن شاءَ اللهُ تعالى مع:

الاعتداءُ الثالثُ: اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسان وبيتِه.

• النومُ نعمةٌ عظيمةٌ مِنْ نعمِ اللهِ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ٤٧﴾ [الفرقان].

• والنومُ آيةٌ من آياتِ اللهِ الدالةِ على قُدرتِهِ ووحدانِيّتِه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم:٢٣].

• والنومُ رحمةٌ منَ الله ببني آدمَ.

قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص].

• والنومُ أخو الموتِ، بل هو الموتَةُ الصُّغرى.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام].

ولذلك كانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**» وإذا قامَ قال: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[1].

فالنومُ أخو الموتِ، والاستيقاظُ منَ النومِ أخو البعث. فيا بني آدمَ! واللهِ! لتموتُنَّ كما تنامونَ، ولَتُبْعثُنَّ كما تستيقظون، ولتجزَوُنَّ بالإحسانِ إحساناً، وبالسوءِ سوءًا.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣١٢) عن حذيفة، ومسلم (٢٧١١) عن البراء.

* فالنومُ نعمةٌ منَ اللهِ على بني آدم، ورحمةٌ من الله بهم، يَتَقَوَّوْنَ به على طاعةِ الله وعبادتِهِ إذا احتسبوا نومَهم للهِ عزَّ وجلَّ؛ فالنبيُّ ﷺ يقولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(١)].

• يقول أبو مُوسَى الأَشْعَرِيّ:سَأَلْتُ مُعَاذًا: كَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ -يعني القرآن-؟ قَالَ: (أَقْرَأُ وَأَنَامُ، ثُمَّ أَقُومُ فَأَتَقَوَّى بِنَوْمَتِي عَلَى قَوْمَتِي، ثُمَّ أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي بِمَا أَحْتَسِبُ بِهِ قَوْمَتِي)[(٢)].

• والشيطانُ يا عبادَ الله! العدوُّ المبينُ للإنسانِ يعتدي على نومِه بما يلي:

أولاً: يعقدُ على قافيةِ رأسه ثلاثَ عُقَدٍ، ليحْرِمَهُ منْ قيامِ الليلِ، ومِنْ ذِكرِ اللهِ، ومنْ صلاةِ الفجرِ.

قال ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»[(٣)]. ومَنْ فعلَ بِهِ الشيطانُ ذلكَ فقد استهزأ بهِ وبالَ في أُذُنَيْه.

يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»[(٤)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) بلفظ: «**بالنية**».

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٥٣٧٦)، وأبو عوانة (٥٢٦٩)، [شعيب الأرناؤوط في تحقيق ابن حبان].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦) واللفظ للبخاري.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤) واللفظ له.

ثانياً: بالأحلامِ المزعجةِ ليُحْزِنَهُ ويُخيفَهُ

• عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ -فِيمَا يَرَى النَّائِمُ- كَأَنَّ عُنُقِي ضُرِبَتْ، وَسَقَطَ رَأْسِي، فَاتَّبَعْتُهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَعَدْتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ، فَلاَ يُحَدِّثَنَّ بِهِ النَّاسَ**»(١).

• وعن عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه عنْ رسولِ الله ﷺ قال: «**الرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ: مِنْهَا تَهَاوِيلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقْظَتِهِ فَرَآهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(٢).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلاثٌ: فَبُشْرَى مِنَ الله، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيَقُصَّهَا إِنْ شَاءَ، وَإِنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلاَ يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ يُصَلِّي**»(٣).

• وقال ﷺ: «**الرُّؤْيَا مِنَ الله، وَالْحُلْمُ(٤) مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٦٨)، واللفظ لابن ماجه (٣٩١٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٠٧)، وابن حبان (٦٠٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٤/ رقم (١١٨)، وفي «الأوسط» (٦٧٤٢)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٤)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٩٥)، واللفظ لابن ماجه، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤١)].

(٤) **الحلُمُ**: تُضم لام الحُلُم وتُسَكَّنُ.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٠٥)، ومسلم (٢٢٦١) واللفظ له.

• وقال ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ، وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لاَ تَضُرُّهُ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ، وَلاَ يُخْبِرْ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ**»(١).

• وقال ﷺ: «**لاَ تَقُصُّوا الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**»(٢).

• ولم يكتفِ الشيطانُ بالاعتداءِ على نومِ الإنسانِ، بل يعتدي على بيتِهِ وهو نائمٌ لِيُحْرِقَهُ.

قال ﷺ: «**إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ(الفأرةِ) عَلَى هَذَا (السراجِ) فَيُحْرِقَكُمْ**»(٣).

وقال ﷺ: «**خَمِّرُوا الآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْـمَصَابِيحَ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ**»(٤).

فكيف يُحصِّنُ المسلمُ نفسَهُ وبيتَهُ من اعتداءاتِ الشيطانِ عندَ النومِ؟

يُحَصِّنُ المسلمُ نفسَهُ منَ اعتداءاتِ الشيطانِ عندَ النومِ إذا تأدَّبَ بالآدابِ الشرعيةِ التاليةِ:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٦١).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٨٠)، والدارمي (٢١٤٧)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٧٥)، وفي «الصغير» (٩٠٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٢٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٢٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٥٩١)، والبزار (٤٧٧٩)، والحاكم (٧٧٦٦)، [«صحيح الجامع» (٨١٦)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٢٩٥).

الأدبُ الأول: آدابُ الرؤيا

أولاً: إذا كانتِ الرؤيا تُعْجِبُهُ ويُحبُّها فعليه بما يلي:

١- أن يَعْلَمَ أنها منَ الله.

٢- وأن يحدِّثَ بها مَنْ يُحِبُّ.

٣- ولا يُحدِّثْ بها إلا حبيباً عالمًا ناصحاً.

لقوله ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا...**»(١).

وقال ﷺ: «**لاَ تَقُصُّوا الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ**»(٢).

٤- ولا يُحدِّثْ بها حاسداً مُبْغِضًا لقوله تعالى على لسانِ يعقوبَ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف].

ولقوله ﷺ: «**اسْتَعِينُوا عَلَى إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٨٥).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٢٨٠)، والدارمي (٢١٤٧)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٧٥)، وفي «الصغير» (٩٠٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في«الكبير» (٢٠/ ٩٤/ رقم (١٨٣)، وفي «الأوسط» (٢٤٥٥)، وفي «الصغير» (١١٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦٢٢٨)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٥٣)].

ثانياً: إذا كانتِ الرؤيا يكرَهُها وتُزْعجهُ وتُخيفُهُ فعليه بما يلي:

١- أن يعلمَ أنها منَ الشيطانِ ولا تَضُرُّهُ.

لقوله ﷺ: «**والحُلُم منَ الشيطانِ**». ولقوله ﷺ: «**والرُؤيا السوءُ مِنَ الشَّيْطانِ**». ولقولِه ﷺ: «**لا تضرُّهُ**».

٢- أن يتعوذَ باللهِ مِنْ شرِّها وشرِّ الشيطانِ.

لقوله ﷺ: «**وليتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّها، فإِنَّها لَنْ تَضُرَّهُ**». ولقولِه ﷺ: «**ولْيَتَعَوَّذْ باللهِ مِنْ الشَّيْطانِ**».

٣- أن ينْفُثَ عَنْ يسارِهِ ثلاثاً.

لقوله ﷺ: «**فإذا حَلَمَ أَحَدُكُم حُلُمًا يكرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَاره ثَلاثًا**».

٤- أن يتحولَ عن جنبه الذي ينامُ عليهِ.

لقوله ﷺ: «**وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**»[(١)].

٥- أن لا يذكرَها لأحدٍ.

لقوله ﷺ: «**وإنْ رأى شَيئاً يكْرَهُه فلا يَقُصَّهُ عَلى أحدٍ**».

٦- أن يقومَ فَلْيُصَلِّ.

لقوله ﷺ: «**فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلاَ يَقُصُّهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ**»[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٦١).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٧٠١٧).

الأدبُ الثاني: آدابُ النوم

أولاً: يُستَحبُّ لمن أرادَ أنْ ينامَ أنْ يتوضأَ وضوءَهُ للصلاةِ.

لقولِهِ ﷺ للرجلِ: «**إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**» -أي إذا أوَيْتَ إلى فراشِكَ لتنامَ- «**فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ**»[1].

ومن لم يستطعِ الوضوءَ تَيَمَّمَ لينامَ على طهارةٍ كاملةٍ، لأنَّ النومَ على طهارةٍ فيه فوائدُ عظيمةٌ منها:

١- إذا تعارَّ[2] منَ الليلِ ودعا اللهَ استجابَ له.

لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِرًا فَيَتَعَارُّ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[3].

٢- يبيتُ معهُ ملكٌ كلما استيقظَ دعا له.

قال ﷺ: «**مَنْ بَاتَ طَاهِرًا، بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، لَا يَسْتَيْقِظُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ الْـمَلَكُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا**»[4].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) واللفظ له.

(٢) تعارَّ من الليل: أي هَبَّ من نومِهِ واستيقظ. «النهاية في غريب الحديث».

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٤٢)، وابن ماجه (٣٨٨١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٧٤)، وأحمد (٥/ ٢٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٨/ رقم (٢٣٥)، [«صحيح الترغيب» (٥٩٨)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٤٦/ رقم (١٣٦٢٠)، وابن حبان (١٠٥١)، [«صحيح الترغيب» (٥٩٧)].

ثانياً: ويُسْتَحَبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أنْ ينامَ؛ إذا أوى إلى فراشِه أن يجمعَ كفَّيْه ثم ينفخَ فيهما ثم يقرأ فيهما:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ ثم يمسحُ ما استطاعَ مِنْ جسدِهِ، يفعلُ ذلك ثلاث مراتٍ[١].

ثالثاً: ويُسْتَحَبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أن ينامَ؛ أن يقرأ آيةَ الكرسي

« إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ»[٢].

رابعاً: وَيُسْتَحبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أن ينامَ؛ أن يقرأ خواتيمَ سورةِ البقرة

لقوله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[٣].

خامساً: ويُسْتَحَبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أن ينامَ؛ أن يقولَ:

وهذه هي وصيةُ النبيِّ ﷺ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه وفاطمةَ رضي الله عنها: عن عَلِيٍّ أَنَّ فَاطِمَةَ اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنَ الرَّحَى فِي يَدِهَا، وَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، وَلَقِيَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا نَقُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِهِ عَلَى صَدْرِي ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ**

(١) صحيح: رواه البخاري(٥٠١٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٢٧٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؛ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَاهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»(١).

سادساً: ويُسْتَحَبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أنْ ينامَ؛ أن ينامَ على شِقِّهِ الأيمنِ

لقولِه ﷺ للرجلِ: «ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ»(٢).

سابعاً: ويُسْتَحبُّ للمسلمِ إذا أرادَ أنْ ينامَ؛ أنْ يُكثِرَ منَ الأدعيةِ التي ثبتَتْ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ ومنها:

«بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٣).

«بِاسْمِكَ اللهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»(٤).

«اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْرًا»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٧٠٥)، ومسلم (٢٧٢٧) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤)، واللفظ لأبي داود (٥٠٥٠).

(٤) **صحيح**: هذا اللفظ رواه البخاري (٦٣٢٤) عن حذيفة، وقريباً منه عند مسلم (٢٧١١) عن البراء.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠) واللفظ له.

ثامناً: ويُسْتَحَبُّ للمسلمِ إذا استيقظَ من نومِه

• أن يبدأَ بالسواكِ؛ (لأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ لاَ يَنَامُ إِلاَّ وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ)(١).

• ثم يقولُ: «**الْـحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(٢). «**الحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**»(٣).

فمن تأدبَ بهذِهِ الآدابِ عند نومِه، ونامَ ذاكراً لله، واستيقظَ ذاكراً لله حَفِظَهُ اللهُ مِنْ كيدِ الشياطينِ.

وهناك أمورٌ تتعلقُ بالنومِ وبالبيوتِ تحفظُ المسلمَ وبيتَهُ من كيدِ الشيطانِ ومنها:

الأمر الأولُ: إذا تعارَّ المسلمُ منَ الليلِ ماذا يقولُ؟

يقول ﷺ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ** -أي: استيقظ من النوم- **فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْـحَمْدُ لله، وَسُبْحَانَ الله، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ له، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ**»(٤).

---

(١) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ١١٧)، وأبو يعلى (٥٧٤٩)، [«صحيح الجامع» (٤٨٧٢)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣١٤).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٣٤٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٣٦)، [«صحيح الجامع» (٣٢٩)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (١١٥٤).

الأمرُ الثاني: إذا أصابَ الإنسانَ فَزَعٌ وهمٌّ ووحشةٌ، فماذا يفعلُ؟ وماذا يقولُ؟

كان رسولُ الله ﷺ يُعلِّمُ أصحابُه أنْ يقولوا عند الفزع: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ**»(١).

الأمرُ الثالثُ: إذا أرادَ المسلمُ أن ينامَ على جنابَة فماذا يفعل؟

الأفضلُ للمسلمُ إذا أصابَتْهُ الجنابةُ في أولِ الليلِ أو نامَ معَ أهلِه أنْ يغتسلَ قبلَ أنْ ينامَ. ولكنْ إذا أراد أنْ ينامَ على جنابةٍ فماذا يفعلُ؟

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهْوَ جُنُبٌ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ**»(٢).

ويجوزُ للمسلمِ والمسلمةِ التيممُ بدَلَ الوضوء أحياناً. لحديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالت: (كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أجنَبَ فأرادَ أن ينامَ توضأ، أو تيممَ)(٣).

الأمرُ الرابعُ: هل يجوزُ للمسلمِ أنْ ينامَ، ويتركَ النارَ في بيتهِ مشتعلةً للتدفئةِ أو غيرِ ذلك؟

الجوابُ: لا. لأنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «**لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ**»(٤).

---

(١) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٣٤)، وأحمد (٢/ ١٨١)، [«صحيح الترغيب» (١٦٠١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٨٧)، ومسلم (٣٠٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٦٠)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠٤١)، والدارمي (٢٠٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٠٠)، [«آداب الزفاف» (ص١١٨)] .

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٩٣)، ومسلم (٢٠١٥).

احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْـمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**»(١).

فكم مِنْ أُناسٍ احترقوا، وكم من بيوتٍ احترقَتْ بسببِ هذه المخالفةِ؟! وحفاظاً على أولادِنا وعلى أنفسِنا وعلى بيوتِنا فعلينا جميعاً أن نأخذَ بهذه الوصايا النبوية: وهي قولُه ﷺ: «**إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هَذِهِ عَلَى هَذَا فَتَحْرِقَكُمْ**»(٢).

عن جابر رضي الله عنه قال: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعٍ: وَنَهَانَا عَنْ خَمْسٍ، إِذَا رَقَدْتَ فَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا، وَلاَ يَحُلُّ وِكَاءً، وَلاَ يَكْشِفُ غِطَاءً، وَإِنَّ الْفَأْرَةَ الْفُوَيْسِقَةَ تُحْرِقُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ)(٣).

• ما هي الاعتداءاتُ الأخرى التي يعتدي بها الشيطانُ على الإنسان؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٩٤)، ومسلم (٢٠١٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٢٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٢٢)، والبزار (٤٧٧٩)، والحاكم (٧٧٦٦)، والبيهقي في «الشعب» (٦٥٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٢٦)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه ابن حبان (١٢٧٣)واللفظ له ، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩٧٤)].

١٧

الاعتداءُ الرابعُ

اعتداءُ الشيطانِ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانَهُ على لسانِ موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص].

فالشيطانُ عدوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ للإنسانِ يَعْتدي عليه بالليلِ والنهارِ، ومن هذه الاعتداءات:

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِهِ.

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطانِ على صلاةِ الإنسانِ.

الاعتداءُ الثالث: اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسانِ وبيتِهِ.

وقد تكلمنا عن هذهِ الاعتداءاتِ في الجُمعِ الماضية وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

الاعتداءُ الرابع: اعتداءُ الشيطانِ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ.

• «معلومٌ أنَّ الجنَّ جبّارٌ بَحسَبِ خِلْقَتِهِ، قويٌّ يتسلَّطُ على الإنسانِ، ولو خُلِّيَ سبيله إليهِ لَتَخَطَّفَهُ مِن على وجهِ الأرضِ.

واللهُ جلّت قدرَتُهُ جعلَ للإنسانِ حَفَظَةً مِنْ ملائكتِهِ أقوى من الجنِّ وأقْدَرَ عليهم، فَكُلُّ شخصٍ وكَّلَ اللهُ به ملكين يُلازمانهِ ليلاً ونهاراً نوماً ويَقْظَةً، ويحفظونَه من كلِّ ما يؤذيه، فإنْ أرادَ اللهُ نفاذَ أمرٍ تخلتِ الملائكةُ عنه، فيَتِمُّ قضاءُ اللهِ وقَدَرُهُ...

والجنُّ بطبيعتِهِ متكبِّرٌ يرى أنه أفضلُ مِنْ آدمَ وبنيه، فيحتقرُهم، وذلك منذُ الوجودِ، ومنذُ أمْرِ اللهِ له بالسجودِ لآدمَ وإبائِهِ واستكبارِه، فالعداوةُ متأصِّلةٌ بينهما، عميقةُ الجذورِ، لهذا كان إبليسُ وأعوانُهُ وذريتُه منَ الشياطينِ والمَرَدَةِ يبحثونَ دائماً عن أذى بني آدمَ، سواءٌ كان الأذى في أجسامِهم، أو في أعمالِهم، أو بينهم وبين بعضِهم، أو بينَهم وبين ربِّهم»(١).

• ومن اعتداءاتِ الشيطانِ على الإنسانِ: المسُّ أو الصَّرْعُ؛ وهو أنْ يَدْخُلَ الشيطانَ جسدَ الإنسانِ فيجعلَهُ يتخبطُ في أقوالِهِ وأفعالِه، وأفكارِهِ، وحركاتِهِ.

• والناسُ في إثباتِ هذا المسِّ طرفان ووسط.

الطرفُ الأول: فريقٌ من الناسِ ينكرون المسَّ، ويقولون: إنَّ الشيطانَ لا يدخلُ في جسمِ الإنسانِ، وهؤلاءِ همُ المعتزلةُ ومَنْ سَلكَ سبيلَهم، وهذا ضلالٌ مبينٌ؛ لأنّهم يُكَذِّبونَ الأدلةَ من الكتابِ والسنة.

---

(١) نقلاً من كتاب «برهان الشرع» للشيخ علي الحلبي حفظه الله.

الطرفُ الثاني: فريقٌ منَ الناسِ أثبتوا المسَّ، ولم ينكروهُ، واعترفوا أنَّ الشيطانَ يمسُّ الإنسانَ ويدخلُ في بدنه، ولكنهم غَلُوا في ذلكَ حتى أنهم جعلوا معظمَ الناسِ قد مسَّهمُ الشيطانُ، وجعلوها مهنةً لهم لأكل أموالِ الناسِ بالباطلِ.

أما الوسطُ: فهو العدلُ، وهمُ الذين أثبتوا المسَّ بما جاء منَ الأدلةِ في الكتابِ والسنةِ، وتوقفوا في إثباتِهِ وعلاجِهِ على الشرعِ بدون إفراطٍ ولا تفريط.

• يقول الإمامُ المحققُ محمدُ ناصرُ الدين الألباني رحمهُ الله في كتابه «تحريمُ آلاتِ الطربِ»: (لقد أنكرَ بعضُ المعاصرينَ عقيدةَ مَسِّ الشيطانِ للإنسان مسًّا حقيقياً، ودخولِهِ في بدنِ الإنسانِ، وصَرْعِهِ إياهُ، وألَّفَ بعضُهم في ذلكَ بعضَ التأليفاتِ، مُموِّهاً فيها على الناسِ، وتولى كِبْرَه، مُضَعِّفُ الأحاديثَ الصحيحةَ في كتابه المسمَّى بـ «الأسطورة»!، وضعَّفَ ما جاءَ في ذلك من الأحاديث الصحيحة - كعادته، ورَكَن هو وغيرُه إلى تأويلات المعتزلة!! واشتطَّ آخرون؛ فاستغلوا هذه العقيدةَ الصحيحةَ، وألحقوا بها ما ليسَ منها مما غَيَّرَ حقيقتَها، وساعدوا بذلك المُنكرين لها! واتخذوها وسيلةً لجَمْعِ الناسِ حولهم لاستخراجِ الجانِّ من صدورِهم بزعمِهم، وجَعلوها مهنةً لهم، لأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، حتى صارَ بعضُهم من كبار الأغنياءِ، والحقُّ ضائعٌ بينَ هؤلاءِ المبطلينَ وأولئكَ المُنكرين).

* مسألةُ تلبُّسِ الجنِّيِّ للإنسانِ مِنَ المسائل المُقَرَّرةِ عندَ علماءِ أهل السنةِ؛ عقيدةً، وحديثاً، وتفسيراً.

بل نقلَ غيرُ واحدٍ منْ أثْباتِ أهلِ العلمِ اتفاقَ أهلِ السنةِ عليها، والأدلةُ على هذه المسألةِ متعددةٌ منها:

أولاً: الأدلةُ منَ القرآنِ الكريم

• قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥].

• يقول أئمةُ التفسير في تفسير هذه الآية: «الذين يأكلونَ الربا في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقومُ الذي يتخبطهُ الشيطانُ من المسِّ»(١).

وقالوا: «أي: لا يقومونَ إلا كما يقوم المصروعُ حالَ صَرَعِهِ وتَخَبُّطِ الشيطانِ له»(٢).

وقالوا: (في هذه الآية دليلٌ على فسادِ مَنْ أنكرَ الصَّرَعَ منْ جهةِ الجنِّ وزعَمَ أنه مِنْ فعلِ الطبائعِ، وأنَّ الشيطان لا يسلكُ في الإنسانِ ولا يكونُ منه مَسٌّ»(٣).

• وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص].

ومسُّ الشيطان له كان في جسده فقط فأمرضه كما يمرض البشر.

---

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ١٠١).

(٢)«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٢٦).

(٣)«تفسير القرطبي» (٣/ ٣٥٥).

ثانياً: الأدلةُ من السنة

١- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: (لَـمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلاَتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**مَا جَاءَ بِكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، قَالَ: «**ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ**» فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي وَقَالَ: «**اخْرُجْ عَدُوَّ الله!**» فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَقْ بِعَمَلِكَ**» قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَلَعَمْرِي مَا أَحْسَبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ)(١).

وفي روايةٍ: فَمَا حَسَسْتُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ(٢).

يقولُ الشيخُ الألبانيُّ رحمَهُ اللهُ: (وفي الحديثِ دلالةٌ صريحةٌ على أنَّ الشيطانَ قد يتلبَّسُ الإنسانَ ويدخلُ فيه ولو كانَ مؤمناً صالحاً)(٣).

٢- عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ثَلاَثًا، مَا رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلاَ يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي، لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ،

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٥٤٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٣١)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩١٨)].

(٢) رواها ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٥٣٢).

(٣) «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٢/ ١٠٠٢).

مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ، مَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا صَبِيٌّ أَصَابَهُ بَلاَءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاَءٌ، يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ مَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً! قَالَ: «**نَاوِلِينِيهِ**» فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ، فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاَثًا، وَقَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، أَنَا عَبْدُ اللهِ، اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ**» (وفي رواية: قال: اخرُجْ عدوَّ الله أنا رسولُ الله) ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ، فَقَالَ: «**الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْـمَكَانِ، فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ**» قَالَ: فَذَهَبْنَا، وَرَجَعْنَا، فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْـمَكَانِ مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاَثٌ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ؟**» فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ)(١).

• فالحديثُ دليلٌ دلالةً صريحةً على أنَّ الشيطانَ قد يتلبسُ الإنسانَ ويدخلُ فيه ولو كان صبياً صغيراً.

٣- وعن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: (قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟! قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْـمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَـهَا)(٢).

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله: (ويؤخَذُ مِنْ طُرُقِ الحديثِ أنَّ الذي كان بهذه المرأةِ، كانَ مِنْ صَرْعِ الجِنِّ)(٣).

---

(١) **جيد بالمتابعات**: رواه أحمد (٤/ ١٧٠)، [«السلسلة الصحيحة» (٢٩١٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٦٨٠٧).

• وفي الحديثِ دليلٌ على أنَّ الشيطانَ قد يتلبسُ الإنسانَ ولو كانَ امرأةً.

٤- وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا تَثَاوَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ**»[(١)].

وهذا مِنْ أوضحِ الأدلةِ على دخولِ الشيطانِ في جسدِ الإنسانِ عن طريق الفمِ.

٥- وعن أبي هريرةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاَثًا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ**»[(٢)].

٦- عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ! قَالَ ﷺ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»[(٣)]. والأنفُ والأُذنُ من منافذِ جسمِ الإنسانِ التي يُتَوصَّلُ إلى القلبِ منهما.

٧- وعن أبي اليَسَر ﷺ قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي وَالْـهَدْمِ، وَالْغَرَقِ وَالْـحَرْقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْـمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكِ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٩٥)، ومسلم (٢٣٨) واللفظ للبخاري.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٤)، ومسلم (٧٧٤) واللفظ له.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وأحمد (٣/ ٤٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٠/ رقم (٣٨١)، والحاكم (١٩٤٨)، [«صحيح الجامع» (١٢٨٢)].

٨- وقالَ ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»[١].

وهذا الحديثُ استدَلَّ به على إمكانيةِ دخولِ الجانِّ بدَنَ الإنسانِ جماعةٌ من أهلِ العلمِ الكبارِ، منهم الإمامُ القرطبيُّ في «تفسيره» (٢/ ٥٠)، وشيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٢٧٧)، والقاسميُّ في «محاسنِ التأويل» (٣/ ٧٠١).

• وهناك أدلةٌ أُخرى تَدُلُّ على أنَّ الشيطانَ يعتدي على الإنسانِ بأكثرَ منَ المسِّ والصَّرْع ومنها:

١- يقولُ أبو سعيدٍ الخدريُّ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، وكَانَ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ الله ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاَحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ، وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ، فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا. فَقَالَ:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

«اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ» ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ بِالْـمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»**(١).

فالجنُّ الذي يعتدي على الإنسانِ بالقتلِ، يمكنُ أنْ يعتديَ عليه بالمسِّ والصَّرْعِ.

٢- وعن أبي الدرداء ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ؛ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ؛ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ»**(٢).

فهذه أدلةٌ من كتابِ ربِّنا ومن سنةِ نبيِّنا تدلُّ على دخولِ الشيطان بدنَ الإنسانِ ومسِّهِ وصَرْعِهِ، وقد جاءَتِ الآثارُ عن السلفِ الصالحِ تدلُّ على ذلك.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: (وجودُ الجنِّ ثابتٌ بالقرآنِ والسنةِ واتفاقِ سلفِ الأمةِ، وكذلكَ دخولُ الجنيِّ في بدنِ الإنسِ ثابتٌ باتفاقِ أهلِ السنة، وهو أمرٌ مشهودٌ محسوسٌ لمن تدبره، يدخلُ في المصروعِ، ويتكلمُ بكلامٍ لا يعرفُه، بل ولا يدري به، بل يُضرَبُ ضرباً لو ضربَه جملٌ لماتَ، ولا يُحِسُّ به المصروعُ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وقوله ﷺ: «إنَّ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤٢).

الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدمَ مَجْرَى الدَّمِ»[١] وغير ذلك يصدقه[٢].

أسباب مسِّ الجنِّ للإنسانِ، أو أسبابُ الصَّرْعِ.

السببُ الأولُ: العِشْقُ

وهو عِشْقُ الجنيِّ للأنسية، أو عِشْقُ الجنية للإنسيِّ، يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمه الله: (إنَّ صَرْعَ الجنِّ للإنسِ قد يكونُ عن شهوةٍ وهوىً وعشقٍ كما يتفقُ للإنسيِّ معَ الإنسيِّ)[٣].

ويقولُ الشيخُ العثيمين رحمه الله: (الجنيةُ قد تستمتعُ بالإنسيِّ بالعشقِ والتلذذِ بالاتصالِ به، أو بالعكس)[٤].

السببُ الثاني: بُغْضُ الجنِّ للإنْسِ ومجازاتُهم

قال شيخُ الإسلام رحمه الله: (وقد يكونُ المسُّ عن بُغضٍ ومجازاةٍ وهو الأكثرُ، مثلُ أن يؤذيهم بعضُ الإنسِ من غيرِ عمدٍ أو يظنُّ الجنُّ أنهم يتعمدونَ أَذاهم:

أ- إما بالبولِ على بعضِهم.

ب- وإما بِصبِّ ماءٍ حارٍّ عليهم.

ج- وإما بقَتْلِ بعضِهم.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢)«مختصر الفتاوى المصرية» (٥٨٤).

(٣)«مجموع الفتاوى» (١٩/ ٣٩).

(٤) «القول المفيد» (٢/ ٥٠).

وإنْ كانَ الإنسيُّ لا يعرفُ ذلكَ، وفي الجنِّ جهلٌ وظلمٌ فيعاقبونَهُ بأكثرَ مما يستحقُّه)[1].

وقال الشوكانيُّ رحمهُ الله: (وقد يكونُ الصَّرْعُ منَ الجنِّ... لإيقاعِ الأذيةِ به)[2].

السببُ الثالثُ: ظلمُ الجنيِّ للإنسيِّ

كأن يَمَسَّه دونَ سببٍ، ولا يتسنى له ذلكَ، إلا في حالةٍ مِنْ هذهِ الحالاتِ الأربعِ:

١- الغضبُ الشديدُ. ٢- الخوفُ الشديدُ.

٣- الانكبابُ على الشهواتِ. ٤- الغفلةُ الشديدةُ.

السببُ الرابعُ: السحرُ

قد يكونُ المسُّ بسببِ سحرٍ قد فعلَهُ ساحرٌ باتفاقٍ منه مع شيطانِ الجنِّ.

***كيف تتقي نفسَكَ منَ المسِّ أو الصَّرْعِ؟**

أولاً: بالمحافظةِ على الأذكارِ النبوية

• قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ، وَهْوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ**

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٣٩).

(٢) «نيل الأوطار» (٩/ ٧٥).

ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»[1].

• وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»[2].

وقالَ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ الله، تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِالله، فَيُقَالُ لَهُ: حَسْبُكَ! قَدْ كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ»[3].

ثانياً: بقراءةِ آيةِ الكرسيِّ عندَ النومِ

«إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ)[4].

ثالثاً: بقراءةِ «قلْ هو اللهُ أحدٌ والمعوِّذتين» صباحًا ومساءً.

لقوله ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْـمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، -ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٤٢٦)، وابن حبان (٨٢٢)، [«صحيح الجامع» (٦٤١٩)].

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩٨٣٧)، وابن حبان (٨٢٢)، [«تخريج الكلم الطيب» (٥٩)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٢٧٥).

(٥) **حسن**: رواه أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٥٤٢٨)، وأحمد (٥/ ٣١٢)، [«صحيح الترمذي» (٢٨٢٩)].

رابعاً: أنْ لا تنامَ وحدَك، ولا تُسافِرَ وحدك

لأنَّ النبيَّ ﷺ نهى أنْ ينامَ الإنسانُ وحدَه، ويُسافِرُ وحده، عن ابن عمر رضي الله عنهما: (نَهى عَنِ الْوَحْدَةِ: أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ)[1].

وقال ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ؛ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»[2].

خامساً: أنْ تقولَ بسمِ اللهِ إذا قَفَزْتَ مِنْ مكانٍ عالٍ، أو إذا سكبْتَ ماءً ساخناً في الأرضِ، أو إذا دخلْتَ حجرةً مظلمةً، أو إذا رميتَ حجراً.

لقوله ﷺ: «**لاَ تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ**»[3].

ولقوله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٩١)، [«السلسلة الصحيحة» (٦٠)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٩٨)، وعند أحمد (٢/ ٦٠) بزيادة «أبدا».

(٣) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٣١٣)، وأحمد (٥/ ٥٩) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (٥١٩)، والحاكم (٧٧٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٩)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٠٦)، والطيالسي (٧٩)، [«صحيح الترغيب» (٦٥٥)].

سادساً: أن تحفظ اللهَ في نفسِكَ

لقوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]. ولقوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»[1] فمن نصر اللهَ في نفسِه، ومن حفظ الله في نفسِه، حفظه الله من أعدائه.

كيف تعالجُ نفسَكَ منَ المسِّ؟

أولاً: بالعقيدةِ الصحيحةِ

لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ [الأنعام].

ثانياً: بالدعاء

لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠].

ولقوله ﷺ: «**الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»[2].

ثالثاً: بالتوبة النصوح.

لأنه ما نزل بلاءٌ إلا بذنبٍ، وما رُفِعَ إلا بتوبةٍ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، ، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

رابعاً: بقراءة القرآن والرُّقيةِ الشرعيةِ الثابتةِ عنْ رسولِ الله ﷺ

لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

والرقيةُ الشرعيةُ:

١- الفاتحة. ٢- آية الكرسي.

٣- خواتيمُ سورةِ البقرة. ٤- ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والمعوذتين.

٥- «**أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ**»(١). سبع مراتٍ. وغيرُها مما ثبتَ عن رسولِ الله ﷺ.

• ما هي الاعتداءاتُ الأخرى التي يعتدي بها الشيطانُ على الإنسانِ؟ هذا الذي سنعرفهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى في الجمعةِ القادمةِ إنْ كان في العمر بقية.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨١٥)، وأحمد (١/ ٢٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٨٠)].

١٨

الاعتداءُ الخامسُ

اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالسِّحرِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

• لما خلَق اللهُ آدمَ بيده، ونفخَ فيه مِنْ روحِهِ، وأمرَ الملائكةَ أنْ يسجدوا له، حسدَ إبليسُ آدمَ ورفض أن يسجدَ له وقال: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١﴾ [الإسراء].

• ولم يكتفِ إبليسُ بذلكَ بل أعلنَ الحربَ على آدمَ وذريته فقال: ﴿أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢﴾ [الإسراء].

واستخدَمَ إبليسُ في معركتِه مع بني آدمَ أساليبَ متنوعةً كالإغواءِ والإضلالِ، وحتى يتمكنَ من إغواءِ بني آدمَ وإضلالهم أخذَ يَدْخلُ عليهم من مداخلَ شتى.

• ولم يكتفِ إبليسُ بذلكَ بل أخذَ يعتدي على بني آدمَ بكلِّ أنواعِ

الاعتداءات، ومنها:

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتهِ.

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطان على صلاة الإنسانِ.

الاعتداءُ الثالثُ: اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسان وبيتِهِ.

الاعتداءُ الرابعُ: اعتداءُ الشيطانُ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمعِ الماضيةِ، وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ الخامسُ: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالسحرِ**

• السحرُ عالَمٌ عجيبٌ، تختلطُ فيه الحقيقةُ بالخرافةِ، والعلمُ بالشعوذةِ، كما تختلطُ فيه الدوافعُ والبواعثُ، والغاياتُ والأهدافُ.

وهو عالَمٌ ظاهرُهُ جميلٌ خلابٌ، يَفتِنُ قلوبَ البُسطاءِ، ويخدعُ السذَّجَ والرعاعَ، وباطنُهُ قذِرٌ عَفِنٌ، يتجافى عنه أولوا الألبابِ، وينأى عنه أصحابُ الفَطِرِ السليمةِ والقلوب المستنيرةِ.

وتاريخُ السحرِ تاريخٌ أسودٌ قاتمٌ، وهو خدعةٌ شيطانية، يُضِلُّ بها شياطينُ الإنسِ والجنِّ عبادَ اللهِ، فيوقعونهم بالسحر في أعظمِ جريمةٍ؛ جريمةِ الكفرِ والشركِ والضلالِ.

ولقد استطاعَ الشيطانُ أن يُعَبِّدَ السَّحَرَةَ وأتباعَهم للشمسِ والقمر والنجومِ والأصنامِ والأوثانِ، بل تَرَقَّى به الحال إلى أن عَبَّدهم لنفسه الخبيثة.

واللهُ عزَّ وجلَّ يُوبِّخُ الذين عَبَدوا الشيطانَ فيقولُ سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

• والشيطانُ يعتدي على الإنسانِ بالسحر بواسطة الساحرِ، فالسحرُ هو تعاونٌ بينَ شيطانِ الجنِّ وشيطان الإنسِ (الساحر).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

• والناسُ في إثباتِ حقيقةِ السحرِ طرفان ووسطٌ:

الطرفُ الأول: فريقٌ منَ الناسِ يُنكرونَ السحرَ بالكليةِ، ولا يعترفونَ بوجودِ السحرِ ولا السَّحرةِ، وهؤلاءِ همُ المعتزلةُ (وهي فرقةٌ ضالةٌ) ومَنْ سارَ على نهجِهم، وقد ضلوا ضلالاً بعيداً؛ لأنهم بإنكارِهم للسحرِ كَذَّبوا الكتابَ والسنةَ، لأنهُ قد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ تدلُّ على وجودِ السحرِ والسحرةِ.

الطرفُ الآخرُ: أثْبتوا السحرَ وآمنوا بوجودِ السحرِ والسحرةِ، ولكنهم توسَّعوا في ذلك وسلكوا طرُقاً مسدودةً، واخترعوا أشياءَ مِنْ وحيِ الشيطانِ،

فضَلوا وأضلوا وأضرُّوا بأنفسهم.

فمثلاً: يأتيهمُ الرجلُ يشتكي بطنَهُ فيقولون له: أنت مسحور، ويأتيهم آخرُ يشتكي رأسَهُ فيقولون له: أنتَ مسحورٌ، ويأتيهم ثالثٌ يشتكي قَدَمَيْه فيقولون له: أنتَ مسحورٌ، وهم بذلك يريدونَ أن يأكلوا أموالَ الناسِ بالباطلِ، وإلا فهذا رسولُنا ﷺ أرحمُ الناسِ بالناس، والذي لا ينطقُ عن الهوى يأتيه الرجلُ يشتكي بطنَه فيقولُ له: «**عليكَ بالعسلِ**»، ويأتيه آخرُ يشتكي رأسَه فيقول له: «**عليكَ بالحِجامة**»، ويأتيهِ ثالثٌ يشتكي قدميه فيقولُ له: «**عليك بالحِناءِ**».

- فالأمراضُ ثلاثةُ أقسام:

القسمُ الأولُ: الأمراضُ البدنيةُ العُضويةُ

وهذه تُعالَجُ عندَ الأطباءِ، وتعالَجُ بالدواءِ الذي لا يُخالِفُ الشريعة.

القسمُ الثاني: الأمراض النفسية

تُعالَجُ بالطمأنينةِ وعندَ الأطباءِ المتخصصينَ في ذلك.

القسمُ الثالثُ: الأمراضُ الرُّوحانية

وتعالَجُ بالقرآنِ والرُّقْيَةِ الشرعية.

أما الوسَطُ: فهو الحقُّ الذي عليه أهلُ السنةِ والجماعة جَعَلنا اللهُ وإياكم منهم وهؤلاءِ أثبتوا السحرَ، وآمنوا بوجودِهِ، واعتقدوا أنه لا يضرُّ إلا بإذنِ الله.

* والأدلةُ في الكتابِ والسنةِ على وجودِ السحرِ والسَّحَرَةِ كثيرةٌ جداً منها:

الدليلُ الأولُ: قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة:١٠٢].

فقد أخبرَ الحقُّ في هذا النصِّ أن الشياطينَ يعلِّمون الناسَ السحرَ، وأن الناسَ يتعلمونَ منهم، وإذا لم يكنْ للسحرِ حقيقةٌ فماذا يُعَلِّمون؟ وماذا يتعلمُ الناسُ؟ ويكفي في الدلالةِ على المطلوبِ تصريحُ النصِّ القرآنيِّ بأنَّ الساحرَ يُفرِّقُ بسحره بينَ المرءِ وزوجِه، وأنه يضرُّ بسحره الناسَ.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ والنفاثاتُ في العقدِ الساحراتُ اللواتي يَعْقِدْنَ في سِحْرِهنَّ، ويَنْفُثْنَ عليه، فلولا أنَّ للسحرِ حقيقةً لَمَا أمرَ اللهُ بالاستعاذةِ منه.

الدليلُ الثالثُ: قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

وقولُه تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

ففي الآيتين دليلٌ على وجودِ السحرِ والسَّحَرةِ.

الدليلُ الرابعُ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ الله ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَتْ: حَتَّى كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ...**» الحديث [1].

ففي الحديثِ دليلٌ على وجودِ السَّحرِ، وفيه دليلٌ على أنَّ اليهودَ هم أساتذةُ السحرِ، وفيه دليلٌ على أنَّ السحرَ الذي عُمِلَ لرسولِ الله ﷺ من نوعِ ربطِ الرجلِ عن زوجتِه، فإنه ﷺ كان يُخَيَّلُ إليهُ أنه يستطيعُ أن يأتيَ نساءَهُ، فإذا اقتربَ منهن لم يستطِعْ، وذلكَ لا يؤثرُ في عقلٍ ولا في سلوكِ الإنسان أو تصرفاتِه، فانظرْ إلى رجل رُبِط عن زوجتِهِ فتراهُ يُصلي ويذهبُ إلى عمله، ويتكلمُ ويخطبُ ويدرسُ ويأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ فلا ترى لذلك تأثيراً عليه، ولكنَّ هذا يؤثرُ في جسدِهِ فقط، في كونه لا يستطيعُ أن يأتيَ أهلَهُ.

نقولُ ذلك ليعلمَ الجميعُ أنَّ سِحْرَ رسولِ الله ﷺ لم يؤثِّرْ في عقلِهِ ولا في سلوكِه ولا في أمرِهِ ونهيِهِ، وإنما أثرَ على جسده كما يُؤثرُ أيُّ مرضٍ، وفي هذا دليلٌ على أنَّ الرسولَ ﷺ بشرٌ يمرضُ كما يمرضُ البشر.

الدليلُ الخامسُ: قولُهُ ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**» وذكر منها: «**السِّحْرُ**» [2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

فإذا كان السحرُ لا حقيقةَ له، فكيفَ عدَّهُ الرسولُ ﷺ من الموبقات -أي:المهلكاتِ- وأمرَنا باجتنابِه.

الدليلُ السادسُ: قوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»[1].

ففي الحديثِ دليلٌ على وجودِ السحرِ، وأنَّ الذهابَ إلى السَّحرةِ حرامٌ، فمَنْ ذهبَ إلى السَّحَرةِ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً، ومَنْ ذهبَ إلى السحرةِ لعملِ السحرِ فليس منا.

• وقال الإمامُ القرطبي رحمه الله: (ذهبَ أهلُ السنةِ إلى أن السحرَ ثابتٌ وله حقيقةٌ)[2].

وقال الإمامُ النوويُّ رحمه الله: (والصحيحُ أنَّ السحرَ ثابتٌ وله حقيقةٌ، على ذلك أجمعَ العلماءُ، وجاءت على ذلك الأدلةُ من الكتابِ والسنةِ الصحيحة).

فلا مجالَ لإنكارِ السحرِ، ومَنْ أنكرَهُ بعد هذه الأدلةِ فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

* إذا عُلِمَ أنَّ السحرَ موجودٌ وله حقيقةٌ

فما هو السحرُ؟

السحرُ: هو عُقَدٌ يعقِدُها الساحرُ، ورُقىً من وحيِ الشيطانِ للساحرِ، وعزائمُ

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢/ رقم (٣٥٥) [«صحيح الترغيب» (٣٠٤١)].

(٢)«تفسير القرطبي» (٢/ ٤٦).

يقولُها الساحرُ، ورسْماتٌ يرسُمُها، وكلامٌ يُتمتمُ به، وكلُّ ذلك من وحيِ الشيطانِ.

فالسحرُ اتفاقٌ خبيثٌ بينَ شيطانِ الجنِّ وشيطانِ الإنسِ (الساحر) للاعتداءِ على بني آدم، وعقدُ التعاملِ والتعاونِ بين شيطانِ الجنِّ وشيطانِ الإنسِ (الساحر) يكونُ على النحو التالي:

الطرفُ الأول: شيطانُ الجن.

الطرف الثاني: شيطان الإنس (الساحر).

يتعهدُ الطرفُ الأولُ (وهو شيطانُ الجنِّ) أنْ يتعاونَ مع الطرفِ الثاني (وهو شيطانُ الإنسِ، الساحرُ) وأن يُقَدِّمَ الخَدَماتِ التي يطلبُها الطرفُ الثاني (وهو الساحر)، مقابلَ أن يقومَ الطرفُ الثاني (وهو الساحرُ) بالمعاصي والشركياتِ والكفرياتِ التالية:

أولاً: أن يَسجُدَ الساحرُ ويركعَ لغيرِ اللهِ.

ثانياً: أن يكتبَ الساحرُ كلامَ اللهِ بالنجاساتِ ودمِ الحيضِ وغيرِها.

ثالثاً: أن يضعَ القرآنَ الكريمَ في نَعْليه وأن يبولَ عليه في بيتِ الخلاء.

رابعاً: أن يرتكبَ الساحرُ فاحشةَ الزنا في محارمِه كأمِّه وأختِه وابنتِه وخالتِه وعمته.

خامساً: أن يرتكب جميع الكبائرِ التي يطلبُها الشيطانُ، إلى غير ذلكَ من المصائبِ التي يقعُ فيها الساحرُ إرضاءً للشيطانِ.

واللهُ عزَّ وجلَّ أخبرنا في كتابه عن هذا التعاونِ الخبيثِ بين شياطينِ الجنِّ وشياطينِ الإنسِ (السحرةُ).

فيقولُ سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

• فالساحرُ يصفهُ اللهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ بقوله: ﴿أَفَّاكٍ﴾ أي: كذابٍ يتفننُ في الكذبِ ويتحرى الكذبَ حتى كُتبَ عند الله كذاباً، ووصفه أيضاً بقوله: ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: يتفننُ في معصية اللهِ ويظهرُ ذلك من صورِ التعاملِ بينَه وبينَ شيطانِ الجن.

• والساحرُ منَ المفسدين في الأرض قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

ومن إفساد السحرةِ في الأرض بتعاونِهم مع شياطينِ الجنِّ: أنهم يُفَرِّقونَ بين

المرءِ وزوجِهِ. قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

• والساحرُ لا يُفلح أبداً في الدنيا ولا في الآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ٧٧﴾ [يونس].

• والساحرُ لا خلاقَ له في الآخرة -أي: لا نصيبَ له ولا أجرَ له عند الله يومَ القيامة-. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة].

• والساحرُ الذي يكفرُ بسحرِهِ ويقتلُ غيرَهُ بسحرِهِ حدُّهُ في الإسلام القتلُ والدليلُ على ذلك:

أولاً: أنَّ عمرَ ﵁ أرسلَ إلى الأمصارِ: (أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ) [(١)]، فقتلوا ثلاثَ سواحرَ.

ثانياً: قال جُنْدُبُ ﵁: (حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ)[(٢)] وقد صحَّ موقوفاً

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٠٤٣)، وأحمد (١/ ١٩٠)، والبزار (١٠٦٠)، وأبو يعلى (٨٦٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٤٧)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٠٤٣)].

(٢) **صحيح موقوفا**: رواه الحاكم (٨٠٧٣)، وأشار إليه الترمذي (١٤٦٠)، وضعف رفعه وصحح وقفه وهو الصواب [«السلسلة الضعيفة» (١٤٤٦)].

ولم يصحَّ مرفوعاً.

ثالثاً: (أَنَّ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ رضي الله عنها سَحَرَتْهَا جَارِيَةٌ لَهَا فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ)[1].

رابعاً: قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: (السَّاحِرُ الَّذِي يَعْمَلُ السِّحْرَ أَرَى أَنْ يُقْتَلَ)[2].

خامساً: قال ابنُ حجر رحمه الله: (حكمُ الساحر حكمُ الزنديق، فلا يُقْبَلُ توبتُه ويُقْتَلُ حدًّا إذا ثبتَ ذلك، وبهذا قال الإمامُ مالكُ وأحمدُ)[3].

* السحرُ جريمةٌ تُرتكبُ في حقِّ البشرية، والساحرُ بتعاونِه مع الشيطانِ للإضرارِ ببني آدم مجرمٌ.

قال تعالى على لسان سَحَرَةِ فرعونَ بعد أن آمنوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه].

ففي الآيةِ دليلٌ أنَّ مَنْ لقيَ اللهَ ساحراً كافراً -لم يؤمِنْ ولم يتبْ قبل أن يموتَ- لقيَ اللهَ يومَ القيامة مجرماً.

• **هل يجوزُ للمسلمِ أن يتعلمَ السحرَ أو يُعَلِّمَهُ؟**

الجوابُ: لا، بل هذا حرامٌ في ديننا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

---

(١) رواه مالك (١٥٦٢) عن سعد بن زرارة، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) عن ابن عمر.

(٢) رواه مالك (٢٥٧٦).

(٣)«فتح الباري »(١٠/ ٢٣٦).

ولقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

ولقوله ﷺ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْـمُوبِقَاتِ**» وذكر منها: «**السِّحْرُ**»(١).

ولقوله ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**»(٢).

• وأما الحديثُ الذي يُتَداوَلُ بين الجَهَلَةِ: (تعلّموا السحرَ ولا تعملوا به) فهو حديثٌ باطلٌ، كذبٌ لا يصحُّ عن رسولِ الله ﷺ.

*** هل يجوزُ للمسلمِ أن يذهبَ إلى الساحرِ أو الكاهنِ أو العرَّافِ لعملِ السحرِ أو لفكِّ السحرِ أو للعلاج؟**

الجوابُ: لا، لأن الإسلامَ حرَّمَ ذلك. قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٥١)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢/ رقم (٣٥٥) دون «**وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»، [«صحيح الترغيب» (٣٠٤١)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٠).

• ما هيَ الطرقُ الشرعيةُ في الوقايةِ منَ السحرِ والسحرةِ؟

خيرُ علاج للسحرِ أن يتّقيَهُ المرءُ قبلَ وقوعِهِ وحدوثِهِ، فالوقايةُ خيرٌ من العلاجِ، والساحرُ إنسانٌ مجرمٌ يحُبُّ الشرَّ والإفسادَ، ويستعينُ على تحقيقِ أغراضهِ الفاسدةِ بالشيطانِ الرجيم. وقد بينَ لنا ربُّنا في كتابه كيف يُحصِّنُ المسلمُ نفسَهُ من الشيطانِ سواءٌ كانَ منْ شياطينِ الإنسِ أو من شياطينِ الجن، ومن هذه الطرقِ:

١- الاستعاذة باللهِ، وقد أرشدنا اللهُ في كتابه في أكثرَ مِنْ موضعٍ فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٢٠٠].

وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون].

وأفضلُ ما يتعوَّذُ به المعوِّذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

٢- تقوى الله وحفظُهُ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق].

ولقوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»(١).

٣- التوكلُ على اللهِ وحدَه والاعتمادُ عليه لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، ، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

ولقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦].

٤- التوبةُ النَّصوحُ من كُلِّ الذنوبِ والمعاصي التي هي سببٌ لكلِّ شرٍّ، وسببٌ لكلِّ مصيبةٍ، وسببٌ لكل بلاءٍ. لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: (مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ)(١).

٥- الصدقةُ والإحسانُ لقوله ﷺ: «**دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ**»(٢)، ولقوله ﷺ: «**صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَفِعْلُ الْـمَعْرُوفِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**»(٣).

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣].

ويقولُ سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل].

---

(١) ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص٩٣)، وفي «طريق الهجرتين» (ص٤١٥).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أبو داود في «مراسيله» (١/ ١٢٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٧٧)].

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي في «الشعب» (٣١٦٨)، والقضاعي في «الشهاب» (١٠١)، [«صحيح الجامع» (٣٧٦٠)].

ومن طهَّرَ نفسَهُ وزكاها وأحسنَ إلى خلقِ الله كانَ اللهُ معه، ومَنْ كانَ الله معه فلا يضرُّهُ شياطينُ الإنسِ والجنِّ أبداً.

٦- تجريدُ التوحيدِ لله عزَّ وجلَّ بأن يعتقدَ العبدُ أنَّ الضرَّ والنفعَ بيدِ الله وحدَه.

قال تعالى في السِّحرِ والسَّحرةِ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧].

والشيطانُ يعترفُ أنه لا طاقةَ له ولا قدرةَ على الموحِّدينَ المخلصينَ فيقول: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

٧- الإكثارُ منَ الطاعاتِ والأعمالِ الصالحةِ وذكرِ الله لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء].

ولقوله ﷺ «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ الله الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٠٦)، وأحمد (١/ ٦٦)، [«صحيح الترغيب» (٦٥٥)].

٨- التَّصبُّحُ بسبعِ تَمَراتٍ عجوةٍ. لقوله ﷺ: «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلاَ سِحْرٌ**»(١).

• **ما هي الطرقُ الشرعيةُ لإزالةِ السحرِ بعدَ وقوعه؟**

أولاً: بالصبر على البلاءِ ابتغاءَ الأجرِ والمثوبةِ منَ الله عزَّ وجلَّ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر].

ولقوله ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

ورسولُنا ﷺ لما سحرَهُ اليهوديُّ صبرَ واحتسبَ، كيف لا؟ وهو الذي أخبرَ أنَّ أشدَّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ.

ثانياً: الإكثارُ من الدعاءِ

ففي الحديثِ الذي سُحِرَ فيه النبيُّ ﷺ تقولُ عائشةُ: (صبرَ ﷺ فترةً، ثم دعا، ثم دعا). وفي هذا تعليمٌ للأمةِ أنَّ الدعاءَ ينفعُ من السِّحرِ وغيرِه.

كيف لا؟ واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر].

ويقول ﷺ: «**لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ**»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٧٩)، ومسلم (٢٠٤٧) واللفظ له.

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٣٢٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٠٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢١٣٩)، والبزار (٢٥٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٦١٢٨)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٩)].

ويقول ﷺ: «**الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»(1).

ثالثاً: الرقيةُ الشرعيةُ

١- قراءةُ سورةِ الفاتحةِ.

٢- قراءةُ آيةِ الكرسيِّ.

٣- قراءةُ سورةِ البقرة.

٤- قراءةُ المعَوِّذتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾. ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

ففي بعضِ رواياتِ هذا الحديثِ أنه ﷺ رُقِيَ بهاتين السورتين، وكلما رُقِيَ بآية انحلَّتْ عقدَة، حتى انحلَّت العُقَدُ كلُّها، وشُفِيَ بفضلِ الله تماماً(2).

رابعاً: استخراج السحر وإبطاله

يقول ابن القيم: (علاج السحر نوعان: **أحدهما**: وهو أبلغهما استخراجه وتبطيله، كما صح عنه ﷺ ذلك.. فلما استخرجه ذهب ما به)(3).

• ما هو الاعتداءُ السادسُ الذي يعتدي به الشيطانُ على الإنسان؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعة القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كانَ في العمرِ بقية.

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١٨١٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٣٤)].

(٢) **صحيح**: وردت عدة روايات في ذلك منها ما رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٢٧١) عن زيد بن أرقم، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٩٤) عن عائشة، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٥/ ٧٩٤) لابن مردويه من طريق ابن عباس، [«السلسلة الصحيحة» (٢٧٦١)].

(٣)«إعلام الموقعين» (٢/ ١٠٤).

١٩

الاعتداءُ السادسُ

اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالوسوسةِ والنسيانِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾[الأعراف].

ويقولُ سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ [سبأ].

• لما طَرَدَ اللهُ إبليسَ من جنتِهِ ورحمتِهِ، ولعنَهُ إلى يوم الدين، أعلنَ إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ، وقادَ المعركةَ معهم بنفسِه واستخدم أساليبَ متنوعةً لإضلالِ بني آدمَ، ولم يكتفِ بذلك، بل أَخَذَ يَدْخُلُ عليهم مِنْ مداخلَ شتّى لِيُهْلِكَهُمْ، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعتدي على بني آدمَ بكلِّ أنواعِ الاعتداءاتِ التي منها:

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتهِ.

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطان على صلاة الإنسانِ.

الاعتداءُ الثالثُ: اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسان وبيتِهِ.

الاعتداءُ الرابعُ: اعتداءُ الشيطانُ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ

الاعتداءُ الخامسُ: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالسحرِ

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضية وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ السادسُ: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالوسوسةِ والنسيانِ**

أولاً: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالوسوسةِ

• **الوَسوسةُ**: هي الخاطرُ السوءُ يُحْدِثُهُ الشيطانُ في قلبِ الإنسانِ فَيُغْوَيهِ بما يريدُهُ. والشيطانُ يستطيعُ أن يصل إلى فكرِ الإنسانِ وقلبهِ بطريقةٍ لا ندركُها، ولا نعرِفُها، يساعدُهُ على ذلك طبيعتُهُ التي خُلِقَ عليها.

• **والوَسواسُ**: هو الشيطانُ، يأتي إلى ساحة القلبِ -وهي الصدرُ- فيُلقي ما يُريدُ منَ الشرِّ إلى القلبِ، وقد جَعلَ اللهُ لهُ نفوذاً لأنه يجري من الإنسانِ مجرى الدمِ قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»[(١)].

فإذا وجدَ الشيطانُ غفلةً من القلبِ جثمَ عليه وبذرَ فيه أنواعَ الوَساوسِ التي هي الذنوبُ، فإذا ذكرَ العبدُ ربَّهُ انْخَنَس وانقبضَ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) واللفظ للبخاري.

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس].

• وبالوسوسةَ دخلَ الشيطانُ على آدمَ وحواء قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه:١٢٠-١٢١].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف].

* فالشيطانُ يُهلِكُ الإنسانَ خطوةً خطوةً، فالخطوةُ التي يبدأ بها مع الإنسانِ هي الوسوسةُ، وهي التي ينتهي بها أيضاً، لكنه يقومُ بها حسبَ ما يرى مِنْ تجاوبِ مَنْ يُوسوسُ له، ثم يتدرَّجُ به إلى أنْ يجعلَهُ في النهاية من أصحابِ السعيرِ. ولذلك قال تعالى مُحَذِّراً عبادَهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

• **ومن الأمثلةِ على ذلك:**

١- يأتي الشيطانُ للإنسانِ يوسوسُ له بأن يَكْفُرَ مرةً ومرةً ومرةً، وفي كلِّ مرةٍ يقولُ له: اكفرْ! اكفرْ! ويُزَيِّنُ له الكُفرَ حتى يكفرَ الإنسانِ.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ

جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ [الحشر].

ومن وسوسةِ الشيطانِ للإنسانِ ليفسدَ عليه عقيدتَهُ يقول ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١).

٢- ويأتي الشيطانُ للإنسانِ يوسوسُ له أنْ ينظرَ إلى المرأةِ الأجنبية، ويوسوسُ له أنْ يصافِحَها، ويوسوسْ له أن يخلوَ بها، وهكذا حتى يُنمِّيَ في قلبه مرضَ الشهوةِ إلى أن يوقِعَهُ في فاحشةِ الزنا.

قال ﷺ: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ؛ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ**»(٢).

وكما قيل: نظرةٌ، فابتسامةٌ، فموعدٌ، فلقاءٌ، وإذا التقى الرجلُ بالمرأةِ وخلا بها كان الشيطانُ ثالثَهما؛ قال ﷺ: «**أَلا لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(٣).

والشيطانُ يأمرُ بالفحشاءِ والمنكرِ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٧)، وأحمد (١/١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٩)، وابن حبان (٥٥٨٦)، والحاكم (٣٨٧)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٦)].

٣- ويأتي الشيطانُ للإنسانِ فيوسوسُ لهُ ليكذبَ، ويزينُ له الكذبَ، حتى يكذبَ الإنسانُ مرةً ثم يُتْبِعُها بأخرى ويتحرى الكذبَ طاعةً للشيطانِ حتى يُكتبَ عندَ الله كذاباً.

قال ﷺ مُحَذِّراً أمته: «...**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

وهكذا يعتدي الشيطانُ على الإنسانِ بالوسوسةِ خُطوةً خُطوة، وكلُّ خطوةٍ هي وسوسةٌ، ولها اسمٌ يناسبُ وقتها ونتيجتها عندَ المُوَسْوَسِ له؛ فقدْ تكونُ الوسوسةُ نَزْغاً، كما قال تعالى في أكثر من موضعٍ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

والنزغُ: كلمةٌ تدلُّ على إفسادٍ بينَ اثنينِ؛ فالشيطانُ يوسوسُ بالنزغ ليُفسدَ بينَ الأحبةِ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف:١٠٠].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

فالشيطانُ يستغِلُّ شيئاً من الحسدِ أو الأثرةِ أو مشاحنةٍ ما وغير ذلك، فيوسوسُ بإيقاعِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ المتخاصِمَين؛ ولذلك قال ﷺ مُحَذِّراً من ذلك: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[1].

• وقد تكونُ الوسوسةُ منَ الشيطانِ تحزيناً للمؤمن. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة].

والنجوى: هي السرُّ بين اثنين في وجود الثالث؛ ولذلك قطعَ النبيُّ ﷺ الطريقَ على الشيطانِ حتى لا يُسببَ للمؤمنين حُزْنًا فيما بينهم؛ فقال ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَه**»[2]. أي: من أجْلِ.

• وقد تكونُ الوسوسةُ منَ الشيطان تخويفاً؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾**﴾ [آل عمران].

وتخويفُ الشيطانِ للمؤمنِ أنهُ يُرْهِبُهُ منْ أعداءِ الله، فيثبطُهُ عن الجهادِ في سبيلِ الله، ويُضْعِفُ عندَه التوكُّلَ على الله والثقةَ به سبحانه، أو يُقْلِقُهُ على الرزقِ وهَمِّ الدنيا، أو يمنَعُهُ منَ الصدقة خوفَ الفقرِ، وغيرُ ذلك كالحُلْمِ السيءِ الذي يراهُ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) واللفظ للبخاري.

المؤمنُ في نومِهِ، يريدُ الشيطانُ بذلكَ أن يُخَوِّفَه، قال ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ: فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[1].

• وقد تكونُ الوسوسةُ منَ الشيطانِ إيحاءً؛ قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢**﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١**﴾ [الأنعام].

فانظروا عبادَ الله! إذا كانَ الوحيُ الإلهيُّ أخرجَ الناسَ منَ الظلماتِ إلى النورِ، فإنَّ وحيَ الشيطانِ إلى أوليائِهِ كانَ بمنزلةِ ما يُخْرِجُ منَ النور إلى الظلماتِ، فقد وصلَ بهمُ الشيطانُ إلى درجةٍ أنهم يَتَلَقَّوْنَ وساوسَهُ ويستسلمونَ لها كما يتلقى النبيُّ ﷺ الوحي منَ المَلَكِ عليه السلام، فالوسوسةُ هنا إيحاءٌ، وهي تدلُّ على سهولةِ دخولِ الشيطانِ إلى نفسِ هذا الذي يُوحي إليه، بما عندَها من مداخلِ الشَّرِّ المفتوحةِ على مِصْراعَيْها، إذ يتلقى الخواطرَ الرديئةَ منه تلقياً سهلاً حتى تصبحَ كأنها من صُنْعِهِ وتخطيطِهِ ورسمِهِ وبيانِهِ.

• فَمَنِ الذي أوحى للكفارِ أن يكفروا ويستمروا على كفرِهم ويدافعوا عنهُ؟

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠١٧)، ومسلم (٦٠٤٢)، و ابن ماجه (٣٩٠)، وأحمد (٢/ ٣٩٥) واللفظ لهما.

إنه الشيطانُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال].

- ومَنِ الذي أوحى بالوسوسةِ لليهودِ فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾... إنه الشيطانُ.
- وَمَنِ الذي أوحى بالوسوسةِ للنصارى فقالوا: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، وقالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾؟.. إنه الشيطان.
- ومَنِ الذي أوحى إلى فرعونَ فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾؟.. إنه الشيطان.
- ومَنِ الذي أوحى إلى المبتدعةِ فقالوا: (إنها بدعةٌ حسنةٌ)، والنبيُّ ﷺ يقول: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(1)؟.. إنه الشيطانُ.
- ومَنِ الذي أوحى إلى العُصاةِ بالوسوسةِ حتى أقبلوا على المعاصي كبيرِها وصغيرِها، وجعلهم لم يفكروا في التوبةِ أبداً، وجعلَهم يأمنونَ مكرَ اللهِ؟... إنه الشيطان.

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٨٦٧)

فاللهُ عزَّ وجلَّ يُخرجُ أولياءَهُ بالوحيِ منَ الظلماتِ إلى النورِ، والشيطانُ يُخرجُ أولياءَهُ بوسوستِهِ منَ النورِ إلى الظلماتِ ويومَ القيامةِ إذا دخلَ الشيطانُ معَ أوليائِهِ النارَ يقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾-أي:بالوحي الإلهي- ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ -أي: بالوسوسةِ التي هي الإيحاءُ- ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ -أي: بالوسوسةِ- ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

*** كيفَ يُحصِّنُ الإنسانُ نفسَهُ منَ اعتداءاتِ الشيطانِ بالوسوسةِ؟**

الجوابُ: بالاستعاذة باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم.

إنَّ الاستعاذةَ باللهِ السميعِ العليمِ منَ الشيطانِ الرجيمِ مطلبٌ شرعيٌّ، إذْ أمرَ اللهُ بهِ في كتابه، والنبيُّ ﷺ في سنتِه قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

وأمر النبيُّ ﷺ أصحابَه وأمتَه أن يستعيذوا باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم، واللهُ تباركَ وتعالى يُعيذُ مِنَ استعاذَ به ويعصمُهُ ويقيهِ، قال في الحديث القدسي: «**وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»(١)، ولما أعاذَتِ امرأةُ عمرانَ ابنتَها مريمَ وذريَّتَها من الشيطانِ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

الرجيم استجابَ اللهُ لها.

عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ، إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران](1).

وأعاذَ اللهُ عمارَ بنَ ياسرٍ رضي الله عنه منَ الشيطانِ؛ قال علقمةُ: قال لي أبو الدرداءِ: (أَلَيْسَ فِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ؟ يَعْنِي عَمَّارًا..) الحديث(2).

• فعلى المسلم أنْ يستعيذَ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيم:

أولاً: عندَ نزغاتِ الشيطانِ

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

• ومِنْ نَزَغاتِ الشيطان التي تستعيذُ منها أيها المسلمّ:

١- الوسوسةُ في العقيدة

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٤٣).

قال -ﷺ-: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»(١).

٢- الوسوسةُ في الصلاة.

عن عثمانَ بنِ أبي العاص ﷺ أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ**(٢)، **فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثاً**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي(٣).

وعَلَّمَ النبيُّ ﷺ أمتَهُ الاستعاذةَ في الصلاةِ قبلَ القراءةِ ليكونوا في حصنٍ حصينٍ من وسوسةِ الشياطين؛ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ قبلَ القراءةِ: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٤).

٣- الوسوسةُ عندَ الغضبِ

عن سُلَيْمَان بْنُ صُرَدٍ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

(٢) خنزب: يجوز في الخاء الثلاثة أوجه؛ الفتح والكسر والضم، راجع النهاية (٢/ ٨٢) وشرح مسلم (٢٢٠٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، [«المشكاة» (٧)].

ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آنِفًا؟ قَالَ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي[(١)].

ثانياً: عند دخولِ الخلاءِ

عن أنس ﵁ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـخُبُثِ وَالْـخَبَائِثِ**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْـحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْـخَلاَءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْـخُبُثِ وَالْـخَبَائِثِ**»[(٣)].

ثالثاً: عندَ دخولِ المسجد

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ**»[(٤)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٢٠)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٧٠)].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٦)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٦٨)، [«صحيح الترغيب» (١٦٠٦)].

رابعاً: عندَ سماعِ نُباحِ الكلابِ ونهيقِ الحميرِ ليلاً

قال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا**»(١).

وقال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلاَبِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ...**»(٢).

ثانياً: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالنسيانِ

النسيانُ آفةٌ عظيمةٌ يُصابُ بها الناسُ في أمورِهمُ الدينيةِ والدنيويةِ، والشيطانُ حريصٌ كلَّ الحرصِ أن يُنسيَ الناسَ ما ينفعُهم في دينِهم ودنياهم.

والناسُ في النسيان قسمان:

القسمُ الأولُ: قسمٌ تمكن منهمُ الشيطانُ تمكناً كُليًّا حتى أنساهم ربَّهم بالكلية؛ وهؤلاء كثيرٌ قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

وتظهرُ كثرةُ هذا القسمِ من قولِه ﷺ: «**يقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ:**

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٣٤)، وأحمد (٣/ ٣٠٦) واللفظ له، وأبي يعلى (٢٢٢١)، والحاكم (٧٧٦٢)، [«صحيح الجامع» (٦٢٢)].

لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْكَ! وَالْـخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ»[1].

القسمُ الثاني: قسمٌ أنساهُمُ الشيطانُ بعضَ الأمور التي أُمِروا بها، ويدخُلُ في هذا المؤمنُ والكافرُ؛ لعمومِ قوله ﷺ: «**نَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**»[2].

والذي نسيهُ آدمُ هي السنوات الأربعون التي أعطاها من عمرُهِ لداودَ عليهما السلام، فصارَ النسيانُ سمةً لهذا المخلوق.

وقد ذكرَ اللهُ عَزَّ وجلَّ هذا النوعَ في عدة آياتٍ مِنْ كتابه.

١- ما فعلُه إبليسُ بآدمَ، فما زالَ يوسوسُ له حتى أنساهُ ما أمرَهُ به ربُّه؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥**﴾ [طه].

٢- لما طلبَ نبيُّ الله يوسفُ عليه السلام إلى السجينِ الذي ظنَّ أنه سينجو من القتلِ، ويعودُ لخدمةِ الملكِ أن يَذْكُرَهُ عند مليكِه، فأنسى الشيطانُ هذا الإنسانَ أن يذكُرَ لملِكِه نبيَّ اللهِ يوسفَ، فمكثَ يوسفُ في السجن بضعَ سنين؛ قال تعالى:

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٧٦)، والبزار (٨٨٩٢)، وأبي يعلى (٦٣٧٧)، والحاكم (٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٤٧)، [«صحيح الجامع» (٥٢٠٨)].

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف].

٣- وما قاله صاحبُ موسى لموسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣].

٤- قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

يأمرُ اللهُ نبيَّه ﷺ وأمتَه بالإعراضِ عن الذينَ يخوضون في آياتِ الله على وجهِ التكذيبِ والاستهزاءِ، فإذا أنساهُ الشيطانُ أنه مأمورٌ بالقيام والابتعادِ عنهم فلا يجوزُ له أن يبقى بعدَما يتذكرُ ذلِكَ، فالأمرُ بالإعراضِ يقتضي الوجوبَ، والنهيُ عنِ القعُودِ يقتضي التحريم[1].

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ الشيطانَ قد يُنْسي بعضَ المسلمين هذا الحكمَ، وإذا نسيَ المسلمُ فلا يؤاخَذُ، ولكنْ إذا تذكَّرَ الحكمَ فعليه أن يلتزمَ ما أمرَه بهِ، وأن ينتهيَ عما نهي عنه، والشيطانُ يحرصُ على أن يُنسيَ المسلمَ هذا الحكمَ حتى يبقى معَ هؤلاءِ فَتُثارُ عليه شبْهةٌ قد تُلَبِّسُ عليه دينَه أو يُكْثِرُ الإمساسَ فيقلُّ الإحساسُ،

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٥) و«السعدي» (٢/ ١٩٤).

فإذا سمعَ ذلكَ لم يَرَ به بأساً ولم يرفَعْ له رأساً، وكذلك ليصيبَهُ الوعيدُ الشديدُ المذكورُ في الآيةِ الأخرى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠].

فإذا جالستموهم وأقرَرْتموهم على ذلكَ فقد ساويتموهم فيما همْ فيه فأنتم كفارٌ مثلهم(١).

• ما هوَ الاعتداءُ السابعُ الذي يعتدي به الشيطانُ على الإنسان؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كانَ في العمرِ بقية.

(١) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٤٩١)، و«ابن كثير» (٢/ ١٤٥).

٢٠

الاعتداءُ السابعُ

اعتداءُ الشيطانِ على وحدةِ المسلمين وجماعتِهم بإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينهم ليفرِّقهم

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلّ في كتابِه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ
﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا
خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن
طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ
فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ
﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ
أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

• لما طُرِدَ إبليسُ من رحمةِ الله ومِنْ جنتِهِ، أعلنَ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ، وقادَ المعركةَ بنفسِهِ يستخدمُ فيها أساليبَ متنوعةً، ويدخلُ على بني آدمَ من مداخلَ شتى لإهلاكهم وإضلالِهم، ولم يكتفِ بذلك بل أخذَ يعتدي على بني آدمَ بكلِّ أنواعِ الاعتداءاتِ التي منها:

الاعتداءُ الأولُ: اعتداءُ الشيطانِ على دينِ الإنسانِ وعقيدتهِ.

الاعتداءُ الثاني: اعتداءُ الشيطانِ على صلاة الإنسانِ.

الاعتداءُ الثالثُ: اعتداءُ الشيطانِ على نومِ الإنسان وبيتِهِ.

الاعتداءُ الرابعُ: اعتداءُ الشيطانِ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ

الاعتداءُ الخامسُ: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالسِّحرِ

الاعتداءُ السادسُ: اعتداءُ الشيطانِ على الإنسانِ بالوسوسةِ والنسيانِ

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضية فكونوا منها على حذر.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع:

الاعتداءُ السابع: اعتداءُ الشيطانِ على وحْدَةِ المسلمينَ وجماعتِهم بإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ ليفرقَهم

*الجماعةُ رحمةٌ، والفُرقَةُ عذابٌ.

• ولذلك جاءَ الإسلامُ يأمرُ بالجماعةِ ويُحذِّرُ منَ الفُرقةِ والاختلافِ قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٦].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (تبيضُّ وجوهُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وتسودُّ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ)(١).

ولقد امتنَّ الله عزَّ وجلَّ على رسولِهِ ﷺ بنعمةِ التأليفِ بينَ قلوبِ المسلمين وجَعْلِهِمْ جماعةً واحدةً. قال الله لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

• وامتنَّ اللهُ على الصحابةِ عامةً، وعلى الأنصارِ خاصةً بهذهِ النعمةِ فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكانَ رسولُ الله ﷺ يذكِّرُ الأنصارَ بهذه النعمةِ: فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ -أي: من الغنائم- فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ**

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٠).

ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟»[1]... الحديث.

• وها هو رسولُ اللهِ ﷺ في سنتِه يأمرُ بالجماعةِ، ويُحَذِّرُ من الفرقةِ والاختلافِ.

قال ﷺ: «**لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**»[2].

وقال ﷺ: «**الْـجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[3].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْـمَالِ**»[4].

وقال ﷺ: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ**[5] **فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ**»[6].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، والبزار(٣٢٨٢)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٩٩)، والقضاعي في «الشهاب» (١٥)، [«صحيح الترغيب»(٩٧٦)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٥).

(٥) هنات وهنات: المراد بها الفتن والأمور الحادثة.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٢).

وقال ﷺ: «**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْـمُؤْمِنُ**»[1].

ويقولُ حُذيفةُ رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**». فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْـمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[2].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٨)، وأحمد (١/١٨)، والطيالسي (٣١)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

• وظَلَّ النبيُّ ﷺ طِوالَ حياتِهِ الشريفةِ يأمرُ بالجماعةِ، ويُحَذِّرُ من الفُرقةِ والاختلافِ، وظَلَّ ﷺ يحرُسُ جماعةَ المسلمينَ ووَحدتهم مِن التفكُكِ والانهيارِ، كما ظَلَّ ﷺ يحاربُ التفرق ولو كان في أدنى صُورِه، في حَضرِه وسفرِه، في ليلِهِ ونهارِه، ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- يدخلُ ﷺ المسجدَ يوماً فيرى الناسَ حِلَقًا كثيرةً، كُلُّ حَلْقَةٍ في ناحيةٍ، فينهاهُم عنْ ذلكَ قائلاً: «**مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ**»[١] -أي: مالي أراكم متفرقين فِرَقاً-. يقول الراوي: كَأَنَّهُ ﷺ يُحِبُّ الْجَمَاعَةَ[٢].

٢- وينصرفُ ﷺ ذاتَ يومٍ منَ الصلاةِ فيرى رجلاً يصلي منفرداً خلفَ الصفِّ، فانتظرَهُ حتى انصرفَ من صلاتِهِ ثم قال ﷺ: «**اسْتَقْبِلْ صَلاتَكَ**» - أي: أعِدْها- «**لاَ صَلاَةَ لِلَّذِي خَلْفَ الصَّفِّ**»[٣]. أي: لا صلاةَ لمن صلى منفرداً خلفَ الصفِّ لأنه خالفَ الجماعةَ وشذَّ عنها.

٣- وحرصاً منه ﷺ على الجماعةِ فقد كان ينهى أن يُسافرَ الرجلُ وحدَهُ، فيقولُ ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ؛ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٠).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٨٢٤)، [«الثمر المستطاب» (٧٩٢)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (١٠٠٣)، وأحمد (٤/ ٢٣)، وابن خزيمة (١٥٦٩)، وابن حبان (٢٢٠٢)، [«صحيح الجامع» (٩٤٩)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٩٩٨)، وعند أحمد (٢/ ٦٠) بزيادة «أبدا».

وقال ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلاَثَةُ رَكْبٌ**»(١).

٤- وحرصاً منه ﷺ على الجماعةِ فقد همَّ أنْ يُحَرِّقَ على المتخلفين عن صلاةِ الجماعةِ بيوتَهم بالنارِ، قال ﷺ: «**وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ**»(٣).

وقال ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ثُمَّ لَمْ يَأْتِهِ، فَلا صَلاةَ لَهُ إِلا مِنْ عُذْرٍ**»(٤).

• ولم يكتفِ ﷺ بل أخذَ يبينُ لأصحابِهِ وأمتهِ أنَّ التفرقَ والاختلافَ من فعل شياطينِ الإنسِ والجنِّ.

• عن أبي ثعْلبَةَ الخُشَنِيِّ قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ**

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٠٧)، والترمذي (١٦٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٩٨)، وأحمد (٢/ ١٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٣١٠٨)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٢).

(٤) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٦٥)، وابن حبان (٢٠٦٤)، والحاكم (٨٩٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٥٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٦)].

مِنَ الشَّيْطَانِ». فَلَمْ يَنْزِلوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ[1].

• وعن جابرَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»[2]. -أي: نعم ما صنعتَ منَ التفريقِ بينَ الرجل وبينَ امرأتِهِ.

• ولقد سلَكَ هذا الدربَ، وسارَ على هذا النهجِ شياطينُ الإنسِ اليهودُ كما سماهُمُ اللهُ تعالى، حيث قالَ في حَقِّ المنافقينَ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

فاليهودُ -لعنهم اللهُ- شياطينُ الإنسِ، يعملونَ عملَ شياطينِ الجنِّ، من التفريقِ بين الأحبةِ، وتمزيق شمل الأمة.

حكى محمدُ بنُ إسحاقَ: أنَّ رجلاً منَ اليهودِ مرَّ بملأٍ مِنَ الأوسِ والخزرجِ

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٥)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، وابن حبان (٢٦٩٠)، والحاكم (٢٥٤٠) [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

فساءَه ما همْ عليه منَ الاتفاقِ والألفةِ، فبعثَ رجلاً معه، وأمره أن يجلسَ بينهم وَيْذْكُرَ لهم ما كانَ مِنْ حربِهم يومَ بُعاث، وتلكَ الحروبَ التي كانت بينهم في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ، ففعلَ، فلم يزل ذلكَ دأبَه حتى حَمِيتْ نفوسُ القومِ، وغضبَ بعضُهم على بعضٍ، وتثاوروا، ونادَوا بِشُعَّارِهم، وطلبوا أسلحَتَهم وتواعدوا إلى الحَرَّةِ أي للقتالِ. فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فأتاهم فجعلَ يُسَكِّنُهم ويقولُ: «**أبدَعْوَى الجاهليةِ وأنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ**»، وتلا عليهم قولَ الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٠٣] فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقَوُا السلاحَ(١).

ومنذُ ذلكَ التاريخِ واليهودُ كالشياطينِ يعملون جادِّين لتمزيقِ شملِ الأمةِ، وتفتيتِ وَحْدَتِها، ولم يَيْأَسوا معَ قلتهم وتفرقِّهم في البلادِ من نيلِ ما أرادوا منَ المسلمين، حتى حققوا فعلاً ما كانوا يَحْلُمونَ به من تمزيقِ شملِ المسلمينَ، وتفريقِ جمعِهم، وتقسيمِ دولتهم إلى دُوَيْلاتٍ متناحرةٍ متباغضةٍ، فقامت على أَثَرِ هذا الاختلافِ والتمزقِ دولةُ يهود، وتَجَمّعوا بعدَما كانوا متفرقين(٢).

ولم يكتفِ بذلكَ إخوةُ القردةِ والخنازيرِ، بل فرَّقوا بينَ الشَّعْبِ الواحدِ وجعلوهُ يقتلُ بعضُهم بعضاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «الوصايا المنبرية»: لشيخنا عبدالعظيم بن بدوي حفظه الله.

• وها أنا أضعُ أمامَ المسلمينَ أساليبَ شياطينِ الإنسِ والجنِّ التي مِنْ خلالها يُفَرِّقونَ بينَ المسلمينَ وبينَ الأحبةِ بإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينهم لِيَهلِكَ مَنْ هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيَّ عن بينةٍ.

الأسلوبُ الأولُ: الخمرُ والميسرُ وجميعُ أنواعِ المخدِّراتِ

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة].

كَمْ من جريمةِ قتلٍ وقَعَتْ بسببِ الخمرِ والميسرِ (القمارِ) والمخدراتِ، فتسبَّبَتْ في إلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الناس؟! الشاهدُ الذي لا ينكرُهُ أحدٌ: أنهُ كثيرٌ وكثيرٌ جداً.

الأسلوبُ الثاني: السحرُ

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:١٠٢].

فكم فَرَّقَتْ شياطينُ الجنِّ وشياطينُ الإنسِ (السحرةُ) بينَ المرءِ وزوجِهِ، وبينَ الأحبةِ بما فعلوهُ من السحرِ فتسببوا في إلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الأحبةِ؟!

الأسلوبُ الثالثُ: الكلمةُ النابيةُ

قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

فكم من البيوتِ هُدِّمَتْ بسببِ كلمةٍ نابية؟! وكم من العلاقاتِ قُطِعَتْ بسببِ كلمةٍ نابيةٍ؟! وكمْ مِنَ الأرحام قُطِعَتْ بسبب كلمةٍ نابيةٍ؟! وكم منَ الدماءِ سُفِكَتْ بسببِ كلمةٍ نابيةٍ ألقاها الشيطانُ لإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الأحبةِ؟!

الأسلوبُ الرابعُ: التحريشُ بينَ المسلمينَ

قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْـمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(١).

والتحريشُ الذي يفعَلُهُ الشيطانُ بينَ المسلمينَ والأحبةِ هو: الخصوماتُ والشحناءُ والقطيعةُ والحروبُ والفتنُ وغيرُها، وهذا الذي يَحْدُثُ في بلادِ المسلمينَ اليومَ هو مِنْ تحريشِ الشيطانِ.

الأسلوبُ الخامسُ: الإشارةُ بالسلاحِ ولو كان مازحاً

قال ﷺ: «**لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٢).

الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»(١). ومعنى «**ينزِعُ في يده**» -أي: يرمي في يده ويحقِّقُ ضربَتَه ورَمْيَتَه.

فكمْ من صديقٍ قتلَ صديقَهُ، وكم من أخٍ قتل أخاهُ بسبب المزاحِ واللَّعِب بالسلاح؟!

والشيطانُ أحبُّ الأعمالِ إليهِ هي أنْ يوقِعَ المسلمَ في جريمةِ القتل. قال ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ إِبْلِيسُ بَثَّ جُنُودَهُ فَيَقُولُ: مَنْ أَضَلَّ الْيَوْمَ مُسْلِمًا أَلْبَسْتُهُ التَّاجَ، قَالَ: فَيَخْرُجُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَتزَوَّجَ، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى عَقَّ وَالِدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَوْشَكَ أَنْ يَبَرَّهُما، وَيَجِيءُ هَذَا فَيَقُولُ: لَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى قَتَلَ، فَيَقُولُ: أَنْتَ أَنْتَ، وَيُلْبِسُهُ التَّاجَ**»(٢).

أتدرون لم يا عبادَ الله؟! لأنه إذا وقعَتْ جريمةُ القتلِ وقعَت العداوةُ والبغضاءُ، وإذا وقعَتِ العداوةُ والبغضاءُ كانَتِ الفُرْقَةُ والاختلافُ.

الأسلوبُ السادسُ: إثارةُ الغضب

عن سليمانَ بن صُرَدٍ رضي الله عنه قال: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا، قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ؛ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٧).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان (٦١٨٩)، والحاكم (٨٠٢٧)، [«السلسلة الصحيحة» (١٢٨٠)].

فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلاَ تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ ؟! قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ [1].

والإنسانُ إذا غَضِبَ طَلَّق وضَرَبَ وقتلَ، وكلُّ ذلكَ يوقعُ العداوةَ والبغضاءَ بينَ المسلمين، وهذا ما يريدُهُ الشيطانُ العدوُّ المبينُ الذي حَذَّرَنا اللهُ منه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦].

الأسلوبُ السابعُ: بَثُّ الهوى بينهم

يقول ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**» [2].

عَنِ الأَوْزَاعِيِّ قَالَ: (قَالَ إِبْلِيسُ لأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ ؟ فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الِاسْتِغْفَارِ؟ فَقَالُوا: هَيْهَاتَ، ذَاكَ شَيْءٌ قَرِينُ بِالتَّوْحِيدِ -أي نظير التوحيد- قَالَ: لأَبُثَّنَّ فِيهِمْ شَيْئًا لاَ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ مِنْهُ ؛ قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمُ الأَهْوَاءَ) [3].

والخلافُ والتفرُّقُ في الأمةِ ناشئٌ عن اتباعِ الهوى، فأهلُ الأهواءِ يَتَّبعونَ المتشابهَ من الأدلة، ابتغاءَ الفتنةِ، فيؤدي ذلكَ إلى وقوعِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ للبخاري.

(٢)حسن: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، وأبو يعلى (١٣٩٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٧٨٨)، والحاكم (٧٦٧٢) واللفظ له، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٤)].

(٣) رواه الدارمي (٣٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٠٨).

الناسِ فيَضِلُّونَ ويُضِلُّون.

قال تعالى مبيناً موقفَ الراسخينَ في العلمِ وموقفَ أهلِ الأهواء من المتشابه:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

فاتباعُ الهوى يؤدي إلى وقوعِ العداوةِ والبغضاءِ بينَ الناسِ، وهذا يؤدي إلى الفُرقَةِ والاختلاف.

عن معاويةَ رضي الله عنه قال: (قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، أَلا وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَهْوُونَ هَوًى، يَتَجَارَى بِهِمْ ذَلِكَ الْهَوَى كَمَا يَتَجَارَى الْكَلَبُ[1] بِصَاحِبِهِ، لا يَدَعُ مِنْهُ عِرْقًا، وَلاَ مِفْصلا إِلاَّ دَخَلَهُ)[2].

(١) الكلب: داءٌ يَعْرِضُ للإنسانِ من عضِّ الكَلْبِ الكَلبِ.

(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ رقم (٨٨٥)، والحاكم (٤٤٣)، [«الظلال» (٢)].

كيف تُحصنُ الأمة نفسها من كيد الشيطان الذي يُلقي بينهم العداوة والبغضاء؟

أولاً: بإقامةِ الدين والرجوع إليه

قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»(١).

وديننا الذي نرجعُ إليه هو الإسلام؛ دينٌ كاملٌ، ونعمةٌ تامةٌ. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

على الإسلام فقط، تأتلف القلوب، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

وبالإسلام وحدهُ تكونُ الأخوة والمحبةُ والجماعةُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال ﷺ: «**الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ**»(٢).

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

ثانياً: بسلوكِ المنهجِ الصحيح الذي ارتضاهُ اللهُ في كتابه لعبادِهِ، وارتضاهُ النبيُّ ﷺ لأمته

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً؛ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(١).

لو سألنا أنفسنا وفكرنا بعقولنا ما الذي فرقَ المسلمين فِرقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون]؟ أليس هو البعدُ عن المنهجِ النبوي واتباع الهوى! والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

ثالثاً: بالابتعادِ عن كلِّ ما يُوقعُ العداوةَ والبغضاء بين المسلمين

كسوءِ الظن والتجسسِ والغيبةِ والحسدِ والتدابرِ استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [الحجرات].

واستجابة لقوله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْـحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا**(1)**، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(2).

رابعاً: بمعرفةِ أساليبِ الشيطانِ الخبيثةِ التي بها يُوقعُ العداوة والبغضاء بين المسلمين والتي منها:

١- الخمر والميسر	٢- السحر
٣- الكلمة النابية	٤- التحريشُ
٥- إثارة الغضب	٦- بثُّ الهوى

• ما هو الاعتداءُ الثامن الذي يعتدي به الشيطانُ على الإنسان؟ هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إنْ شاءَ اللهُ تعالى إنْ كانَ في العمرِ بقية.

---

(١) (ولا تحسسوا ولا تجسسوا) قال العلماء: التحسس: الاستماع لحديث القوم، والتجسس البحث عن العورات.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.

٢١

الاعتداءُ الثامن

اعتداءُ الشيطانِ على وحدةِ المسلمين وجماعتِهم بالعصبيةِ القوميةِ؛ ليفرِّقَهم

عبادَ الله! الجماعةُ رحمةٌ، والفُرقةُ عذاب.

وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجل؛ الجماعةُ، والاعتصامُ بحبل الله.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا...**»(١).

فبالاعتصامِ بحبلِ اللهِ جميعاً وعدمِ التفرقِ، نُصبحُ إخوةً في اللهِ. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحُجُرات:١٠].

وبالاعتصامِ بحبلِ اللهِ جميعاً وعدمِ التفرقِ، نصبحُ كالبناءِ الواحدِ في قُوَّتِهِ.

قال ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»(٢).

وبالاعتصامِ بحبلِ اللهِ جميعاً وعدمِ التفرقِ، نُصبحُ كالجسدِ الواحدِ في حساسيته وتأثره.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) واللفظ للبخاري.

قال ﷺ: «**مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى**»(١).

وأحبُّ الأعمالِ إلى الشيطانِ؛ التفريقُ بينَ الأحبةِ ولذلك كان النبيُّ ﷺ يُحذِّرُ أصحابَهُ منَ الفُرقَةِ والاختلافِ ويُبينُ لهم أنها مِنْ عملِ الشيطانِ.

عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ قالَ: (كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِى الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِى هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**» فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ)(٢).

ويُخبرهم أن الفرقةَ من أحبِّ الأعمالِ إلى الشيطان، فعن جابرٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْـمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»(٣).

-أي: نِعْمَ ما صنعتَ منَ التفريقِ بينَ الرجلِ وبين امْرأتِه فالجماعةُ رحمةٌ ويُحبُّها الله عز وجل، والفرقةُ عذابٌ ويُحبها الشيطان.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، والحاكم (٢٥٤٠)، وابن حبان (٢٦٩٠) واللفظ لهما، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

وقد تبينَ لنا في الجمعةِ الماضيةِ كيفَ فرَّقَ الشيطانُ بينَ المسلمينَ بإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينهم بأساليبَ خبيثةٍ منها: الخمرُ والميسرُ، والسحرُ، والكلمةُ النابيةُ، والتحريشُ بينهم وإثارةُ الغضبِ وغيرُها.

ولم يكتفِ الشيطانُ بذلكَ بل أَخذَ يُفرِّقُ بينَ المسلمينَ بالحزبيةِ والعصبيةِ البغيضةِ حتى جعلَهم فِرَقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

الحزبيةُ التي نراها اليومَ ويلٌ وثبورٌ، وإنِ ادَّعتْ أنها على (الهدى والنور).

الحزبيةُ محنةٌ وفتنةٌ، وإنْ زَعَمَتْ أنها على (الكتابِ والسنةِ).

وإذِ الأمرُ كذلك؛ فإنَّ مُجَرَّدَ التَّلَقُّبِ بألقابِ حَقٍّ، وألفاظِ صِدقٍ، أو التَّسمِّي بأسماءِ هُدى: لا يُغنِي عن الواقِعِ الـمُمَارَسِ -مما يُخالِفُه- شيئاً!!

فكم من أُناسٍ لَقَّبُوا أنفسَهُم بـ(حزبِ الله)، وعقائدُهُم تُنادي عليهم أنهم: حزبُ الشيطان!

فما هو تعريفُ التحزُّبِ؟

التحزبُ: هو التجمعُ، مِنَ الحزبِ وهمُ الجماعةُ، والجمعُ أحزابٌ والتحزبُ قد يُمدَحُ وقد يُذَمُّ، فعندَ الوحدةِ والإئتلافِ والاعتصامِ والجماعةِ يُحمَدُ، وعندَ التفرقِ والفُرقةِ والاختلافِ يُذَمُّ.

وقد مدحَ اللهُ وأثنى على الحزبِ المنسوبِ إليه في كتابه.

فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

فحزبُ الله واحدٌ لا ثانيَ له، وهمُ الغالبونَ، وهم المفلحونَ، ولو كرهَ الكافرونَ، والمشركونَ والمنافقون!

وحزبُ الله: هم أولياؤُهُ الذينَ أحبّوا فيه، وأَبْغضوا فيه ولأَجلِه، وناصروا أولياءَهُ، وعادُوا أعداءَه، فكانَ اجتماعُهم وتحزبُهم لله، وفي اللهِ، حيثُ ربطَ اللهُ المؤمنين بِأُخُوَّةِ الإيمانِ. فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ وشرع بينهم الموالاة والنصرة والتراحمَ والتعاطف، ودعاهم اللهُ إلى الائتلافِ والتعاونِ والاجتماعِ، ونهاهم عن التفرقِ والتشتتِ والاختلافِ. فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

• وذم اللهُ الحزبَ المنسوبَ لغيرِهِ في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

قال ابن كثير رحمه الله: أي يفرحونَ بما همْ فيه من الضلالِ لأنهم يحسَبون أنهم مهتدون[1].

والذي فعلَ بهم ذلكَ وزينهُ لهم هو الشيطانُ.

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

ومَنْ ضَلَّ وهو يحسبُ أنه مهتدي، ومَنْ أفسدَ وهو يظنُّ أنه يُصلحُ فهو الهالكُ الخاسرُ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

وهذا التحزبُ غيرُ المشروع سببُهُ:

أولاً: فسادُ العقيدةِ بالوقوعِ في الشرك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

فالشركُ سببٌ في التحزبِ والتفرقِ والاختلافِ

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٧٩).

ثانياً: فسادُ الاتباعِ بالوقوعِ في البدعةِ والابتداعِ.

عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا! قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عزوجل، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي** -أي: بطريقتي- **وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ، تمسكوا بها عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله: (البدعةُ مقرونةٌ بالفُرقَةِ؛ كما أنَّ السُّنةَ مقرونةٌ بالجماعة، فيقالُ: أهلُ السنةِ والجماعةِ، كما يقالُ: أهلُ البدعةِ والفُرقة)(٣).

ثالثاً: فسادُ المنهجِ والسبيلِ بسلوكِ سُبُلِ الشيطانِ.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء].

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا، ثم قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عن يمينِهِ وعن شمالِهِ، ثم قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ**»

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، مسلم (١٤٠١) واللفظ لمسلم.

(٣) «الاستقامة» (١/ ٤٢).

-قال يزيدُ (متفرقةٌ) - «عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣])[1].

وهذا التحزبُ غيرُ المشروعِ الناتجُ عن فسادِ العقيدةِ، وفسادِ الاتباع، وفسادِ المنهجِ يؤدي إلى العصبيةِ الجاهليةِ البغيضةِ التي تُفرِّقُ الأمةَ فِرَقاً وأحزاباً، يُكفِّرُ بعضُهُم بعضاً، ويقتلُ بعضهُم بعضاً كما هو مشاهَدٌ اليوم، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

ولذلك جاءَ الإسلامُ يُحرِّمُ التعصبَ القائمَ على الهوى واتباعِ الشيطانِ والجهلِ سواءٌ كانَ هذا التعصبُ لبلدٍ أو قبيلةٍ أو جنسٍ أو لونٍ أو حزبٍ أو شيخٍ... إلى غيرِ ذلك.

ومنَ الأدلةِ على هذا التحريم:

الدليلُ الأولُ: نهيُهُ ﷺ أن يُخيَّرَ أو يُفضَّلَ ﷺ على الأنبياءِ إذا كانَ هذا التخييرُ والتفضيلُ على وجهِ العصبيةِ -مع أنهُ ﷺ سيدُ البشر وخيرُهم وأفضلُهم-.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شيئاً، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ، قَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الْبَشَرِ! قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الْبَشَرِ! وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ

(١) حسن: رواه أحمد (١/ ٤٣٥)، والحاكم (٣٢٤١)، والدارمي(٢٠٢)، والطيالسي (٢٤١)، وابن حبان (٦)، [«المشكاة» (٢٧)].

ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَفُلاَنٌ لَطَمَ وَجْهِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِـمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟**» قَالَ -أي الأنصاريُّ-: قَالَ اليهوديُّ: وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى الْبَشَرِ! وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ الله**»)[1].

وفي روايةٍ قال ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**»[2]

هذا إذا كانَ هذا التفضيلُ والتخييرُ على وجهِ العصبيةِ وإرادةِ التَّنَقُّصِ من الغَيرِ، ومع أنَّ اللهَ عز وجل يقول: ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [البقرة:٢٥٣].

ويقول سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ [الإسراء:٥٥].

ورسولُنا ﷺ يقول: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْر**»[3].

فرسولُنا ﷺ سيدُ ولدِ آدمَ، وأفضلُ الأنبياءِ والرسلِ، وأفضلُ أولي العزمِ بنصِّ الكتابِ والسنةِ ولكنْ إذا كانَ التفاضلُ بينَ الأنبياءِ ينطلقُ منَ العصبيةِ، فالإسلامُ يرفضُه.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (٣/ ٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٥٤٣)].

الدليل الثاني: نهيُهُ ﷺ عن التعصبِ للاسمِ ولو كان شرعياً.

عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ[1] رَجُلٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ! وَقَالَ الْـمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**مَا بَالُ دَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**»[2])[3].

فسماها الرسولُ ﷺ جاهليةَ، هذا إنْ كانَ على قَصدِ ما كانوا عليه في الجاهلية من التعاضدِ بينَ القبائِل في أمرٍ من أمورِ الدنيا ومتعلَّقاتِها، والتي تأخذُ حقوقَهَا بالعصبيةِ القبليةِ، مع أنَّ اللهَ عز وجل أثنى على المهاجرينَ والأنصارِ، ومدحَهم بهذه التسمية.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١١٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

---

(١) فكسَعَ: ضرب ظهره بيده أو برجله.

(٢) منتنة: أي: قبيحة، كريهة مؤذية.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)واللفظ له.

يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمَه اللهُ: (فهذانِ الاسمانِ: (المهاجرون)، و(الأنصار) -اسمانِ شرعيانِ، جاء بهما الكتابُ والسنةُ، وسمَّاهُما اللهُ بهما -كما سمّانا ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] وانتسابُ الرجلِ إلى (المهاجرينَ)، أو (الأنصارِ): انتسابٌ حسنٌ، محمودٌ عندَ اللهِ وعندَ رسولِهِ؛ ليس منَ المباحِ الذي يُقصَدُ به التعريفُ -فقط- كالانتساب إلى القبائلِ والأمصارِ-، ولا مِنَ المكروه، أو المُحَرَّمِ؛ كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعةٍ، أو معصيةٍ أُخرى.

ثم -مع هذا- لما دعَا كلٌّ منهما طائفتَهُ -مُنتصِراً بها-؛ أنكرَ النبيُّ ﷺ ذلك، وسمَّاها «دعوى الجاهلية»! حتى قيلَ لهُ: إنَّ الداعيَ بها إنما هُما غلامان! لم يصدُرْ ذلك من الجماعة!

فأمرَ بمنعِ الظالمِ، وإعانةِ المظلومِ؛ ليُبيِّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ المحذورَ إنما هو تعَصُّبُ الرجُلِ لطائفتهِ -مطلقاً- فعلَ أهلِ الجاهليةِ- فأما نصرُها (بالحقِّ) -من غير عُدوانٍ-: فحَسنٌ واجبٌ، أو مستحبٌّ)[1].

فالنبيُّ ﷺ يُحَرِّمُ التعصبَ للاسم كما كان يفعلُ أهلُ الجاهليةِ، ويأمرُ ﷺ بالجماعةِ وينهى عن كلِّ ما يدعو إلى التفرقِ والاختلافِ؛ فيقول ﷺ: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَمَرَنِي اللهُ بِهِنَّ: الْـجَمَاعَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلاَّ أَنْ**

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٩).

يُرْاجِعَ[١]، **وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَاء جَهَنَّم**، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ: **وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ بها الْـمُسْلِمِينَ الْـمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ**»[٢].

الدليل الثالث: نهيُهُ ﷺ عن الغضب للعصبيةِ والدعوة إليها والقتالِ تحت راياتها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ**[٣] **أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ**[٤] **جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ**[٥] **مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[٦].

فهذه أدلةٌ مِنْ كتابِ الله ومن سُنَّةِ رسولِهِ ﷺ تُحَرِّمُ التعصُّبَ الذي يؤدي إلى الفُرقةِ والاختلاف.

---

(١) أن يراجع: أي: يتوب.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأبو يعلى (١٥٧١)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، والحاكم (١٥٣٤)، [«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

(٣) لعصبة: أي: يغضبُ ويقاتلُ ويدعو لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه وهواه كما يقاتلُ أهل الجاهلية.

(٤) فقتلة جاهلية: أي: فقتلهُ كقتله أهل الجاهلية.

(٥) ولا يتحاش: أي: لا يكترث.

(٦) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

ومع ذلك فقد دخلَ إبليسُ على الأمةِ مِنْ مدخلِ التعصُّبِ وفَرَّقهم فِرقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

وها هي أنواعُ التعصُّبِ الذي أحدثهُ إبليسُ في الأمةِ فَفَرَّقها شِيعاً وأحزاباً، لِيَهْلِكَ مَنْ هلك عن بينة ويَحْيى مَنْ حيَّ عن بينة.

النوع الأول: التعصُّبُ القومي.

النوع الثاني: التعصُّبُ القبلي.

النوع الثالث: التعصُّبُ المذهبي.

النوع الرابع: التعصُّبُ الحزبي.

وسأتكلمُ إنْ شاءَ الله تعالى عن هذه الأنواعِ وعن ثمارِها المُرَّةِ على الأمةِ بشيءٍ من التفصيل.

التعصُّبُ القومي:

من المعلومِ من دينِ الإسلامِ بالضرورةِ، أنَّ الدعوةَ إلى القوميةِ العربيةِ أو غيرِها منَ القوميات، دعوةٌ باطلةٌ، وخطأٌ عظيمٌ، ومنكرٌ ظاهرٌ، وجاهليةٌ نكراءُ، وكيدٌ سافِرٌ للإسلامِ وأهلِه، وتفريقٌ للأمةِ الإسلاميةِ.

وذلك لوجوهٍ:

الوجهُ الأول: أنَّ الدعوةَ إلى القومية العربيةِ تُفرِّقُ بينَ المسلمين، وتفصِلُ المسلمَ العجميَّ عن أخيه العربيِّ، وتُفرِّقُ بين العربِ أنفسِهم، لأنهم لا يرتضونها،

وإنما يرضاها منهم قومٌ دونَ قومٍ، وكلُّ فكرةٍ تقسِّمُ المسلمينَ، وتجعلُهم أحزاباً فكرةٌ باطلةٌ، تخالفُ مقاصدَ الإسلامِ وما يرمي إليه.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

الوجهُ الثاني: أنَّ الإسلامَ نهى عن دعوى الجاهلية، وحَذَّرَ منها في نصوصٍ كثيرة جاءت في الكتاب والسنة، بل قد جاءتِ النصوصُ تنهى عن جميعِ أخلاقِ الجاهلية وأعمالِها إلا ما أَقَرَّهُ الإسلامُ من ذلك، ولا ريبَ أنَّ الدعوةَ إلى القوميةِ العربية من أمرِ الجاهلية، لأنها دعوةٌ إلى غيرِ الإسلامِ، ومناصرةٌ للجاهلية، وكم جرَّتْ دعوى الجاهلية على أهلِها من ويلاتٍ وحروبٍ طاحنةٍ، وَقُودُها النفوسُ والأموالُ والأعراضُ، وعاقبتُها تمزيقُ الشَّملِ، وغرْسُ العداوةِ والشحناءِ في القلوبِ، والتفريق بينَ القبائلِ والشعوبِ فعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[1].

وكلُّ ما خرجَ من دعوى الإسلامِ والقرآنِ مِنْ نسبٍ، أو بلدٍ، أو جنسٍ، أو مذهبٍ أو طريقةٍ فهو من أمورِ الجاهليةِ، وهو دعوةٌ إلى العصبية.

ولا ريبَ أنَّ دعاةَ القوميةِ يدعونَ إلى عصبيةٍ، ويَغضبونَ لعصبيةٍ، ويقاتلونَ على عصبيةٍ، ولا ريبَ أيضاً أنَّ الدعوةَ إلى القومية دعوة إلى البغيِ والفخرِ؛ لأنَّ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

القوميةَ ليست ديناً سماوياً يمنعُ أهلهُ من البغيِ والفخرِ، وإنما هي فكرةٌ جاهليةٌ تحملُ أهلها على الفخر بها، والتعصُّبِ لها.

ومن الأدلةِ الواردةِ في الإسلامِ التي تنهى عن ذلك قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ**[1] **الْـجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ**»[2].

وقوله ﷺ: «**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[3].

وهذه الأحاديثُ توافقُ قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات].

فقد أوضحَ اللهُ سبحانه وتعالى بهذه الآيةِ الكريمة أنه جعلَ الناسَ شعوباً وقبائلَ للتعارفِ لا للتفاخرِ والتعاظمِ.

قوله ﷺ: «**وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَاء جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى الله الَّذِي سَمَّاكُمُ بها الْـمُسْلِمِينَ الْـمُؤْمِنِينَ عِبَادَ الله**»[4].

---

(١) عُبِّيَّة الجاهلية: أي: كِبْرُ الجاهلية، وتُضم عينها وتُكسر.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود (٥١١٨)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، والبزار (٨٥٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٦٥)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٤١١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٦٣)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأبو يعلى (١٥٧١)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، والحاكم (١٥٣٤)، =

الوجهُ الثالثُ: الدالُّ على بُطلان الدعوةِ إلى القوميةِ العربيةِ: أنها سُلَّمٌ إلى موالاةِ كفارِ العرب، ومَلاحِدَتِهم من أبناءِ غيرِ المسلمينَ، واتخاذِهم بطانةً، والاستنصارِ بهم على أعداء القوميينَ منَ المسلمين وغيرِهم.

ومعلومٌ ما في هذا منَ الفسادِ الكبيرِ، والمخالفةِ لنصوصِ القرآنِ والسنةِ الدالةِ على وجوبِ بغضِ الكافرين من العربِ وغيرهم، ومعاداتِهم، وتحريمِ موالاتِهم واتخاذِهم بطانةً، والنصوصُ في هذا المعنى كثيرةٌ منها[1]:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾ [آل عمران:١١٨].

=[«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

(١) انظر: «نقد القومية العربية» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران].

وها همُ الكفارُ في كلِّ وسائلِ الإعلامِ يدعون المسلمينَ إلى سبيلهم لِيَردُّوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت].

ولم يكتفِ الكفارُ بذلكَ بل هم يقاتلون المسلمينَ بالليلِ والنهارِ لِيَرُدوهم عن دينهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ﴾ [البقرة:٢١٧].

ومعَ ذلك فقد اعتدى إبليسُ بخطواتهِ الخبيثةِ على جماعة المسلمين ووحدتِهم، وفرَّقهم شيعاً وأحزاباً بالعصبيةِ القوميةِ، وجَعَلهم يضعونَ أيديهم في أيدي الكفارِ ليقتلَ بعضُهم بعضاً... وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولم يكتفِ الشيطانُ بذلكَ بل أخذَ يعتدي على جماعةِ المسلمينَ وَوِحدتهم بعصبيةٍ أُخرى.

ما هي هذه العصبيةُ؟

هذا الذي سنعرفهُ في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كانَ في العمرِ بقيةٌ.

٢٢

الاعتداءُ التاسعُ

اعتداءُ الشيطانِ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القَبَلِيةِ؛ لِيُفَرِّقَهم

عبادَ الله! أقامَ الله على بني آدمَ الحجةَ البالغةَ، فأرسلَ رُسُلَهُ مُبشرين ومنذرين.

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

والطريقُ إلى الجنةِ -دارِ السلامِ- سهلٌ ميسورٌ، وأهلُها همُ السعداءُ أصحابُ الهناءِ والحبورِ والسرورِ... أما طريقُ النارِ -دارِ البوار- فذلكَ طريقُ الشقاءِ، وأهلُهُ همُ التعساءُ الاشقياء.

وإذا كانَ اللهُ عز وجلَّ بَشَّر المؤمنينَ الصادقينَ بالجنةِ والنعيم المقيمِ... فإنه سبحانه بَشَّرَ الكافرين والمجرمينَ بالنارِ والعذابِ الأليم.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة:٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

وقد تكلمنا -والحمدُ للهِ- عن سلسلةِ «المبشرون بالجنة» وانتهينا منها سائلينَ المولى في عُلاه أن يجعلنا وإياكم من أهلِ الجنةِ، وها نحنُ لا زلنا في صددِ الحديثِ عن «المبشرونَ بالنار» سائلينَ المولى في عُلاهُ أنْ يُنَجِّينا وإياكم من عذابِ النار.

والمبشرونَ بالنارِ قسمان: قسمٌ لا توبةَ له، وقسمٌ له توبةٌ.

أما القسمُ الذي لا توبةَ له، منهم على سبيلِ المثالِ:

١- إبليسُ... زعيمُ أهلِ النارِ.

٢- ابنُ نوحٍ... عاصٍ للهِ، عاقٌّ لوالدِه.

٣- النَّمرودُ بنُ كنعان... المتكبرُ الجَهول.

٤- فرعونُ... قائدُ الطغاةِ وزعيمُ العصاةِ.

٥- مسيلمةُ الكذابُ... أشهرُ الكذَّابين.

٦- قارونُ... الأحمقُ المغرور.

٧- أميهُ بن خلفٍ... الطاغيةُ الجهول.

٨- أبو لهبٍ.. المكابرُ العنيد.

٩- أبو طالبٍ... رجلُ الوفاءِ في زمرةِ الأشقياءِ.

١٠- أبو جهلٍ... له من اسمهِ نصيبٌ.

١١- عبدُ الله بنَ أبي بنِ سَلولٍ... رأسُ النفاقِ وسهمُ الشقاقِ.

وهؤلاءِ الذينَ ذُكِروا بأسمائهم ومَنْ شابههم مُبَشَّرونَ بالنار، وقد تحققَ فيهم أنهم وقودُها... ذلك لأنهم توافَرت فيهم صفاتُ الخلودِ في نارِ جهنم، وهي:

أولاً: أنهم كفارٌ باللهِ (بدينِه وتوحيدِه وأسمائِه وصفاتِه ونِعَمِهِ).

ثانياً: أنهم معاندونَ للحقِّ بجحودِهِم وعنادِهِم.

ثالثاً: أنهم مانعونَ للخيرِ.. يَسْعَونَ للشَّرِّ ويُفسدونَ في الأرض.

رابعاً: أنهم معتدُون على الناسِ -أهلُ ظلمٍ-.

خامساً: أنهم أصحابُ الشَّك والرِّيبةِ لا يُصدقون الحقائقَ.

سادساً: أنهم معَ كُلِّ ذلكَ مشركونَ باللهِ، اتخذوا معه إلهاً آخرَ يعبدونه من دون الله[1].

وهم بتلكَ الصفاتِ لا يستحقونَ رحمةَ الله ولا يدخلونَ في رضوانِه.. إنهم وقودُ النار.. أعوانُ إبليسَ -لعنةُ الله عليه- وهو قائدُهم في الدنيا وزعيمُهم في النار.

فإبليسُ منَ المبشَّرينَ بالنارِ ولا توبةَ له وذلك:

أولاً: لأنهُ منَ الكافرين، بل هو إمامُ أئمة الكفر.

قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

ثانياً: لأنَّ اللهَ أخرجَهُ منَ الجنة وحكمَ عليه بالنار.

فقال تعالى لإبليس: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣].

(١) انظر «الفوائد» لابن القيم بتصرف.

وقال له أيضاً: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ [الأعراف:١٨].

ثالثاً: لأنَّ اللهَ لعنَهُ -أي: طردَهُ- من رحمتهِ إلى يومِ الدين.

قال تعالى: ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص].

رابعاً: لأنَّ اللهَ حَكَمَ على إبليسَ بالخلودِ في النارِ، وأخبرَ أنه زعيمُ أهلِ النارِ، وأخبرَنا عنْ خُطبتِهِ في حزبِهِ في نارِ جهنّم.

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٧﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾ [إبراهيم].

فهل بعدَ هذهِ الأدلةِ من كتابِ الله لقائلٍ أن يقول: إنَّ لإبليسَ توبةً؟!

لما طُردَ إبليسُ من الجنةِ، وبُشِّرَ بالنار، وحَلَّتْ بهِ لعنةُ الله إلى يومِ الدين، أعلنَ الحربَ على بني آدمَ مستخدِماً جميعِ الأساليبِ الخبيثة في حربه، ولم يكتفِ بذلكَ بل أخذَ يعتدي على بني آدمَ بجميعِ أنواعِ الاعتداءاتِ، والتي منها:

- الاعتداءُ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه.

- والاعتداءُ على صلاةِ الإنسان.

- والاعتداءُ على نومِ الإنسانِ وبيتِه.

- والاعتداءُ على الإنسانِ بالمسِّ والصَّرعِ.

- والاعتداءُ على الإنسانِ بالسحرِ.

- والاعتداءُ على وَحْدَةِ المسلِمينَ وجَماعتِهم بإلقاءِ العَداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ لِيُفَرِّقهم.

- والاعتداءُ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القوميةِ؛ لِيُفَرِّقَهم.

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذرٍ، وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ التاسعُ: اعتداءُ الشيطانِ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القبليةِ؛ ليُفَرِّقَهم.**

العصبيةُ القَبليةُ شِعارُها: (أُنْصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً)

على حقيقتِه وإطلاقِه بمفهوم الجاهلية والعصبية.

أما بمفهوم الإسلام فالشعارُ:

يقول ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا، أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٩٥٢).

وها هوَ رسولُ الله ﷺ يخبرُ أنَّ مَنْ نصرَ أخاهُ ظالماً أو مظلوماً بالعصبيةِ أن ذلك من دعوى الجاهليةِ، ويبينُ أنَّ الإسلامَ ينصرُ المظلومَ بالحقِّ، ويرفعُ عنه الظلمَ، وينصرُ الظالمَ بمنعهِ من الظلم:

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: اقْتَتَلَ غُلاَمَانِ؛ غُلاَمٌ مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ وَغُلاَمٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَنَادَى الْـمُهَاجِرُ أَوِ الْـمُهَاجِرُونَ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! وَنَادَى الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ! فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا هَذَا! دَعْوَى أَهْلِ الْـجَاهِلِيَّةِ**»(١) قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ الله، إِلاَّ أَنَّ غُلاَمَيْنِ اقْتَتَلاَ فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، قَالَ: «**فَلاَ بَأْسَ**(٢) **وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ**»(٣).

تعريفُ العصبيةِ:

أولاً: في اللغة:

العصبيةُ في اللغةِ: مشتقةُ منَ «العَصْب»، وهو: الطيُّ والشدُّ.

والتَّعَصُّبُ: المحاماةُ، والمدافعةُ.

---

(١) دعوى أهل الجاهلية: تسميته ﷺ ذلك دعوى الجاهلية هو كراهة فعل لذلك فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد في أمور الدنيا ومتعلقاتها، وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية.

(٢) فلا بأس: معناه لم يحصل من هذه القصة بأس مما كنت خفته.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٤).

والعَصَبَةُ: «الأقاربُ من جهةِ الأب».

وعَصَبَةُ الرَّجُلِ: أولياؤُهُ الذكورُ من وَرَثَتِهِ، سُمُّوا عَصَبَةً لأنهم عَصَبُوا بِنَسَبِه، أي أحاطوا به.

والعُصْبَةُ والعِصَابَةُ: الجماعةُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف:٨].

ومنه قوله ﷺ: «**اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»[١].

ثانياً: في الاصطلاح:

العصبية في الاصطلاح: أن يدعوَ الرجلُ إلى نُصرةِ عَصَبتهِ والتألبِ معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين[٢].

وقيل هي النُّعَرَةُ، والعامَّةُ تقولُ: «النَّعْرَةُ»[٣].

مفهومُ القَبَليةِ:

القَبَليةُ هي نسبةٌ إلى القَبيلة، ينسبُ إليها.

والقبيلةُ منَ الناسِ: بنو أبٍ واحدٍ (ومعنى القبيلةِ مِنْ ولدِ إسماعيلَ: الجماعةُ؛ يُقال: لكلِّ جماعةٍ من أبٍ واحدٍ: قبيلةٌ)[٤].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٧٦٣).

(٢) «تهذيب اللغة» للأزهري (٢٤٥٣).

(٣) انظر: «تاج العروس» للزبيدي (٧/ ٥٤٣).

(٤) «لسان العرب» لابن منظور (٥/ ٣١٩).

والأدلةُ من الكتابِ والسنةِ تُرَهِّبُ وتُخَوِّفُ وتُحَذِّرُ منَ العصبيةِ القَبَلية:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحُجُرات].

وقال ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْـجَاهِلِيَّةِ، لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»(١).

وليس من العيبِ أنْ يحفظَ الإنسانُ نسبَه وحسبَه، لكنَّ الزلَلَ والخطرَ يكمنُ في أن يعتقدَ أنَّ ذلكَ هو معيارُ التفاضلِ بين البشر، أو أن يتخذَ ذلكَ سبباً للتعالي والتكبرِ على الآخرين، أو التفريقِ بينَ عبادِ الله المسلمين، وتصنيفِهم.

وإنَّ من أعظمِ البغي تطاولَ عبادِ الله بعضهم على بعض:

• والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ - مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(٢).

ويقولُ ﷺ أيضاً: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ**(٣) **الْـجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٠٤)، والترمذي (٢٥١١)، وابن ماجه (٤٢١١)، [«صحيح الترغيب» (٢٥٣٧)].

(٣) عُبِّيَّةَ الجاهلية: أي: كِبْرُ الجاهلية، وتُضم عينها وتُكسر.

رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»[1].

فالعصبيةُ القَبَليةُ الجاهليةُ تَدفعُ أصحابَها إلى البغي، والبغيُ يدفعُ أصحابَهُ إلى القتلِ، ومن الأمثلةَ على ذلك:

يقولُ ابنُ إسحاقَ رحمه الله: (مِرْ شاسُ بن قيسٍ -وكان شيخاً قد عسَا (أَسَنَّ) عظيمَ الكفر، شديدَ الضِّغْنِ (الحقد) على المسلمينَ، شديدَ الحَسد لهم- على نفرٍ مِنْ أصحابِ رسولِ الله ﷺ من الأوسِ والخزرج، في مجلسٍ قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلفتهم، وجماعتهم، وصلاحِ ذاتِ بينهم على الإسلامِ، بعدَ الذي كان بينهم من العداوةِ في الجاهلية.

فقال: قد اجتمعَ ملأُ بني قَيْلَة بهذه البلادِ، لا واللهِ ما لنا معهم إذا اجتمعَ ملؤُهم بها من قرار، فأمر فتىً شاباً من يهود كان معهم فقال: اعمَدْ إليهم فاجلِسْ معهم، ثم اذكرْ يومَ بُعَاثٍ -يوم اقتتلت فيه الأوسُ والخزرجُ في الجاهلية، وكان النصرُ فيه للأوس- وما كان قبلَه، وأنشِدْهم بعضَ ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعارِ، ففعل، فتكلَّم القومُ عندَ ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تَوَثَّبَ رجلان من الحيَّين على الرُّكَب، فتقاولا، ثم قال أحدُهما إلى صاحبه: إن شئتم رَدَدْناها الآن جَذَعةً! فغضبَ الفريقانِ جميعاً، وقالوا: قد فعلنا! موعدُكم الظاهرة -والظاهِرةُ: الحرَّةُ- السلاحَ السلاحَ! فخرجوا إليها، فبلغ ذلكَ رسولَ الله ﷺ:

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود (٥١١٨)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، والبزار (٨٥٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٦٥)].

فخرج إليهم فيمن معه من أصحابِه المهاجرين، حتى جاءهم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْـمُسْلِمِينَ! اللهَ اللهَ أَبِدَعْوَى الْـجَاهِلِيّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْـجَاهِلِيّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ وَأَلّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟**» فعَرَفَ القومُ أنها نَزْغَةٌ مِنَ الشيطان، وكَيدٌ من عَدُوّهم، فَبَكَوا وعانَقَ الرجالُ مِنَ الأوس والخزرجِ بعضُهم بعضاً، ثم انصرفوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ سامِعِينَ مُطِيعين)[1].

فالتفاضُلُ بينَ الناسِ في ميزانِ الإسلامِ يكونُ بالدين والتقوى لا بالحسب والنسب.

قال ﷺ: «**إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ[2] لَمْ تَمْلَؤُهُ، لَيْسَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلا بِالدِينِ، أَوْ عَمِلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلا جَبَانًا**»[3].

ولو أن النسبَ ينفعُ صاحبَهُ دونَ العملِ لانتفَعَ أبو لهبٍ بنسبِه، ولكنْ هيهاتَ هيهات! وقد قالَ اللهُ عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المَسَد].

---

(١) ابن هشام في «السيرة» (٢/ ١٣٦-١٣٧)، والطبري في «التفسير» (٧٥٢٤).

(٢) (طَفُّ الصَّاع): والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، وشبههم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال.

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٤/ ١٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٥/ رقم (٨١٤))، [«صحيح الترغيب» (٢٩٦٢)].

وقال ﷺ: «أَلاَ إِنَّ آلَ أَبِي -يَعْنِي فُلاَنًا- لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْـمُؤْمِنِينَ»[1].

وقال ﷺ: «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[2].

ويؤكدُ هذا المعنى قولُه ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ[3] بْنَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ سَلِينِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[4].

لَعَمْـرُكَ مـا الإنـسانُ إلا بِدِينـهِ ... فلا تترُكِ التقوى اتكالاً على النَّسَبْ
فقـد رفـعَ الإسـلامُ سـلمانَ فـارسٍ ... وقد وَضَعَ الشركُ الـشقيَّ أبـا لهـبْ

قال ﷺ: «انْتَسَبَ رَجُلاَنِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، حَتَّى عَدَّ تِسْعَةً، فَمَنْ أَنْتَ لاَ أُمَّ لَكَ؟ فَقَالَ: أَنَا فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ ابْنُ الإِسْلاَمِ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى أَنَّ قل لِهَذَيْنِ الْـمُنْتَسِبَيْنِ: أَمَّا أَنْتَ أَيُّهَا الْـمُنْتَسِبُ إِلَى تِسْعَةٍ فِي النَّارِ فَأَنْتَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ، وَأَمَّا أَنْتَ أيها الْمُنْتَسِبُ إِلَى اثْنَيْنِ فِي الجنةِ فَأَنْتَ ثَالِثُهُمَا فِي الْـجَنَّةِ»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥)واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) يجوز رفعُ ونصبُ: عباس، صفية، فاطمة، والنصب أفصح وأشهر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٢٨)، وعبد بن حميد (١٧٩)، [«صحيح الجامع» (٢٣٧٢)].

نعم والله! إذا اعتزَّ الناسُ بأنسابِهم، فاعتزَّ أنتَ أيها المسلمُ بالإسلام.

أبي الإســـــلامُ لا أبَ لي سِـــــواهُ إذا اعتـــــزوا بقـــــيسٍ أو تمـــــيمٍ

ورضي الله عن فاروقِ هذهِ الأمةِ عمرَ بنِ الخطاب الذي قال: (كنا أذلةً -أي: بغيرِ الإسلامِ- فأعزَّنا اللهُ بالإسلامِ، فإذا ابتغينا العزةَ في غيرِ الإسلامِ أذلَّنا الله).

ما حكمُ الإسلامِ في العصبيةِ القَبَلية (الجاهلية)؟

يمكنُ تلخيصُ حكمِ الإسلامِ في العصبيةِ الجاهليةِ في الأمورِ الآتيةِ:

الأمرُ الأول: إلغاءُ العصبيةِ الجاهليةِ، والتحذيرُ منها.

قال ﷺ: «..**وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ**(١)؛ **يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»(٢).

وقال أبو ذَرٍّ ﷺ: (إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»)(٣).

الأمرُ الثاني: تقريرُ العدلِ بينَ الناسِ، وعدمُ الاعترافِ بالامتيازات الطبقيةِ، أو النفوذِ الموروثِ؛ فأساسُ التفاضلِ: التقوى والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

---

(١) هي: الأمر الأعمى لا يستبين وجهه.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠).

وعن جابرِ بنِ عبدِ الله ﵄ قال: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ** ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»[1].

وعن عائشةَ ﵂ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْـمَرْأَةِ الْـمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: (مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟**» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْـحَدَّ، وَايْمُ الله! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»)[2].

الأمرُ الثالثُ: إلغاءُ كُلِّ مظاهرِ العبوديةِ لغيرِ الله:

من نحو تقديسِ الأعرافِ القبليةِ والانسياقِ معها باطلاً دونَ تبصُّر، إلا لمجردِ الهوى واجتماعِ الناسِ عليها، ومِن ثَمَّ إثباتُ العبوديةِ لله وحدَه.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات].

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٤١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في «الشعب» (٤٧٧٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٦٣)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨).

الأمرُ الرابع: النهيُ عنِ الطعنِ في الأنسابِ، وعنِ التفاخرِ والتعاظمِ بالآباء والأجداد، والمآثر والأمجاد الذي يؤدي إلى البغي.

قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْـجَاهِلِيَّةِ، لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**»[2].

ما هي مظاهر العصبيةِ القبليةِ الجاهلية؟

لم يكنِ العربُ في الجاهليةِ أمةً واحدةً، ولا شَعْباً واحداً، بل كانوا قبائلَ وعصائبَ متفرقةً، تحكمُها أعرافٌ قبليةٌ متنوعةٌ، وقد كانتِ العصبيةُ القبلية هي أساسُ النظامِ الاجتماعي الجاهلي، الذي شعارُه: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» الداعي إلى نصرةِ المنتسبِ إلى القبيلةِ، دونَ اعتبارٍ لكونه مُحِقّاً أو غيرَ مُحق.

ومن أبرزِ مظاهرِ العصبيةِ الجاهليةِ:

أولاً: الفخرُ بالأحسابِ والطعنُ في الأنسابِ:

إنَّ اعتزازَ الإنسانِ العربي بنسَبه، جَعلَه يغلو فيه أحياناً، فلا يرى نسباً يضاهي نسبَ قبيلته نُبْلاً وشرفاً، ولا يرضى أن يتطاولَ أحدٌ منَ القبائل الأخرى، فيدعي لنفسِه نسباً أشرفَ من نسبِه، أو حَسَباً أشرفَ منه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

وقد أخبرَنا رسولُ الله ﷺ عن هذا فقالَ: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ**»[1].

وهذه صورةٌ واضحةٌ لذلك الغلو.

ورد أن (بدرَ بنَ مَعْشَر) -من بني مُدرِكة- وقفَ في الجاهليةِ بسوق عكاظ يفخرُ بنسبه وينشدُ شعراً في ذلك ثم مدّ رِجْلَه، وقال: أنا أعزُّ العربِ، فمن زعمَ أنه أعزُّ مني فَلْيَضْرِبها. فلم يُطِقِ الأحمرُ بنُ مازنٍ الهوازانيُّ عَنْجَهِيَّتَه، وادعاءَه رفعَ نسبِ قبيلتِه فوقَ أنسابِ القبائلِ الأخرى، فاستلَّ سيفَه وضربَ رجلَه فقَطعَها من الركبة غيرَ مبالٍ بحرمةِ الشهرِ الحرامِ، وقد كادَ الشَّرُّ أن يستفحلَ بينَ قبيلتي الرَّجُلين، لَولا أنهم جنحو إلى الصلحِ فيما بينَهم[2].

ثانياً: الأخذُ بالثأر:

لا شكَّ أنَّ معاقبةَ الجاني والثأرَ منه أمرٌ جائزٌ، فَقَتْلُ القاتل مثلاً شيءٌ لا ينكرُه شرعٌ ولا عقلٌ ولا عُرفٌ، إنما المذمومُ هو قتلُ غيرِ القاتِلِ بحجةِ أنه مِنْ آلِ فلانٍ، ثم السعيُ في قتل مَنْ هو كفءٌ للمقتولِ وإنْ كانَ بريئاً، وهذا يُتْرَكُ للسُّلطانِ أو من ينوبُ عنه، وإلا صار الأمرُ فوضى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ٨٧-٨٨).

ثالثاً: النُّعَرَةُ:

وهي التي يُسميها العوامُّ: النَّعْرَةَ.

إن «النُّعَرَة» هي الصياحُ، مناداةُ القومِ بشعارِهم؛ مِنْ أجل الاستغاثةِ بهم، وحثِّهم على الحرب -هي مظهرٌ أساسيٌّ مِنْ مظاهرِ العصبيةِ- وحين ينادي أحدٌ قومَه؛ فلا بدَّ مِنْ إجابتِه، دونَ النظرِ إلى طبيعةِ موقفِه، أو فعلِه، هل هو ظالمٌ أو مظلومٌ.

يقولُ أحدُهم في ذلك:

قومٌ إذا الشَّرُّ أبدى ناجِذَيهِ لهم	طاروا إليه زُرَافَاتٍ ووحدَانا
لا يسألون أخاهم حين يَنْدُبُهم	في النائباتِ على ما قال بُرهانا

ولم يكتفِ الشيطانُ بذلكَ بل أَخذَ يعتدي على جماعةِ المسلمينَ وَوِحْدتِهم بعصبيةٍ أُخرى. ما هي هذه العصبيةُ؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمة إنْ شاءَ الله تعالى إنْ كانَ في العمر بقية.

٢٣

الاعتداء العاشر

اعتداءُ الشيطان على وحدة المسلمين وجماعتهم بالعصبيةِ المذهبيةِ، ليفرِّقَهم

• الشيطانُ عدوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ لبني آدمَ جميعاً.

– قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة].

– وقال تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢﴾ [الزُّخرُف].

– وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾ [القصص].

• وقد حَذَّرَ اللهُ بني آدمَ منْ هذا العدُوِّ المضلِّ المبين.

– فقال تعالى لهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧].

– وقال لهم أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

• ومع ذلك فقد أطاعَ كثير من بني آدم الشيطانَ وعبدوه من دونِ الله.

– يقول الله عز وجل لهؤلاءِ الذين أطاعوا الشيطانَ وعبدوه مُوَبِّخاً لهم: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ

ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس].

- ويقول لهم أيضاً: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

• وهذا العدوُّ المبينُ الذي أطاعَهُ الكثيرُ من بني آدم قد أخذَ على نفسهِ العهدَ أن يُضِلَّهم أجمعين.

فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

فهو يعملُ ليلاً ونهاراً هو وجنودهُ لإضلالِ وإهلاكِ بني آدمَ، ولم يكتفِ بذلك بل أعلنَ الحربَ على بني آدمَ مستخدِماً جميعَ الأساليبِ الخبيثةِ في معركتِه، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعتدي عليهم بكلِّ أنواعِ الاعتداءاتِ، والتي منها:

- الاعتداءُ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه.

- الاعتداءُ على صلاةِ الإنسانِ.

- الاعتداءُ على نومِ الإنسانِ وبيتِه.

- الاعتداءُ على الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْعِ.

- الاعتداءُ على الإنسانِ بالسحر

- الاعتداءُ على وَحْدةِ المسلِمينَ وجَماعتِهم بإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ ليفرِّقهم.

- الاعتداءُ على وَحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القوميةِ؛ ليفرِّقَهم.

- الاعتدءاُ على وَحدة المسلِمِينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القبليةِ؛ ليفرقهم.

وقد تكلمنا عن هذهِ الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذر!

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ العاشرُ: اعتداءُ الشيطانِ على وَحْدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ المذهبية؛ ليفرَّقهم.**

الفُرقةُ منَ الشيطان.

قال ﷺ لأصحابِهِ يوماً عندما تَفَرَّقوا في الشِّعابِ والأوديةِ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[1].

بل إنَّ التفريق بينَ الأَحِبَّةِ مِنْ أحبِّ الأعمالِ إلى الشيطان.

يقول ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ**»[2].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٥)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

فبالعصبيةِ القوميةِ والعصبيةِ القَبَليةِ فَرَّق الشيطانُ بينَ المسلمينَ وجعلهم فِرقاً وأحزاباً متنافرةً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون] ولم يكتفِ الشيطانُ بذلكَ بل دخلَ عليهم من مدخلِ العصبيةِ المذهبيةِ فَفَرَّقهم أيضاً فِرقاً وأحزاباً متنافرةٍ، يُبَدِّعُ بعضُهم بعضاً، ويُكَفِّرُ بعضُهم بعضاً؛ اتباعاً للهوى، وطاعةً للشيطان.

ومن الأمثلة على هذا التعصبِ المذهبيِّ المذمومِ:

المثال الأولُ: مَنَعَ بعضُ الفقهاءِ الأحنافِ تزوجَ الحنفيِّ من شافعية، ثم صدَرَتْ فتوى منْ فقيهٍ آخرَ ملقبٍ بمفتي الثقلين، فأجازَ تزوجَ الحنفيِّ بالشافعيةِ، وعلل ذلك بقوله: (تنزيلاً لها منزلةَ أهلِ الكتابِ)[1].

ومفهومُ ذلكَ: أنه لا يجوزُ تزوجُ الشافعيِّ بالحنفيةِ، كما لا يجوزُ تزوجُ الكتابيِّ بالمسلمةِ![2].

المثال الثاني: يقولُ بعضُ المتعصبةِ منَ الحنفيةِ: (لو كانَ لي أمرٌ لأخذتُ الجزيةَ منَ الشافعيةِ)[3].

المثالُ الثالثُ: أفتى كثيرٌ من فقهاءِ الأحنافِ ببطلانِ صلاة الحنفيِّ وراءَ إمامٍ شافعيٍ[4].

---

(١) «البحر الرائق» لابن نجيم.

(٢) «صفة صلاة النبي ﷺ» للعلامة الألباني (٥/ ٤٤-٥٢).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥١).

(٤) «فتح القدير» (١/ ٣١١).

المثالُ الرابعُ: كانَ يَحْدُثُ خلافٌ شديدٌ بينَ الحنفيةِ والشافعية، حتى كان يؤولُ الأمرُ في بعضِ الأحيانِ إلى خرابِ البلادِ؛ قال ياقوتُ الحمويُّ عندَ الكلامِ عن مدينةِ (أصفهانَ) بَعد أن ذكرَ مجدَها القديمَ: (وقد فشا فيها الخرابُ في نواحيها، لكثرةِ الفتنِ والتعصبِ بينَ الشافعيةِ والحنفيةِ، والحروبِ المتصلةِ بينَ الحزبين، فكلما ظهرَتْ طائفةٌ نهبَت محَلَّةَ الأخرى، وأحرَقتها وخرّبتها، لا يراعون في ذلك إلًّا ولا ذمةً)[1].

ولم تتوقفِ العصبيةُ المذهبيةُ عندَ هذا الحدِّ، بل وصلَ الأمرُ بعصبية المذاهبِ لوضعِ الأحاديثِ المكذوبةِ في الأئمةِ والمذاهب مدحاً وذماً، ومنها:

١- حديث: (يكون في أمتي رجلٌ يقال له: محمدُ بنُ إدريسَ، أضَرُّ على أمتي من إبليس) -يقصدون بذلك: الإمام الشافعي رحمه الله.

٢- حديث: (يكون في أمتي رجلٌ يقالُ له: أبو حنيفة، هو سراج أمتي).

٣- حديث: (سيأتي من بعدي رجلٌ يقالُ له: النعمانُ بنُ ثابتٍ، ويُكنى أبا حنيفة، ليُحْمَيَنَّ دينُ اللهِ وسنتي على يديه)[2].

انظروا عبادَ الله ماذا فعل التقليدُ الأعمى والتعصبُ المذهبيُّ في الأمةِ الإسلامية، معَ أنَّ الإسلامَ جاءَ يحذِّرُ منَ التقليدِ الأعمى والتعصبِ بكلِّ أشكالِه.

ففي كتابِ الله يذمُّ اللهُ التقليدَ الأعمى والمقلِّدين.

---

(١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/ ٢٧٣)، «بدعة التعصب المذهبي» للشيخ محمد عيد عباس (٢١٢-٢١٤).

(٢) انظر «المختصر الحثيث» (ص٥٢٢).

- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤﴾ [الزُّخرُف].

- وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣﴾ [الأنبياء].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ۝٦٧﴾ [الأحزاب].

والآثارُ عن الصحابةِ رضي الله عنهم تذمُّ التقليدَ الأعمى والمقلِّدين:

١- يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (ألا لا يُقَلِّدَنَّ أحدُكم دينَه رجُلاً، إنْ آمنَ، آمنَ، وإن كفرَ، كفر؛ فإنه لا أسوةَ في الشرِّ)[1].

٢- ويقول ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (ويلٌ للأتباعِ من عثراتِ العالمِ! قيل: وكيفَ ذاك؟ قال: يقولُ العالمِ برأيه، فيبلغه الشيء عن النبي ﷺ خلافه، فيرجعُ ويمضي الأتباعُ بما سمعوا)[2].

٣- ويقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: (القلوبُ أوعيةٌ؛ خيرُها أوعاها، والناسُ ثلاثةٌ: فعالمٌ ربانيٌّ، ومتعلمٌ على سبيل نجاةٍ، وهمجٌ رُعاعٌ، أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلون معَ كل ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ، ولم يلجأوا إلى ركنٍ وثيقٍ)[3].

(١) ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»(٢/ ٢٢٩).

(٢) ابن عبد البر «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٢٢٦)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢١٣).

(٣) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (١/ ١٩٨).

وأقوالُ الأئمةِ الأربعةِ تذمُّ التقليدَ الأعمى والمقلِّدين:

١- قال الإمامُ أبو حنيفةَ رحمه الله: (لا يحلُّ لأحدٍ أن يأخذَ بقولنا ما لم يعلم مِنْ أينَ أخذناه)[١].

وقال: (إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي)[٢].

٢- وقال الإمامُ مالكٌ رحمهُ اللهُ: (إنما أنا بشرٌ، أُخطئُ وأصيبُ، فانظروا في رأيي، فكلُّ ما وافقَ الكتابَ والسنةَ فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه)[٣].

٣- وقال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله: (ما من أحدٍ إلا وتذهبُ عليه سنةٌ لرسولِ الله ﷺ، وتعزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قولٍ، أو أصَّلتُ من أصلٍ، وفيه عن رسولِ الله ﷺ خلافُ ما قلتُ؛ فالقولُ ما قالَ رسولُ الله ﷺ، وهو قولي وجعل يُردِّدُ هذا الكلام)[٤].

وقال أيضاً: (كلُّ ما قلتُ؛ فكانَ عن النبيِّ ﷺ خلافُ قولي مما يصحُّ فحديثُ النبيِّ أولى، فلا تقلدوني)[٥].

---

(١) ابن عابدين في «الحاشية» (٦/ ٤٦)، ولابن القيم في «اعلام الموقعين» (٢/ ٢١١) بلفظ: حتى يعلم من أين قلناه.

(٢) ابن عابدين في «الحاشية» (١/ ٦٣).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لأبو عمر النمري (٢/ ٧٠)، وابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٧٥).

(٤) ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٥) الألباني في «صفة صلاة النبي» (٨).

٤- وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله: (لا تُقلِّدني، ولا تُقلد مالكاً، ولا الشافعيَّ، ولا الأوزاعيَّ، ولا الثوريَّ، وخذ مِنْ حيثُ أخذوا)[١].

وقال أيضاً: (من ردَّ حديثَ رسولِ الله ﷺ فهو على شفا هَلَكَةٍ)[٢].

تلك هي أقوالُ الأئمةِ رحمهم الله ورضي عنهم في الأمرِ بالتمسكِ بالحديثِ، والنهيِ عن تقليدِهم دونَ بصيرة.

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

ويقول الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمه الله: (فالواجبُ على كلِّ مَنْ بَلَغه أمرُ رسولِ الله ﷺ وعرَفهُ أن يبيِّنهُ للأمة، وينصحَ لهم، ويأمرَهم باتباعِ أمرِه، وإنْ خالفَ ذلكَ رأيَ عظيمٍ منَ الأمة؛ فإنَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن يُعَظَّمَ ويُقتدى به من رأي أيِّ معظَّم قد خالف أمرَهُ في بعض الأشياءِ خطأً، ومِنْ هنا رَدَّ الصحابَةُ ومَنْ بعدَهم على كلِّ مخالفِ سنةٍ صحيحةٍ، وربما أغلظوا في الردِّ، لا بغضاً له؛ بل هو

(١) ابن القيم في «اعلام الموقعين» (٢/ ٢٠١).

(٢) الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٣١٦).

محبوبٌ عندهم معظَّمٌ في نفوسهم، لكن رسولَ الله أحبُّ إليهم، وأمرُهُ فوقَ أمرِ كُلِّ مخلوقٍ، فإذا تعارضَ أمرُ الرسولِ ﷺ وأمرُ غيرِه؛ فأمرُ الرسولِ ﷺ أولى أنْ يُقَدَّمَ ويُتَّبَعَ، ولا يمنعُ من ذلكَ تعظيمُ مَنْ خالفَ أمرَه وإنْ كانَ مغفوراً له، بل ذلك المخالفُ المغفورُ له لا يكرَهُ أن يخالَفَ أمرُه إذا ظهر أمرُ الرسولِ ﷺ بخلافِه)[1].

ومن الأمثلةِ على ذلكَ:

١- عن سالمِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهم قال: (إِنِّي لَجَالِسٌ مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما فِي الْـمَسْجِدِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَسَأَلَهُ عَنِ التَّمَتُّعِ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: حَسَنٌ جَمِيلٌ، فَقَالَ: فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَنْهَى عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ! فَإِنْ كَانَ أَبِي قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ، وَقَدْ فَعَلَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَأَمَرَ بِهِ، فَبِقَوْلِ أَبِي تَأْخُذُ أَمْ بِأَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ؟! قَالَ: بِأَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ له ابنُ عمرَ: فقُمْ عَنِّي)[2].

٢- وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه كانَ يُفتي بجوازِ التمتع بالعمرةِ إلى الحجِّ فيُقالُ له: (لكن أبا بكر وعمرَ يقولانِ بخلافِ قولِك، فيشتدُّ غضبُه ويقول: يوشِكُ أن تُرجموا بحجارةٍ منَ السماءِ أقولُ: قالَ اللهُ، قالَ رسولُ الله، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمرُ؟!)[3].

(١) «صفة صلاة النبي» للشيخ الألباني (ص٥٤).

(٢) «شرح معاني الآثار» للطحاوي (٣٦٦٥).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٥٩).

ومع كلِّ هذه الأدلةِ منِ القرآنِ وكلامِ الصحابةِ ﭭ وكلامِ الأئمة التي تمنعُ منَ التقليدِ الأعمى، فقد دخلَ الشيطانَ على كثيرٍ من العوامِّ فتعصبَ كلٌّ منهم لمذهبِهِ حتى فَرَّقهم شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وها أنا أضعُ أمامكم الآثارَ السيئةَ للتعصبِ المذهبيِّ على الأمةِ الإسلاميةِ ليهلِك مَنْ هلَك عن بينةٍ ويحيى من حَيَّ عن بينة.

أولاً: نشرُ الخلافِ والانقسامِ والفُرقةِ والفتنِ بين المسلمين:

من مفاسدِ التعصبِ المذهبيِّ المقيتِ، ونتائجهِ الضارةِ الخبيثةِ، تفريقُ جماعةِ المسلمينَ إلى مذاهبَ وشيع وفِرَقٍ وطوائفَ مختلفةٍ في أكثرِ أمورِ الدينِ الواحدِ؛ في العقيدةِ والعبادةِ، والحلالِ والحرامِ، والفقهِ والأصولِ، والعاطفةِ والشعور.

وهذا يتنافى مع دينِ الإسلامِ الذي يأمرُ بالاعتصامِ والاتحادِ، وينهى عن التفرقِ والاختلافِ والتنازعِ.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

وقد أرشدَنا اللهُ تبارك وتعالى في كتابه إلى الطريقِ الصحيحِ للقضاءِ على كُلِّ خلافٍ ونزاعٍ.

فقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

ثانياً: مخالفتُهُ للنصوصِ الثابتةِ من الكتابِ والسنةِ تعصباً للمذهبِ، وتقديمُ الرأيِ المحضِ والأقوالِ عليها:

وهذا مخالفٌ للأدلةِ في الكتابِ والسنةِ التي تأمرُ بأن يقولَ المؤمنُ: سمِعْنا وأطعنا لحكمِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ، وتنهى عن التقديمِ بأيِّ قولٍ بينَ يَدَيِ اللهِ ورسولِهِ، مهما كان صاحبُهُ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحُجُرات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلةِ على مخالفةِ بعضِ أحكامِ المذاهبِ للنصوصِ:

المثالُ الأولُ: قال صاحبُ الهداية -وهو منَ الكتبِ المقدَّمةِ لدى الحنفية- عندَ الحديثِ عن موقفِ الإمامِ في الصلاةِ على الجنازةِ: (ويقومُ الذي يصلي على الرجلِ والمرأة بحذاء الصدرِ. قال: لأنه موضعُ القلب، وفيهِ نورُ الإيمانِ، فيكونُ القيامُ عندهُ إشارةٌ إلى الشفاعةِ لإيمانهِ).

مع أنَّ حديثَ أنسٍ ﷺ صريحٌ بأنَّ منَ السنةِ أن يقفَ الإمامُ عند رأسِ الرجلِ، ووسَطِ المرأةِ[1]. ومع ذلك قدَّمَ الرأيَ عليه، بناءً على تعليلاتٍ باطلةٍ ليسَ عليها دليلٌ، وما هي في الحقيقةِ إلا ستارٌ للتعصبِ للمذهبِ، واحتيالٍ لعدمِ ردِّ ما قالهُ فقهاؤُهُ.

المثالُ الثاني: ما قالهُ صاحبُ شرحِ العنايةِ: (إنَّ حضورَهُنَّ -أي: النساءِ- الجماعاتِ متروكٌ بإجماعِ المتأخرين[2].

وهذا مخالفٌ للحديث الصحيح؛ عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْـمَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا**»[3].

فانظروا عبادَ الله إلى التعصبِ للمذهبِ الذي جعلهم يُقدِّمون قولَ المذهبِ على حديثِ رسول الله ﷺ.

ثالثاً: التشدُّدُ في بعضِ المسائلِ، مما فيه عنتٌ كبيرٌ على الناسِ. فضيعوا بذلكَ البلادَ والعبادَ وأساءوا إلى دينِ الله.

المثال الأول: سببُ تشيع إيران.

قال الأستاذُ محبُّ الدينِ الخطيبُ: (إنَّ (خدا بنده) أحدَ ملوكِ إيران سنةِ ٧٠٣هـ وكان منْ أهلِ السنةِ، غضبَ يوماً من زوجتِه، فطلَّقها ثلاثاً، ثم أرادَ أن

(١) انظر «أحكام الجنائز» للشيخ الألباني (ص١٣٨).

(٢) «الحنفي على الهداية على هامش فتح القدير» (١/ ٢٢٥ و٢٢٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٨)، ومسلم (٤٤٢).

يَرُدَّها إلى عصمتِه، فقال له فقهاءُ أهلِ السنةِ: إنه لا سبيلَ إلى ذلك حتى تنكحَ زوجاً غيرَك، فصعُبَ على الملكِ ذلك، فأشارَ عليه بعضُ حاشيتِه منَ الشيعةَ، بأن يدعوَ فقيهاً شيعياً من علماءِ (الحلة)، هو ابنُ المطَهِّرِ (الذي ردَّ عليه شيخ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في الكتابِ المذكور)، فلما حضرَ واستفتاه السلطانُ سأله: هل طلَّقْتَ بمحضرِ شاهدين عَدْلَين؟ فقال: لا. فأفتى ابنُ المطهِّرِ بأن الطلاقَ لم يقعْ لأنه لم تتحققْ شروطه، وله إرجاعُ زوجتِه.

فسُرَّ الملكُ واستخلَص ابنَ المطَهِّرِ لنفسِه، ثم سَوَّلَ هذا للملكِ اعتناقَ مذهبِ الشيعةِ، فكتبَ إلى عمالِه يأمرُهم بأن يخطبوا باسمِ الأئمةِ الاثنى عشرَ على المنابر، ونقشَ أسماءَهم على نقودِه، وعلى جدرانِ المساجدِ.

وهكذا تشيعتْ إيرانُ كُلُّها، ثم كَمُلَ تَشَيُّعُها وتَثَبَّتَ عندما قامتِ الدولةُ الصفويةُ، التي تبنت مذهبَ الشيعةِ الغلاةِ[1].

وكانَ الأولى من ذلك والأَجدر بفقهاء المذاهب إرجاعَ زوجةَ الملك بناءً على رأيِ شيخ الإسلام ابن تيميةَ رحمهُ الله الذي أفتى أنَّ طلاقَ الثلاثِ في مجلسٍ واحدٍ يُعَدُّ طلقةً واحدة، وقد استدلَّ على ذلكَ بأدلةٍ كثيرةٍ منها:

حديثُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قالَ: (كان الطلاقُ الثلاثُ في عهدِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافةِ عمرَ، طلاقُ الثلاثِ واحدة. فقال عمرُ بنُ

(١) تعليق محب الدين الخطيب على كتاب «المنتقى من منهاج الاعتدال» للذهبي (ص٢٨).

الخطابِ ﷺ: إنَّ الناسَ قد استعجلوا في أمرٍ كانت لهم فيه أناةٌ، فلو أمضيناهُ عليهم! فأمضاهُ عليهم)[1].

ويضافُ إلى ذلكَ قولُه تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة:٢٢٩]، فقد قال: مرتان، أي: في وقتين مختلفين، ولم يقلْ: كلمتان.

ورأيُ ابنُ تيميةُ هذا هو الذي نراه حقاً وصواباً، وأما اجتهادُ عمر ﷺ فهو تدبيرٌ مُؤَقَّتٌ، قصدَ به زجرَ الناسِ عن الإكثارِ من التلفظِ بالطلاقِ الثلاثِ، ولا يمكن أن يُلغي بحالٍ من الأحوالَ السُّنةَ الثابتةَ عن النبيِّ ﷺ، وقد ذهبَ إلى هذا القولِ كثيرٌ من العلماءِ المحققين[2].

المثال الثاني: الحيلولةُ دونَ تحكيم شرعِ الله.

طلبَ حاكمٌ في بلدٍ إسلامي من فقهاءِ المذاهبِ أن يتفقوا على مذهبٍ واحدٍ ليقومَ بتطبيقِهِ في البلادِ، فاجتمعوا ولم يتفقوا، كلٌّ يتعصبُ لمذهبه، فطردَهُمُ الحاكمُ وطبَّقَ القوانينَ الوضعيةَ في بلادِه، وهذا من أسْوَأ مظاهرِ التعصبِ المذهبي.

ودينِنا يأمرُنا باحترامِ العلماءِ والأئمة وإجلالهم قال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا! وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّه**»[3].

فنحن نحترمُ العلماءَ والأئمةَ ونُجِلُّهم ونحبُّهم، ولكنْ لا عصمةَ إلا للأنبياءِ.

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٣٠).

(٢) انظر «بدعة التعصب المذهبي» للشيخ محمد عيد عباس (ص٢٠٣).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، والحاكم (٤٢١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٦٧/ رقم (٧٧٠٣)، [«صحيح الترغيب» (١٠١)].

كما قال الإمامُ مالكٌ رحمه الله: (لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ؛ إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ)[1].

والحقُّ أحبُّ إلينا من أنفسِنا، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ، وليس بعدَ الحقِّ إلا الضلال، فعلى المسلمِ أن لا يتعصبَ لمذهبٍ ولا لشيخٍ وعليه أن يتبعَ الدليلَ الذي جاءَ من الكتابِ والسنةِ.

أسألُ اللهَ العظيمَ أن يجعلَني وإياكم من ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزُّمَر].

إبليسُ العدوُّ المبينُ فَرَّقَ الأمةَ الإسلاميةَ فِرَقاً وأحزاباً: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون]، بالعصبيةِ القوميةِ، وبالعصبيةِ القبَليةِ، وبالعصبيةِ المذهبيةِ، ولم يكتفِ بذلكَ بل اعتدى على جماعتِهم وَوَحدتهم بعصبية أُخرى.

ما هي هذه العصبيةُ؟

هذا الذي سنعرفهُ في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

(١) «المستخرج على المستدرك» أبو الفضل العراقي (ص١٥).

٢٤

الاعتداء الحادي عشر
اعتداءُ الشيطان على وحدة المسلمين وجماعتهم بالعصبية الحزبية؛ ليفرِّقهم

عباد الله! يقولُ الله عز وجل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

الشيطانُ العدوُّ المبينُ يعملُ ليلاً ونهاراً لإضلالِ بني آدم وإهلاكهم، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعتدي عليهم بكلِّ أنواعِ الاعتداءات والتي منها:

- الاعتداءُ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه.
- الاعتداءُ على صلاةِ الإنسانِ.
- الاعتداءُ على نومِ الإنسانِ وبيته.

- الاعتداءُ على الإنسانِ بالمسِّ والصَّرْع.

- الاعتداءُ على الإنسانِ بالسحرِ.

- الاعتداءُ على وَحْدَةِ المسلِمينَ وجَماعتِهم بإلقاءِ العَداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ لِيُفرِّقهم.

- الاعتداءُ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القوميةِ؛ لِيُفَرِّقَهم.

- الاعتداءُ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ القبليةِ؛ لِيُفَرِّقَهم.

- الاعتداءُ على وحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ المذهبيةِ؛ لِيُفَرِّقَهم.

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذرٍ! وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ الحادي عشر: اعتداءُ الشيطانِ على وَحدةِ المسلمينَ وجماعتِهم بالعصبيةِ الحزبيةِ؛ ليفرِّقهم.**

الإسلامُ دينُ اللهِ الذي لا يُقبلُ يومَ القيامةِ من أحدٍ ديناً سواه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وهو الدينُ الذي ارتضاهُ اللهُ عز وجل لخلقِهِ، وهو دينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامةٌ، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وهذا الدينُ العظيمُ جاءَ لتأليفِ القلوبِ، وتوحيدِ الصفوفِ، بل به فقط تأتلفُ القلوب وتكونُ الجماعةُ.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ [آل عمران].

وكما جاءَ الإسلامُ يأمرُ بالجماعةِ وَوَحْدَةِ الصفِّ، جاء أيضاً يُحَذِّرُ من التفرقِ والتنازعِ لأنهُ يؤدي إلى الفشل، والفشلُ يورثُ الضعفَ والهوان.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٤٦) ﴾ [الأنفال].

ودعاةُ الحزبيةِ وعلماءُ السوءِ لا يهنأُ لهم عيشٌ، ولا يهدأُ لهم بالٌ إلا بوجودِ التمزُّقِ والتشتتِ والتفرقِ في صفوفِ الأمة، ولذا فَهم يُقِرُّونَ الاختلافَ، ويزعمون أنهُ توسعةٌ على الأمةِ، ويحتجون على هذه الدعوى الباطلةِ بحديثٍ باطلٍ لا أصلَ له وهو: (اختلافُ أمتي رحمةٌ).

وهذا من أفسدِ الأقوالِ، لأنهُ لو كانَ الاختلافُ رحمةً لكان الاتفاقُ عذاباً، وهذا لا يقولُه مسلمٌ، لأنه ليس هناك إلا اتفاقٌ أو اختلافٌ، وليس إلا رحمةٌ أو عذاب.

قال الإمامُ الألبانيُّ رحمه الله: (وهذا الحديثُ (اختلافُ أمتي رحمةٌ) مع كونه موضوعاً مكذوباً فهو مخالفٌ للقرآن أيضاً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

فإذا كان مَنْ رحمَ ربُّك لا يختلفون، وإنما يختلفُ أهلُ الباطِل، فكيف يُعقلُ أن يكونَ الاختلافُ رحمةً؟)[(١)].

بل قد وردَ صريحاً من حديثِ رسولِ الله ﷺ ما يَرُدُّ هذا القولَ وهو قولُه ﷺ: «**الْـجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[(٢)].

ألم يأنِ للحزبيين أن يتقوا اللهَ في الأمةِ الإسلامية، ويفهموا قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ۝٩٣﴾ [الأنبياء].

فيا دعاةَ الحزبيةَ! اعلموا أنكم إلى الله راجعون، وأمامَه موقوفون، وعن تفرِيقكم للأمة ستُسألون! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام].

• ألم يأنِ للحزبيين أن يفهموا قولَه ﷺ لحذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا! قَالَ:

---

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» (ص٥٩).

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣، ٨٩٥)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٩٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥)، [«صحيح الترغيب» (٩٧٦)].

«**نَعَمْ! قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»(1).

• ألم يأنِ للحزبيين أن يقبلوا وصيةَ الله ويفهموا قولَه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وذلك لأنَّ التحزبَ الذي يُفرِّقُ الأمةَ هو طاعةٌ للشيطان، ومعصيةٌ للرحمن، وسلوكٌ لسبلِ الشيطان.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية)(2).

• ألم يأنِ للحزبيين أن تخشعَ قلوبُهم لذكرِ الله وما نزلَ من الحقِّ ويفهموا قولَه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم:٣٢]

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

(٢) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، وأحمد (١/ ٤٣٥)، والطيالسي (٢٤١)، والدارمي (٢٠٢)، [«المشكاة» (٢٧)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران].

• ألم يأن للحزبيين أن يفهموا قولَهُ ﷺ: «سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ(١)، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ؛ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْـجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»(٢).

ويفهموا قولَهُ ﷺ: «لاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»(٣).

وقولَه ﷺ: «لاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»(٤).

وقولَه ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٥).

فيا معشرَ الحزبيين! إذا كانَ التفرقُ في الشعابِ والأودية للاستراحةِ والقيلولةِ والاستظلالِ في ظلِّ الشجرِ منَ الشيطانِ فماذا تقولون في التفرقِ في الأحزابِ المتناحرةِ المتباغضة التي يُبَدِّع بعضُهم بعضاً، ويُكفِّرُ بعضُهم بعضاً كما نرى اليوم؟

---

(١) هنات وهنات: أي شدائد وفتن وأمور عظام محدثات.

(٢) **صحيح**: رواه النسائي (٤٠٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٤/ رقم ٣٦٢) وابن حبان (٤٥٧٧)، والبيهقي في «الشعب»(٧١٠٦)، كلاهما بلفظ «مع الجماعة»، [«صحيح الجامع» (٣٦٢١)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٢).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤١٠).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٥)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، والحاكم (٢٥٤٠)، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

وانطلاقاً مِن قولِهِ ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1].

فها أنا أستعينُ بالله وحده وأبينُ للمسلمين التحزبَ المشروعَ، والتحزبَ غيرَ المشروعِ، ليهلِكَ من هلكَ عن بينةٍ ويحيى من حيَّ عن بينة.

فالحزبُ: جماعةُ الناسِ، والجمعُ: أحزابٌ.

وحزبُ الرجلِ: أصحابُهُ وجُندُهُ الذين على رأيِهِ وأمرِه.

ومادةُ (حَزَبَ) وردت في القرآنِ الكريم بصيغة الإفرادِ والجمع.

فأما وُرودها بصيغةِ الجمعِ فلم يأتِ مطلقاً على سبيلِ المدح، بل دائماً يَرِدُ في سياق الذمِّ بما يُشْعِرُ أنَّ التفرقَ إلى أحزابٍ وطوائفَ مذمومٌ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود:١٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غافر].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

وأما ورودُها بصيغةِ الإفرادِ، فقد جاءت بحسَب السياقِ في معنيين اثنين:

الأول: جاءت في معنى المدح، وذلك بإضافتها إلى لفظِ الجلالةِ (الله).

ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

وقولُه تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

والثاني: جاءت في معنى الذَّمِّ، وذلك إما بتجرُّدِها عن الإضافةِ كما في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون].

أو بإضافتها إلى الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

وعمومُ الخلق لا يخرجون عن الاندراجِ تحتَ أحدِ هذين الصنفين، فإنَّ الله عز وجل قسَّمَ الخلقَ إلى قسمين:

فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

وقال في الصنفِ الآخرِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

ولا شكَّ أنَّ حزبَ الشيطانِ هو الذي يفعلُ ما يرتضيه الشيطانُ، والذي يرتضيه الشيطان هو المعصية بكلِّ صُوَرِها، فكلُّ مَنْ عصى اللهَ تعالى كان من حزبِ الشيطانِ[1].

فالحزبُ: هو كُلُّ طائفةٍ منَ الناسِ اجتمعت على قضيةٍ ما، وتناصرَت وتعصَّبَتْ عليها، فإنْ كانَ تحزُّبُهم على ما هو حقٌّ كانوا من حزبِ اللهِ، وإنْ كان تحزُّبُهم على ما هو باطلٌ كانوا من حزبِ الشيطانِ.

وهناك أُناسٌ يتحزبونَ على باطلٍ ويسمون أنفسَهم بحزبِ اللهِ، وعقائدُهمُ وأعمالُهُم وأقوالُهُم تُنادي عليهم أنهم: حزبُ الشيطانِ، وحتى لا ينخدعَ المسلمُ بهذه التسميات التي كثُرت في هذا الزمان، والتي فَرَّقَتِ الأمةَ، فها أنا أضعُ أمامَ المسلمينَ أبرزَ سماتِ حزبِ اللهِ، وأبرزَ سماتِ حزبِ الشيطانِ.

(١) «تفسير الرازي» (٢/ ٣٠).

فأما سماتُ حزبِ الله.

فمن أبرزِ سماتِ هذا الحزبِ الإلهي السُّنِّيِّ الشرعي:

أولاً: أنه في المقالاتِ يقولُ ويعتقدُ بما كان موافقاً للكتابِ والسنةِ واتفقَ عليه سلفُ الأمةِ لا غير.

ولهذا سُمي أهلُهُ بأهل السنةِ والجماعةِ، كما قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللهُ: (طريقةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ اتباعُ آثارِ رسولِ الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباعُ سبيلِ السابقينَ الأولينَ منَ المهاجرينَ والأنصارِ، واتباعِ وصيةِ رسولِ الله ﷺ حيثُ قالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الْـمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[1]، ويعلمونَ أنَّ أصدقَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ ويُؤثرون كلامَ الله على كلامِ غيرِه من كلامِ أصنافِ الناسِ، ويُقَدِّمون هديَ محمدٍ على هدي كُلِّ أحدٍ، وبهذا سُمُّوا أهلَ السنةِ والجماعة)[2].

وقال ابنُ القيمِ رحمه الله: (وكلُّ مَنْ أَصَّل أصلاً لم يؤصِّلْه اللهُ ورسولُه قاده قسراً إلى ردِّ السنةِ وتحريفِها عن مواضعِها، فلذلك لم يُؤَصِّلْ حزبُ الله ورسولِه أصلاً غيرَ ما جاءَ بِهِ الرسولُ ﷺ فهو أصلُهم الذي عليه يُعَوِّلون، وجنَّتُهم التي إليها يَرْجعون)[3].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٧).

(٣) «شفاء العليل» (١٤).

كيف لا؟

والله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحُجُرات].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

فيا معشرَ الحزبيين! مِنْ أين أخذتم أُصولَكمُ التي أقمتمْ وأسَّسْتُم عليها حزبَكم، وأيَّ سبيلٍ سلكتم؟!

فإن قالوا أخذناهُ من الكتابِ والسنةِ.

قلنا لهم: هل ما أنتم فيه من تحزبٍ جائزٌ لكم دونَ بقيةِ الناسِ من غيركم؟!

أم هو جائزٌ لكم، ولغَيرِكم؟!

فإن قالوا: هو جائز لنا فقط دونَ العالمين.

فقد أتوا بما يُخالِفُ إجماعَ الأمةِ؛ إذ لا وَحيَ بعد رسولِ الله ﷺ يخُصُّهُم دونَ غيرِهم!

وإن قالوا: هو جائز لنا ولغيرنا!

فنسألُهم: هل هذا التجويزُ منكم له حدٌّ! أم أنه لا حدَّ له؟! فإن قالوا: لهُ حدٌّ!

طالبناهُم بالدليل المحَدِّدِ! ومقدارِه!

ولا دليل -لا في كثيرٍ، ولا في قليل-!

وإن قالوا: ليسَ له حدٌّ!

فقد أتَوْا منكراً منَ القولِ وزوراً، ينقضُ ما ادَّعوهُ، وكيف لا يكونُ كذلك، وربُّنا سبحانَه وتعالى يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فأيُّ تَفرُّقٍ -وتفريقٍ! بربكم -أشدُّ من هذا- ديناً ودُنيا-؛ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟!

يا هؤلاء! لو خلا لكم الجوُّ(!)؛ فأَنشأتم (الحزبَ!) الذي تريدون! -سواءً سمَّيتموه: (جبهةً!) أو: (رابطة!) -أو غيرَ ذلك!؛ فهل تسمحونَ أو ستسمحونَ! لأيٍّ من أعضاءِ حزبِكُم -المحلومِ به!- إذا تحقق! -أن ينشِئ- دَاخِلَ حِزبكم! حزباً آخر؟!

لا ننتظِرُ الأجوبَةَ على كُلِّ هذا أيها العقلاء!

فالأجوبةُ الحقةُ بدَهياتٌ معلومةٌ خوافِيها!

لا يليقُ بعاقلٍ! أن يُناطِحَ فيها!![1].

---

(١) «الهدى والنور» للشيخ علي الحلبي حفظه الله.

فحزبُ الله، أهلُ السنةِ والجماعة يأخذونَ عقيدتَهم من الكتابِ والسنة ويفهمونَها بفهمِ سلفِ الأمةِ، ويأخذونَ أُصولَهم من الكتابِ والسنة التي تأمرُهم بالجماعةِ، وتحذِّرُهم من الحزبيةِ والفرقةِ والاختلاف.

ثانياً: أنهُ -أي: حزبُ الله- في الطاعات ليسَ له متبوعٌ سوى رسولِ الله ﷺ بخلافِ أهلِ الأهواء والبدعِ والفرقةِ والتحزبِ

كيف لا؟

واللهُ عزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

يتوضأُ ﷺ أمامَ الصحابة ويقولُ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا**»[1].

ويصلي ﷺ أمامهم ويقول: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[2].

ويحج ﷺ أمامهم ويقول: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩)، ومسلم (٢٢٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٢٩٧) بلفظ «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**»، وهذا اللفظ عند البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٢٥).

ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أهلُ الحقِّ والسنةِ لا يكون متبوعُهم إلا رسولَ الله ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى، فهو الذي يجبُ تصديقُه في كُلِّ ما أخبرَ، وطاعتُه في كُلِّ ما أمرَ، إلى أن قال: بل يجعلونَ ما بُعِثَ به الرسولُ ﷺ من الكتابِ والحكمةِ هو الأصلُ الذي يعتقدونه ويعتمدونَه)[1].

ثالثاً: أنهُ في الولاءِ، يُوالي أهلَ الإيمانِ بحسَب ما معهم من الطاعات، ويعادي أهلَ البغيِ والعدوانِ وبحسَبِ ما معهم من المعاصي والمنكراتِ.

فلا ولاءَ مطلقَ إلا للشرعِ وأهلِه، ولا براءَ مطلقَ إلا منَ الكفرِ وأهلِه كيف لا؟

والله عز وجل يقول في وصفِ حزبِ الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

ويقول ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ: الْـمُوَالاةُ فِي الله، والمعاداةُ في الله وَالحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله**»[2].

فحزبُ الله، أهلُ السنةِ والجماعةِ كالبناءِ الواحدِ في قوتهِ قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»[3].

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥١٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، [«صحيح الجامع» (٢٥٣٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) واللفظ للبخاري.

والله عز وجل يحبُّ من المؤمنينَ ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].

فهل الحزبيةُ البغيضةُ جعلتِ الحزبيين يقاتلون في سبيلِ الله صفاً واحداً كأنهم بينانٌ مرصوص؟!

وحزبُ الله، أهلُ السنةِ والجماعةِ كالجسدِ الواحدِ في حساسيته قال ﷺ: **«مَثَلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْـحُمَّى»**(1).

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقول: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**(2).

وقال ﷺ: **«الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ»**(3).

رابعاً: أنه -أي: حزبُ الله- في الجماعاتِ، يرى وجوبَ لزومِ جماعةِ المسلمينَ وإمامهم القائمِ، وأداءِ حقوقِه إليه.

---

(1) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٨٦)، وفي لفظ آخر: **«الْـمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالْـحُمَّى وَالسَّهَرِ»**.

(2) **صحيح**: رواه البخاري (١٣).

(3) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

واستجابةً لقوله ﷺ: «**عَلَى الْـمَرْءِ الْـمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ؛ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»(١).

واستجابةً لقوله ﷺ لحذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»(٢).

واستجابةً لقوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلاَّ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٣).

فهل الأحزابُ اليومَ يَلْزَمون جماعةَ المسلمين وإمامَهم أم يخرجون على جماعةِ المسلمينَ وإمامِهم؟!

وأما سمات الأحزابِ الشيطانيةِ البدْعيةِ:

وكما امتازتِ الأحزابُ الإلهيةُ الرحمانيةُ السُّنِّيَّةُ بجملةِ سماتٍ، فكذلك اتسمتِ الأحزابُ الشيطانيةُ البدعيةُ بعدة سماتٍ؛ مِنْ أبرزِها:

أولاً: إلزامُ نفسِهُم والخلقِ بما ليس بلازمٍ في الشرع

والنبيُّ ﷺ يقول: «**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْـخَالِقِ**»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٠/ رقم ٣٨١)، [«صحيح الجامع» =

والإلزامُ بما ليسَ في الشرعِ شعارُ أهلِ البِدَعِ والأهواء، يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (كان مِنَ شعارِ أهل البدع إحداثُ قولٍ أو فعلٍ، وإلزامُ الناسِ به، وإكراهُهم عليه، والموالاةُ عليه، والمعاداةُ على تركه، كما ابتدعتِ الخوارجُ رأيَها وألزمَتِ الناسَ به، ووالَتْ وعادَتْ عليه، وابتدَعَتِ الرافضةُ رأيَها وألزمَتِ الناسَ به، ووالَتْ وعادَتْ عليه، وابتدَعَتِ الجَهْمِيَّةُ رأيَها وألزَمتِ الناسَ به، ووالَت وعاَدْت عليه)[1].

والحزبيونَ في هذه الأيامِ ابتدعوا بدعةَ المظاهراتِ، وألزموا أنفسَهم والناسَ بها، وهي ليست مِنْ دينِ الله في شيءٍ.

ثانياً: الغُلُوُّ في تقريبِ الموافِقِ لهم وإبعادِ المخالفِ لهم.

واللهُ عز وجل يقول: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء:١٧١].

ويقول ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ**»[2].

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمهُ اللهُ: (والرافضةُ وهم رؤوسُ المبتدِعةِ سلكوا في الصحابةِ رضي الله عنهم مسلَكَ التفرُّقِ فوالَوا بعضهَم وغلوا فيه، وعادَوا بعضَهم وغَلَوا في معاداتِه، وقد يسلكُ الحزبيون ما يشبهُ هذا، فتجدُ أحدَ الحزبيين

[(٧٥٢٠)].

(١) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ١٨).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٠٢٩)، و أحمد (١/ ٣٤٧)، الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٨٩/ رقم (٧٤٢)، [«الظلال» (٩٨)].

يتولى فلاناً ومُحِبِّيه، ويُبغِضُ فلاناً ومحبيه، ويَسُبُّ هذا ويُبَدِّعُه، ويمدَحُ هذا ويثني عليه، كلُّ ذلكَ بغير حَقٍّ، وهذا كلُّه من التفرقِ والتشيُّعِ الذي نهى اللهُ عنهُ ورسولُهُ ﷺ.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٩])[١].

ثالثاً: التسميةُ بما لم يُسَمِّ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين

والله عز وجل يقول: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨].

وقال ﷺ: «**وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ، وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْـمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْـمُسْلِمِينَ الْـمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[٢].

رابعاً: التعصبُ للطائفة أو الجماعةِ، أو الحزبِ ولو خالفَ الشرعَ

والنبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْـجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»[٣].

---

(١) «منهاج السنة» (٥/ ١٣٣) بشيء من التصرف والاختصار.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٣٤٤)، والحاكم (١٥٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٣١)، [«صحيح الترغيب» (٥)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

• ما هي أسبابُ التحزُّبِ المذمومِ، وما هي آثارُهُ السيئةُ على الأمةِ الإسلامية؟ وما الفرق بينه وبين العمل الجماعي المنضبط بالشرع؟ هذا الذي سنعرفُه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاء اللهُ تعالى إن كانَ في العمرِ بقيةٌ.

٢٥

أسبابُ التحزُّبِ المذموم، وآثارُهُ السيئةُ على الأمةِ الإسلامية

عبادَ الله! قلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إنَّ اللهَ قَسَمَ الخلقَ إلى قسمين:

القسمُ الأول: حزبُ الله.

قال تعالى في وصفه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

القسمُ الثاني: حزبُ الشيطان.

قال تعالى في وصفه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

وقد تكلمنا في الجمعةِ الماضيةِ أيضاً عن أبرزِ سماتِ حزبِ الله، وعن أبرزِ سماتِ حزبِ الشيطان، لِيَهلِكَ من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **أسبابِ التحزُّبِ المذمومِ، وآثارِهِ السيئةِ على الأمةِ الإسلاميةِ.**

التحزبُ الذي نراهُ في الأمةِ اليومَ خِنْجَرٌ مسمومٌ طُعِنَتْ به أمةُ الإسلامَ فَفَرَّقها فِرقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾ [المؤمنون].

التحزُّبُ الذي نراهُ في الأمةِ اليومَ ينافي الاجتماعَ الذي أمَرَ الإسلامُ به، ولا يَجلبُ على الأمةِ إلا التفرقَ، لأنَّ الحقَّ واحدٌ لا يتعدد، وليس بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

• فالأمةُ الإسلاميةُ تَعبدُ إلهاً واحداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

• وتتأسى برسولٍ واحدٍ.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

ويقولُ سبحانه في وصف هذا الرسول: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

• وتَتْبعُ كتاباً واحداً.

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

ويقول سبحانه في وصفِ هذا الكتابِ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت].

• وتصلي إلى قِبلةٍ واحدةٍ.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٥٠].

وتسلُكُ سبيلاً واحداً، وهو سبيلُ اللهِ، وهو سبيلُ المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

ويقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام] الآية)[1].

فإذا كانت الأمةُ الإسلاميةُ تعبدُ إلهاً واحداً، وتتأسى برسولٍ واحدٍ، وتتبعُ كتاباً واحداً، وتصلي إلى قبلة واحدة، وتسلك سبيلاً واحداً، وحزبُ اللهِ حزبٌ واحدٌ لا ثانيَ له، فما هذا التحزُّبُ الذي نراهُ في الأمة اليوم؟

(١) **حسن**: رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، وأحمد (١/ ٤٣٥)، والطيالسي (٢٤١)، والدارمي (٢٠٢)، [«المشكاة» (٢٧)].

ما هي أسبابُهُ، وما هي آثارُهُ السيئةُ على الأمةِ الإسلامية؟

أولاً: أسبابُ التحزبِ المذمومِ

السببُ الأولُ: فسادُ العقيدةِ وقلةُ الدين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء].

السببُ الثاني: فسادُ المنهج.

لما تركَ بعضُ الناسِ منهجَ الصحابةِ المعصوم، واتبعوا مناهج البشر، تفرقوا وتحزّبوا واختلفوا، يقول ﷺ: «**لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**الْجَمَاعَةُ**»(1).

ويفسرُ لنا النبيُّ ﷺ الجماعةَ فيقول: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً؛ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(2).

---

(1) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٧٠/ رقم ١٢٩)، وفي «مسند الشاميين» (٩٨٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣)، [«السلسلة الصحيحة» (١٤٩٢)].

(2) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

فيا من تركتم منهجَ الصحابةِ وسلكتم منهجَ الحزبيين، وسميتم أنفسَكمُ بالسلفيين؛ لقد ضللتمُ الطريقَ وما أنتم بمصلحين، فالإصلاحُ الحقيقيُّ لا يكونُ إلا بالرجوعِ إلى الدينِ واتباعِ منهجِ الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وقال ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[(١)].

وقال ﷺ لأصحابِه يوماً: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**» فَقَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «**تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الأَوَّلِ**»[(٢)].

والرجوعُ بالأمةِ إلى أمرِها الأولِ الذي كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُهُ الكرامُ لا يكونُ أبداً بالتحزُّبِ، وإنما يكونُ بالدعوةِ إلى اللهِ على بصيرةٍ على منهاجِ النبوة.

السببُ الثالثُ: اتباعُ الظنِّ وما تهوى الأنفس

والضلالُ كُلُّهُ، والهلاكُ كُلُّهُ، والتفرقُ كُلُّهُ في اتباع الظنِّ والهوى.

قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم].

(١) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٣٤٦٢)، والبزار (٥٨٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٠٩)، [«صحيح الترغيب» (١٣٨٩)].

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٧)، وفي «الأوسط» (٨٦٧٩)، [«السلسلة الصحيحة» (٣١٦٥)].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجُرات:١٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠﴾ [القصص].

والهوى يُفرِّقُ ولا يُجمِّعُ لأنَّ كلَّ حزبٍ يَتَّبعُ هواه.

عن معاوية رضي الله عنه قال: (قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)[1].

فالهوى يُفرِّقُ ويُضِلُّ ويُعمي القلوبَ.

كيف لا؟

واللهُ عزّ وجل يقول: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفرقان].

(١) **صحيح لغيره**: رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢)، [«الظلال» (٢)].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

السببُ الرابعُ: الغلُوُّ وسوءُ الفهمِ في الدين، والابتعادُ عن العلماءِ الربانيين.

وهذا ما حصلَ للخوارجِ فقد غَلَوْ في الدينِ، وفهِموا النصوصَ الشرعيةَ فهماً خاطئاً مخالفاً لفهم الصحابةِ رضي الله عنهم، فدفعهم ذلك إلى الخروج على عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه وقاتلوه، ولهذا لما ناظرهمُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما وبيّنَ لهم الفهمَ الصحيحَ للنصوصِ رجعَ منهم ألفان[1].

وفي ذلك دليلٌ على أنَّ الرجوعَ إلى أهلِ العلمِ فيه السلامةُ من الشرورِ والفتنِ.

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

ومما يدلُّ على أنَّ الرجوعَ إلى أهلِ العلمِ خيرٌ للمسلمين في أمورِ دينهم ودنياهم قصةُ يزيدَ الفقيرِ وجماعتِه.

يقول يزيدُ الفقير: (كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ - جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ - عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ! مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ﴾ [آل عمران:١٩٢] وَيقول: ﴿كُلَّمَآ

(١) «مستدرك الحاكم» (٢/ ١٥٠-١٥٢).

أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢] فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ! قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ... إلى أن قال: فَرَجَعْنَا، قُلْنَا: وَيْحَكُمْ! أَتُرَوْنَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟! فَرَجَعْنَا، فَلاَ وَاللهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ)[1].

السببُ الخامسُ: حبُّ الدنيا والحرصُ على العلوِّ في الأرض، وفسادُ النيات

وهذا واضحٌ جداً في أحزابِ اليوم، فهم بالأمسِ كانوا يتكلمون باسمِ الإسلام ويقولون: الإسلامُ هو الحلُّ، فلما وصلوا إلى سُدَّةِ الحكمِ، جعلوا المدنيةَ والديمقراطيةَ والحريةَ هي الحلُّ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

واللهُ عز وجل يقول: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص].

ثانياً: الآثارُ السيئةُ للحزبيةِ على الأمةِ الإسلامية

١. التناحُر والتنافرُ والتنازعُ والتحاسدُ والتباغضُ والتدابر

وهذه أمراضٌ خطيرةٌ تنتشرُ في الأمةِ بسببِ التحزبِ مما أدى إلى ذهابِ قوةِ المسلمينَ وضعفِهم وزوالِ دولتهم.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال].

وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[1].

٢. الانشغالُ بالسياسةِ الأوروبيةِ التي أفسدتِ البلادَ والعباد

ويا ليتَ الحزبيينَ انشغلوا بالسياسةِ الشرعيةِ، وإنما دفعهم الغلوُّ في فقهِ الواقعِ في الانغماسِ في السياسةِ الأَوروبية الظالمةِ؛ يقول الإمامُ الألبانيُّ رحمهُ الله: (يجبُ ألا يدفعنا الرضا بفقهِ الواقعِ بصورتِه الشرعيةِ، أو الانشغالُ به إلى ولوجِ أبوابِ السياسةِ المعاصرةِ الظالمِ أهلُها، مغترين بكلماتِ الساسةِ، مرددين لأساليبهم، غارقينَ بطرائقِهم، وإنما الواجبُ هو السيرُ على السياسةِ الشرعيةِ، ألا وهي (رعايةُ شؤونِ الأمةِ) ولا تكونُ هذه الرعايةُ إلا في ضوءِ الكتابِ والسنةِ، وعلى منهجِ السلفِ الصالحِ، وبيدِ أولي الأمرِ من العلماءِ العاملين والأمراءِ العادلين، فإنَّ اللهَ يزعُ بالسلطانِ ما لا يزعُ بالقرآن. أما تلكَ السياسةُ الغربيةُ التي تفتحُ أبوابَها، وتغرُّ أصحابها: فلا دينَ لها، وسائرُ من انساقَ خلفَها أو غرقَ ببحرِها أصابه بأسُها، وضربه جحيمُها، لأنه انشغلَ بالفرعِ قبلَ الأصلِ، ورحمَ اللهُ مَنْ قال: [من تعجلَ الشيءَ قبلَ أوانِه؛ عوقبَ بحرمانه])[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣) واللفظ له.

(٢) «فقه الواقع» (ص٦٢-٦٣).

وظنَّ الحزبيون الذين انشغلوا بالسياسةِ الأوروبيةِ الظالمةِ أنهم يحسنون صنعاً، ويخدمون البلادَ والعباد.

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر:٨].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد].

٣. إقرارُ التحاكمِ إلى الأحكامِ الوضعيةِ، والتهوينُ من أمرِ الأحكامِ الشرعية

والسببُ في ذلك قلةُ الدين، ومخالطةُ الساسة والعِلمانيين، وغيرِ المسلمين، وكما قالوا: كثرةُ المساسِ تُفقدُ الإحساس فكم كُنا نسمعُ من بعضِ الحزبيين قديماً في خطبهم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

واليومَ وبعدَ أنْ وصلوا إلى الحكم لم يعودوا يتكلمون بها، ولا يُحكِّمون شرعَ الله والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

٤. مداهنةُ أهلِ البدعِ والتقربُ إليهم، والتلونُ وعدمُ الوضوحِ في الأحكامِ الشرعيةِ إرضاءً للعامة.

كالتمييع في حديثهم عنِ: الربا، الحجابِ، والسباحةِ للمرأة والغناءِ والمعازفِ، ومشاركةِ المرأةِ في العملِ السياسي، وغير ذلك مما لا يقرُّه شَرعُنا.

والله عز وجل يقول: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ [القلم].

ورضي الله عن ابنِ مسعودِ الذي قال: (مَن كانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفِتْنَةُ)(١).

ورحمَ اللهُ من قال: أركانُ الحزبيةِ ثلاثةٌ: الكذبُ، الخداعُ، التلبيسُ(٢).

٥. مشابهةُ أهلِ الكتابِ، واتباعُ سُنَنِهم

والله عز وجل يقول: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ۝١٠٥﴾ [آل عمران].

وصدقَ رسولُ الله ﷺ حين قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! آلْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ**»(٣).

فأهلُ الكتابِ اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أرباباً من دونِ الله، والمتعصبونَ للأحزابِ اتخذوا قادتَهم وسادتَهم أرباباً من دونِ الله، فهم لم يعبدوهم؛ ولكن

---

(١)رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سُنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى...) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

(٢) «أحكام التصوير» للشيخ مقبل (ص٥).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) واللفظ له.

أطاعوهم وحَرَّموا ما حرَّموا وحلَّلوا ما حلَّلوا، وهذه هي العصبيةُ الحزبيةُ التي فَرَّقتِ الأمةَ، وجعلتها فرقاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

والله عز وجل يُبَرِّئُ رسولَهُ ﷺ من هؤلاء الذين فَرَّقوا دينهم.

فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام].

فالحزبيةُ التي نراها اليومَ: ويلٌ وثبورٌ ولو ادعتْ أنها على الهدى والنور.

والحزبيةُ التي نراها اليومَ: محنةٌ وفتنةٌ ولو زعمت أنها على الكتابِ والسنة.

والحزبيةُ مَرَضٌ خطير، من ابْتُلِيَ به هلك... فكونوا من الحزبية والتحزب على حذرٍ يا عباد الله!

ولعلَّ سائلاً يسأل: هل الإسلامُ يمنعُ منَ العملِ الجماعيِّ؟

الجوابُ: لا، بلِ الإسلامُ يحثُّ على التنظيمِ والتخطيطِ والعملِ الجماعيِّ في الدعوةِ إلى اللهِ حتى تؤتيَ الدعوةُ أُكُلَها وتحققَ أهدافَها.

ولكنِ العملُ الجماعيُّ أو التجمعُ الشرعيُّ لا بدَّ أن ينضبطَ بالضوابطِ الشَرعية التالية:

١- **الاجتماعُ على البرِّ والتقوى**، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢].

٢- الدعوةُ إلى الكتابِ والسنةَ بفهمِ سلفِ الأمة، لقوله ﷺ: «**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْـحَوْضَ**»(١).

ولقوله ﷺ: «**كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلاَّ مِلَّةً وَاحِدَةً**» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

٣- ألا تدعوَ إلى معصيةٍ ولا تنصرَ عصبية، لقوله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ**(٣) **أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ**(٤) **جَاهِلِيَّةٌ**»(٥).

٤- أن يُقِرَّهُ علماءُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

فالعلماءُ هم ورثةُ الأنبياء.

والعلماءُ هم أعلمُ الناسِ بالحقِّ، وأرحمُ الناس بالخلق.

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٣١٩) واللفظ له، والبزار (٨٩٩٣)، والدارقطني في «سننه» (٤٦٠٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤) بلفظ: «خلفت فيكم ما لم ....»، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٧)].

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

(٣) لعصبة: أي: يغضبُ ويقاتلُ ويدعو لا لنصرة الدين والحق بل لمحض التعصب لقومه وهواه كما يقاتلُ أهل الجاهلية.

(٤) فقتلة جاهلية: أي: فقتلهُ كقتله أهل الجاهلية.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

والعلماءُ هم زينةُ الأرضُ يُهتدى بهم في ظلماتِ الفتنِ.

٥- أن لا تشُقَّ عصا الطاعةِ لولاةِ الأمرِ منَ المسلمين، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

ولقوله ﷺ: «**أَلاَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»[١].

٦- أن لا تكونَ لديهم بيعةٌ.

٧- أن يلتزمَ الشريعةَ في وسائله.

خلاصةُ الأمر: التكتلُ والتجمعُ في سبيلِ العملِ بالإسلامِ الذي كانَ عليه الرسولُ ﷺ أمرٌ واجبٌ، لا يختلفُ فيه اثنان، ولا ينتطحُ فيه عنزان كما يُقال، بل لن تقومَ قائمةُ المسلمين، ولن يتحققَ المجتمعُ الإسلاميُّ، ولن تقومَ الدولةُ الإسلاميةُ إلا بمثلِ هذا التجمع، لكنْ شروطُه: أن لا يكونَ عصبيةً لشخصٍ، أو لطائفةٍ دونَ أخرى، وإنما التعصبُ للهِ فيما جاءَ عنِ اللهِ ورسولِهِ ﷺ وعلى منهجِ السلفِ الصالح[٢].

وهذا الاجتماعُ ليسَ إلا وسيلةً من وسائلِ الدعوةِ إلى الله، فيُنظر إلى حالِ الطائفةِ المجتمعةِ: (فإنْ كانوا مجتمعينَ على ما أمرَ اللهُ به ورسولُه، من غيرِ زيادةٍ

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).

(٢) انظر: «العمل الجماعي في الإسلام» للشيخ عبد الله السبت حفظه الله (ص٤٩).

ولا نقصانٍ، فهم مؤمنونَ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلكَ ونَقَّصوا، مثلَ التعصبِ لمن دخل حزبَهم بالحقِّ والباطلَ، والإعراضِ عمن لم يدخلْ في حزبهم -سواءٌ كان على الحقِّ أو الباطلِ- فهذا من التفرقِ الذي ذَمَّهُ اللهُ تعالى ورسوله)[1].

وسُئِلَ إمامُ العصرِ فضيلةُ الشيخِ محمدُ بنُ ناصرِ الدينِ الألبانيُّ رحمه الله: هل ترونَ أنَّ أصلَ فكرةِ العملِ الجماعيِّ اليومَ بدعةٌ وحرامٌ؟

فأجابَ الشيخ رحمه الله: لا؛ العملُ الجماعيُّ ليسَ هناك مجالٌ لإنكارِه، إذا لم يقترنْ بالتحزب.

والعملُ الجماعيُّ، يشمَلُه عديدٌ من الآياتِ الكريمة.

كقوله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

فمثلُ هذا التعاونِ الجماعيِّ، ليسَ هناك مجالٌ لإنكارِه إطلاقاً، لأنَّ الإسلامَ قائمٌ على هذا التعاونِ، ولكنَّ الظاهرةَ التي تبدو في العصرِ الحاضرِ قد انحرفَتْ عن هذه الغايةِ من التعاونِ على البرِّ والتقوى بما خالطَها من التحزبِ والتعصبِ إلى درجةِ أنه صارَ أمراً مهضوماً مقبولاً عندَ كثيرٍ من الدعاةِ؛ كالتكتلِ باسمِ الحزب.

---

(١) «فتاوى شيخ الإسلام» (١١/ ٩٢).

ونحن نعلمُ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد نهى في كتابه عن التعصبِ لحزبٍ أو طائفةٍ أو جماعةٍ لها نظامُها الخاص، ومنهجُها الخاص كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم][1].

(١) «مختصر الحثيث» (ص٥٤٩).

٢٦

الاعتداءُ الثاني عشر

اعتداءُ الشيطانِ على العرضِ والشرفِ والكرامة

عباد الله! لما طَرَدَ اللهُ إبليسَ من جنتِهِ ورحمتِهِ، ولعنَهُ إلى يومِ الدينِ، قالَ إبليسُ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

وقال أيضاً: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف].

وأعلن إبليسُ الحربَ على آدمَ وذريتِهِ، وقادَ المعركَةَ بنفسِهِ مستخدماً جميعَ الأساليبِ الخبيثةِ في معركتِهِ معَهم لإضلالِهم، وإهلاكهم.

ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعتدي عليهم بجميعِ أنواعِ الاعتداءاتِ والتي منها:

- الاعتداءُ على الدينِ والعقيدة.
- الاعتداءُ على الصلاة.
- الاعتداءُ على النوم.
- الاعتداءُ على الجسد بالمسِّ والصَّرْعِ والسحرِ.

- الاعتداءُ على جماعةِ المسلمينَ لتفريقها.

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذر.

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ الثاني عشر: اعتداءُ الشيطانِ على العِرضِ والشرفِ والكرامةَ.**

الإسلامُ دينُ اللهِ الذي ارتضاهُ للبشريةِ ديناً إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، ومن جاءَ بدينٍ غيرِهِ يومَ القيامةِ لا يُقبلُ منه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥) ﴾ [آل عمران].

والإسلامُ دينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامةٌ، ما تركَ خيراً يُقَرِّبُنا من رضى اللهِ والجنةِ إلا وأمرنا به، وما تركَ شيئاً يقربُنا من رضى الشيطانِ والنارِ إلا وحذَّرنا منه.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

والإسلامُ جاءَ للمحافظةِ على النفسِ والدينِ العقلِ والمالِ والعرضِ.

- فحفاظاً على الدينِ شرعَ اللهُ حدَّ الردة، قال ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٠١٧).

- وحِفاظاً على النفسِ شرعَ اللهُ حدَّ القتل، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾ [المائدة:٤٥].

- وحفاظاً على المالِ شرعَ اللهُ حدَّ السرقة، قال تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا.....والله عزيز حكيم)

- وحفاظاً على العقلِ شرعَ اللهُ حدَّ الخمر، قال ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثانيةَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الثَّالِثَةَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فَاقْتُلُوهُ»[1].

وحِفاظاً على العرضِ والشرفِ والكرامةِ.

١- شرعَ اللهُ حدَّ القذفِ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور].

٢- وشرح اللهُ حدَّ الزنى:

- إنْ كان بكراً فالجلدُ، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور:٢].

- وإن كان محصناً فالرجمُ حتى الموت.

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٤٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٢٧٩)، وأحمد (٤/ ٩٣)، وابن حبان (٤٤٤٦)، وأبو يعلى (٧٣٦٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٣٨١)].

٣- وحرَّمَ اللهُ الاعتداءَ على الأعراضِ بكلِّ أنواعِه وأشكالِه، فقال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[1].

وقالَ ﷺ في حَجةِ الوداع: «...**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ اشْهَدْ**»[2].

والاعتداءُ على العِرض يكونُ بالفواحشِ كالتبرجِ والزنا واللُّواطِ، فجاءَ الإسلامُ حِفاظاً على الأعراضِ فحرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأعراف].

والذي يأمرُ بالفحشاءِ ليعتديَ على العِرضِ والشرفِ والكرامةِ هو الشيطان.

قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾**﴾ [البقرة].

فالشيطانُ يأمرُ بفاحشةِ التبرجِ لأنها هي الشرارةُ الأولى لفاحشةِ الزنا.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٧٨)، ومسلم (١٦٧٩).

والدليلُ على أنَّ التبرجَ فاحشةٌ:

قولُه تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٢٨) ﴾ [الأعراف].

ففي الآيات دليلٌ على أنَّ الشيطانَ هو الذي يأمرُ بالتبرجِ والسفورِ والعُري وكشفِ العوراتِ، وفيها أيضاً دليلٌ على أن التبرج فاحشةٌ، وذلكَ أنَّ النساءَ في الجاهليةِ كنَّ يطفْنَ بالبيت عارياتٍ ويقلن إن الله أمرَنا بذلك، فقال الله لهنَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [الأعراف:٢٨].

فاللهُ عزَّ وجلَّ حرَّمَ فاحشةَ التبرج حفاظاً على العرض، والشيطانُ يأمرُ بفاحشةِ التبرج اعتداءً على العِرض والشرفِ والكرامةِ، فلمن استَجَبْنا؟!

والزنا كذلك فاحشةٌ نهى اللهُ عن الاقترابِ منها وحَرَّمها حِفاظاً على العِرضِ والشرفِ والكرامة.

فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا (٣٢) ﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ لأصحابه يوماً: «**مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟**» قَالُوا: حرامٌ، حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ**»[1].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٣٣)، والبزار (٢١١٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٤٠٤)].

ومع ذلك فقد جاءَ الشيطانُ يأمرُ بفاحشةِ الزنا.

قال تعالى مُحَذِّراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ [النور:٢١].

كيف يصونُ الإنسانُ عِرضَهُ وشرفَهُ وكرامتَهُ مِن اعتداءاتِ الشيطان؟

أولاً: أن يغارَ على عِرضه:

فالمؤمنُ يغارُ على عِرضه، أما الدَّيُّوثُ فلا يغارُ على عرضه قال ﷺ: «**الْـمُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللهُ أَشَدُّ غَيْرًا**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ثَلاَثٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْـجَنَّةَ، وَلاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ، وَالْـمَرْأَةُ الْـمُتَرَجِّلَةُ الْـمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ**»[(٢)].

والديوثُ هو الذي يُقرُّ المنكرَ في أهله.

وقالَ سعدُ بنُ عبادةَ رضي الله عنه: (لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ[(٣)]. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ فَوَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي؛ وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»)[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٦١).

(٢) **حسن صحيح**: رواه النسائي (٢٥٦٢)، و أحمد (٢/ ٤٣٣)، والبزار (٦٠٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٤١٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٥١١)].

(٣) مصفح: يقالُ: أصفحه بالسيف إذا ضرب بعُرضِهِ دون حدِّه.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٨٤٦) دون: «**مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»، ومسلم (١٤٩٩) واللفظ له.

وقالَ ﷺ في خطبته في صلاةِ الكسوفِ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! إِنْ مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**»[1].

ومنَ الأمثلةِ على الغَيرة.

١- **عمرُ بنُ الخطابِ** رضي الله عنه، قال ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ**» إلى أن قال: «**وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**» فَقَالَ عُمَرُ: بِأُمِّي وَأَبِي يَا رَسُولَ اللهِ! أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟[2].

٢- **سعدُ بنُ عبادةَ** رضي الله عنه، يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤﴾ [النور].

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَنْصَارِ: أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَلُمْهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ، وَاللهِ مَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً قَطُّ إِلاَّ بِكْرًا، وَمَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ قَطُّ، فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ...)[3].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٢٣٨)، والطيالسي (٢٧٨٩)، وأبو يعلى (٢٧٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٩٤)، [«محققو المسند»].

٣- شابٌّ من الأنصارِ حديثُ عهدٍ بعُرسٍ، يقول أبو سعيدٍ الخدريُّ: (كَانَ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ الله ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاَحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ، وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ، فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا. فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْـمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»)(١).

فأينَ الغيرةُ على الأعراضِ يا عبادَ الله؟

ثانياً: أن يحافظَ عليه.

على المسلمِ أن يحافظَ على عِرضِه منِ اعتداءاتِ الشيطانِ ويكونُ ذلكَ:

١- بالقرارِ في البيت.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ** ﴾ [الأحزاب:٣٣].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٦).

وذلك لأنَّ المرأةَ فتنةٌ للرجال، قال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١).

ولأنَّ المرأةَ إذا خرجت من بيتها زَيَّنها الشيطانُ في أعينِ الرجالِ.

وقال ﷺ: «**الْـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إِنَّ الْـمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ**»(٣).

فالمرأةُ يجبُ ألا تخرجَ من بيتها إلا عندَ الحاجة والضرورة، أما إذا خرجت متى شاءت، وإلى أيِّ مكانٍ شاءت، ومعَ أيِّ إنسانٍ شاءت، فقد عَرَّضَتْ نفسَها لاعتداءاتِ الشيطان، وعندها ستندَم في وقتٍ لا ينفَعُ فيه الندم.

٢- بالحجابِ الشرعيِّ.

استجابةً لقولِه تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

ولقوله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، وابن خزيمة (١٦٨٥)، والبزار (٢٠٦١)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٩٦)، وابن حبان (٥٥٩٨)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

والجلبابُ الشرعيُّ الذي يحبُّه اللهُ ورسولُه، يجبُ أن تتوفرَ فيه الشروطُ التاليةُ:

- **الشرطُ الأولُ**: أن يسترَ جميعَ البدن.

- **الشرط الثاني**: أن يكونَ واسعاً لا يَصِفُ.

- **الشرط الثالث**: أن يكونَ سميكاً لا يشِفُّ.

- **الشرط الرابع**: أن لا يكونَ زينةً في نفسِه.

- **الشرط الخامس**: أن لا يكونَ مُطيَّباً ولا مُبَخَّراً.

- **الشرط السادس**: أن لا يُشبِهَ لباسَ الكفارِ.

- **الشرط السابع**: أن لا يشبهَ لباسَ الرجال.

- **الشرط الثامن**: أن لا يكونَ لباسَ شهرةٍ.

فما هذا التبرجُ الذي نراهُ في شوارعِ المسلمينَ؟

وما هذا الجلبابُ المتبرجُ الذي لم يتوفرْ فيه شرطٌ واحدٌ من شروطِ الجلبابِ الشرعيِّ الذي نراه في شوارعِ المسلمين؟

٣- بعدمِ الاختلاطِ بالرجالِ الأجانب

استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣].

واستجابةً لقوله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: «**الْـحَمْوُ الْـمَوْتُ**»(1).

٤- بعدمِ الخلوةِ بالرجلِ الأجنبي

استجابةً لقوله تعالى: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»(2).

لأن الرجلَ إذا خلا بالمرأة كان ثالثَهما الشيطان، والشيطانُ لا يأمرُ إلا بالفحشاء والمنكر.

قال ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(3)

فما هذا الاختلاطُ، وما هذه الخلوةُ التي نراها بينَ الرجالِ والنساءِ في بلاد المسلمين؟ أهانَتْ علينا أعراضُنا! أم ضاعت الغَيْرةُ منا؟!

• العِرضُ غالٍ يحافظُ عليه الرجالُ، ويُفَرِّطُ فيه الأنذال.

إذا اعتدى الشيطانُ على العِرض بفاحشةِ الزنا؛ طأطأ الرؤوسَ العاليةَ، وأخرسَ الألسنةَ البليغةَ، وسوَّدَ الوجوهَ البيضاءَ... فاتقوا اللهَ في أعراضكم ولا تعرضوها لاعتداءاتِ الشيطان.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٢٣٣)، ومسلم (١٣٤١) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٥)، وأحمد (١/ ٢٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٩)، وأبو يعلى (١٤٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٤٣٠)].

فالشيطانُ يعتدي على المرأةِ وعلى شرفِها:

أولاً: إذا اقتربت من الرجل.

ولذلك قال ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُـهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُـهَا**»[1].

فالشرُّ كُلُّهُ إذا اقتربتِ المرأةُ من الرجلِ، فما هذا الذي نراهُ في بلادِ المسلمينَ من وجودِ فتاةٍ جميلةٍ في رَيْعانِ شبابِها تخلو معَ رجلٍ وحدَها إما في عيادةِ طبيبٍ، وإما في مكتبِ مهندسٍ، وإما في مكتبِ تاجرٍ الساعاتِ الطويلة؟!

ثانياً: إذا سافَرَتْ وحدَها.

ولذلك قال ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلاَثِ لَيَالٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ**»[2].

وقال ﷺ: «**لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرِ الْـمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**» فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**»[3].

ثالثاً: إذا تعطرتْ وتطيبتْ وتبرجتْ وخرجَتْ لتختلطَ بالرجالِ.

ولذلك قال ﷺ محذِّراً: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٤٠).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٣٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٣٤١).

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٥١٢٦)، وأحمد (٤/٤١٨)، والحاكم (٣٤٩٧) ثلاثتهم =

رابعاً: إذا فَرَّطَ الرجلُ في عِرضِه ولم يدافعْ عنه ولم تتحركْ الغيرةُ فيه.

ولذلكَ أوجبَ الإسلامُ على الرجالِ أن يحافظوا على أعراضِهم من أي اعتداءٍ، ولو قُتِلَ الرجلُ وَهو يدافعُ عن عرضه ماتَ شهيداً.

قال ﷺ: **«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»**(١).

اللهمَّ استر عوراتنا وآمن روعاتنا.

=دون «**وكل عين زانية**»، وابن خزيمة (١٦٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٤٦) وفي «الشعب» (٧٤٣٠)، وابن حبان (٤٤٢٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٠١٩)].

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وأحمد (١/ ١٩٠)، [«صحيح الترغيب» (١٤١١)].

٢٧

الاعتداءُ الثالثَ عشرَ

اعتداءُ الشيطانِ على مساجدِ المسلمينَ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور].

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة].

الشيطانُ العدو المبين؛ اعتدى على بني آدمَ بكلِّ أنواعِ الاعتداءاتِ؛ فاعتدى على الدينِ، والعقيدةِ، والصلاةِ، والنومِ، والجسدِ ولم يكتفِ بذلكَ بل اعتدى على جماعةِ المسلمينَ ففرَّقهم فِرَقاً وأحزاباً.

ولم يكتفِ بذلك بل اعتدى على الشرفِ والعِرضِ والكرامةِ.

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمَعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذر.

وموعدُنا في هذا اليوم معَ: **الاعتداءِ الثالث عشرَ: اعتداءُ الشيطانِ على مساجدِ المسلمين.**

عبادَ الله! المسجدُ في الإسلام شأنه عظيم:

فالمسجدُ أحبُّ بقاع الأرضِ إلى الله.

قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا**»(١).

والمسجدُ مكانُ النورِ منْ صلاةٍ وذكرٍ وقراءةٍ للقرآن وعلمٍ؛ ولذلك لما قالَ اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥].

قال بعدَها مباشرةً: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾﴾ [النور].

ولذلك سارعَ المؤمنونَ الأتقياءُ إلى بيوتِ الله ليتحصلوا منها على النورِ الذي يُسعدُهم في دنياهم وأخراهم.

قال ﷺ: «**الْـمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ مؤمن**»(٢).

وقال ﷺ: «**الْـمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧١).

(٢) **حسن**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٦٧٠٢)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١٤٣)، والبزار (٢٥٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٨٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٣٠)].

والمسجدُ مَنْ أحبَّهُ وتعلَّقَ قلبُهُ به كانَ يومَ القيامة في ظل عرش الرحمن.

قال ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ**» وذكر منهم: «**وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْـمَسَاجِدِ**»(١).

والمسجدُ بيتُ اللهِ مَنْ يَعْمُرُهُ بالبناءِ أو بالصلاةِ فيه أو بحضور مجالسِ العلمِ فيه كان من المهتدين ومن المرحومين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

وقالَ ﷺ: «**ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**» -أي: عمتهم- «**وَحَفَّتْهُمُ الْـمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يُعَلِّمَهُ، كَانَ كَالْـمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله**»(٣).

فالخيرُ كُلُّهُ في المساجِدِ، وسعادةُ الدنيا والآخرةِ تكونُ في بيوتِ الله، والإصلاحُ الحقيقيُّ للفردِ والأُسرةِ والمجتمعِ والأمةِ الإسلامية يبدأُ من المسجد، ولذلك لما عَلِمَ الشيطانُ ذلك اعتدى على مساجدِ المسلمينَ بما يلي:

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) **حسن**: رواه أحمد (٢/ ٣٥٠)، والحاكم (٣١٠)، وابن حبان (٨٧)، [«التعليقات الحسان»(٨٧)].

أولاً: جعلَهم يبنونَ المساجدَ على قبورِ الأولياءِ والصالحينَ ليُعَرِّضوا أنفسَهم للعنةِ اللهِ وسَخَطِه، وليكونوا من شرارِ الخلقِ.

- قال ﷺ في مرضِهِ الذي لم يقمْ منه: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْاجِدَ**»(١).

- قالت عائشةُ رضي الله عنها: (**فَلَوْلاَ ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا**)(٢).

- وتقولُ عائشةُ وابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لَـمَّا نَزَلَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا)(٣).

- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (لَـمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رضي الله عنهما أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْـخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»)(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩) واللفظ له.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤٤٤)، ومسلم (٥٣١).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٨).

وقال ﷺ قبلَ موتِه بخمسٍ: «....**أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»[2].

ومع هذا التحذير منْ رسولِ الله ﷺ حتى في أنفاسِه الأخيرةِ من بناءِ المساجدِ على القبورِ، فقد استجابَ كثيرٌ من المسلمين بسببِ الجهلِ للشيطانِ، وبَنَوُا المساجدَ على القبورِ، ووقعوا في الشركِ بدعائهم أصحابَ القبورِ من دون الله.

والله عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

فانظرْ إلى كثيرٍ من المساجدِ التي بُنيت على القبورِ ترى الجهلةَ من المسلمين يصَلُّون فيها، ويطوفونَ فيها، ويطوفونَ بالقبرِ وهذا شركٌ، وتراهم يزعمون أنهم يصلون في هذهِ المساجدِ لله، ويذبحونَ لصاحِب القبرِ وهذا شركٌ.

وتراهم يصلون في هذه المساجدِ لله، ويدعونَ صاحبَ القبر من دون الله وهذا شركٌ.

وهذا كما قال ربُّ العزة: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١/ ٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣)، والبزار (١٧٢٤)، وابن حبان (٦٨٤٧)، [«محققو المسند»].

ثانياً: جعلهم يزهدون في بنائها والصلاة فيها.

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

ويقول ﷺ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله تَعَالَى يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْـجَنَّةِ**»[1].

وفرضَ اللهُ الصلاةَ في المساجِدِ.

- فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].
- وأتى النبيَّ رجلٌ أعمى فقال: (يَا رَسُولَ الله! إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْـمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ: «**فَأَجِبْ**»)[2].
- وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْـمُتَخَلِّفُ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٣).

فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْـمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1].

كيف لا؟

- والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ أَتَى الْـمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ**»[2].

- وقال ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلاَّهَا مَعَ الإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُه**»[3].

ومع ذلك فقد اعتدى الشيطانُ على كثيرٍ من المسلمين فجعلهم يزهدون في بناءِ المساجدِ، وإذا بَنَوْها زخرفوها وبَنوها رياءً وسمعةً حتى لا يُؤْجَروا عند الله عليها وزَهَّدهم في الصلاة فيها.

- قال ﷺ: «**مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لَا يُرِيدُ رياءً ولا سُمعة بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْـجَنَّةِ**»[4].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٧٤٤)، وابن خزيمة (٤٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٩٣)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٦٧)، وابن خزيمة (١٤٨٩)، والبزار (٤٣٧)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٠)].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٠٥)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٤)].

- وقال ﷺ: «**إِذَا زَخْرَفْتُمْ مَسَاجِدَكُمْ، وَحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ؛ فَالدَّمَارُ عَلَيْكُمْ**»[1].

- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْـمَسَاجِدِ**» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى[2].

- وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْـمَسَاجِدِ**»[3].

وها نحنُ نرى التباهيَ والتفاخرَ والتنافسَ والتسابقَ في تزيين المساجدِ وزخرفتِها وتحليتها طاعةً للشيطان، واتباعاً للهوى، ورياءً وسمعةً، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

- وأمرَ عمرُ رضي الله عنه ببناءِ المسجدِ، وقالَ: (أَكِنَّ[4] النَّاسَ مِنَ الْـمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ، أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ) وَقَالَ أَنَسٌ: يَتَبَاهَوْنَ بِهَا، ثُمَّ لاَ يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلاً[5].

---

(١) **حسن**: رواه البغوي في «شرح السنة» (٤٦٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٩٧) كلاهما عن أبي الدرداء، وسعيد بن منصور (١٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٨٣) كلاهما عن أبي هريرة، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٥١)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٨)، وأبو يعلى (٢٤٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٤١)، وقول ابن عباس: (لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) رواه البخاري (٦٢)، [«المشكاة» (٣٠)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٦٨٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، وأحمد (٣/ ١٣٤)، [«صحيح الجامع» (٧٤٢١)].

(٤) أكنَّ: أي: اجعل المسجد على صفةٍ تصونهم من المطر.

(٥) رواه البخاري (٦٢)معلقاً، ولم أجده موصولا بهذا اللفظ لكن له شواهد بالمعنى تصحح معناه.

نعم والله! نرى كثيراً منَ المساجدِ في بلادِ المسلمينَ شُيِّدت وزُخرفت ولا يصلي فيها إلا القليل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثالثاً: جعلهم يستخدمونَ المساجدَ لغيرِ ما بُنيت له.

المسجدُ بيتُ الله بُني لعبادةِ الله، وهو من أعظمِ شعائرِ الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْـمَسْجِدَ، فَهُوَ زَائِرُ اللهِ، وَحَقٌّ عَلَى الْـمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ**»[1].

وقال ﷺ للأعرابيِّ الذي بالَ في المسجدِ: «**إِنَّ هَذِهِ الْـمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»[2].

ومع كلِّ هذه الأدلةِ فقد دخلَ الشيطانُ على كثيرٍ من جَهلةِ المسلمينَ فجعلهم يستخدمونَ المساجدَ لغيرِ ما بُنيت لَه.

ومن هذه المخالفات:

١- **البيعُ والشراءُ في المسجدِ**، وهذا حرامٌ نهى عنه رسولُ الله ﷺ فقال: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْـمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لاَ أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ**»[3].

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٣٢٢)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٥).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١٣٢١)، والحاكم (٢٣٣٩)، وابن حبان (١٦٥٠)، وابن خزيمة (١٣٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٧٧)، [«صحيح الترغيب» (٢٩١)].

فكم من المسلمينَ بسببِ الجهلِ يبيعُ ويشتري في داخلِ المسجدِ وحتى إذا باع خارِج المسجدِ تراه يُشوشُ على المصلين كما هو حالُ الباعةِ أمامَ المساجدِ في هذا الزمان.

٢- **إنشادُ الضآلة في المسجد،** وهذا حرامٌ نهى عنهُ رسولُ الله ﷺ، فقال ﷺ: **«مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً »** -أي: يطلبها- **« فِي الْـمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لاَ رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا»**[١].

وجاء أعرابيٌّ بعدما صلى النبيُّ ﷺ صلاةَ الفجرِ فأدخل رأسَه من بابِ المسجد فقال: مَنْ دَعَا -أي من وجدَ فدعاني- إِلَى الْجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ وَجَدْتَ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْـمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»**[٢].

فكم من المسلمين بسبب الجهلِ في كثير من بلادِ المسلمين ينشدون ضالتهم في المساجدِ، بل ويستخدمونَ المساجدَ ومكبراتِ الصوتِ للنداءِ عن طفلٍ ضائعٍ، أو عن دابةٍ ضائعةٍ أو غيرِ ذلك مما فُقِدَ منهم، وهذا حرامٌ، فإنَّ المساجدَ لم تُبْنَ لذلك.

٣- **انطلاقُ المظاهراتِ منَ المسجدِ بعدَ صلاةِ الجمعة،** المساجدُ بُنيت لذكرِ الله، وإقامِ الصلاةِ، وقراءةِ القرآنِ، ولم تُبنَ للخروج منها على وليِّ الأمرِ المسلمِ الذي أوجبَ اللهُ علينا طاعته.

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٥٦٨).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٥٦٩).

- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء:٥٩].

- وقال ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١).

- وقال ﷺ: «**عَلَى الْـمَرْءِ الْـمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ**» -أي: لوليِّ الأمرِ المسلمِ- «**فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»(٢).

- وقال ﷺ: «**أَلاَ مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ الله فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ الله، وَلاَ يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(٣).

ولما ذَكَرَ النبيُّ ﷺ لحذيفةَ عن الأئمة الذينَ لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته قال حذيفة: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ ﷺ: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(٤).

وعقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ سلفاً وخلفاً في ولاةِ الأمر المسلمين: (ولا نرى الخروجَ على أئمتِنا وولاةِ أمورِنا، وإنْ جاروا، ولا ندعوا عليهم ولا ننزعُ يداً من طاعتِهم، ونرى طاعتَهم من طاعةِ الله عزَّ وجلَّ فريضةً ما لم يأمروا بمعصيةٍ)(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٥٥).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٧).

(٥) «شرح الطحاوية» (ص٤٢٨).

ومع كلِّ هذه الأدلةِ فقد دخلَ الشيطانُ على كثيرٍ من الحزبيين وأهلِ الأهواءِ فجعلهم يستخدمونَ المساجدَ للانطلاقِ بالمظاهرات بعد صلاةِ الجمعةِ، وهم يظنون أنهم يحسنون صُنعاً.

٤- **استخدامُ المسجدِ للعصبية الحزبية**، فكثيرٌ من الحزبيين يستخدمُ المسجدَ للدعوةِ لحزبه بل قال أحدُ الحزبيين: (المسجدُ الذي ليسَ إمامُهُ من حزبنا لم يُفتَحْ بعد).

والحزبيةُ مرضٌ خطيرٌ ودعوةٌ خبيثةٌ تُفرِّقُ الأمةَ، وهي دعوةٌ جاهليةٌ، قال ﷺ: «**وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْـجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: «**وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْـمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْـمُسْلِمِينَ الْـمُؤْمِنِينَ عِبَادَ الله**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْـجَمَاعَةَ، فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ؛ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ١٣٠)، والحاكم (١٥٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٣١)، [«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٤٨).

٥- اتخاذُهم المساجدَ دواوين للحديث في أمور الدنيا الفانية فيشوشون على المصلين، قال ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَجْلِسُونَ فِي الْـمَسَاجِدِ حلَقًا حلَقًا، إِمَامُهُمُ الدُّنْيَا، فَلا تُجَالِسُوهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ**»(١).

رابعاً: ومن اعتداءاتِ الشيطانِ على المساجدِ: أنه جعل المسلمينَ لا يهتمون بها.

الاهتمامُ بالمساجدِ من دينِنا وعبادةٌ يتقربُ بها العبدُ إلى ربِّه، ولكنَّ الناظرَ إلى كثيرٍ من المسلِمين اليوم يرى أنهم:

١- لا يهتمون بنظافةِ المساجدِ، ورسولُنا ﷺ كان يأمرُ بنظافةِ المساجد.

- تقول عائشةُ ﵂: (أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ الْـمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ) أي: القبائلِ أو الأحياءِ- (وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ)(٢).

وكان الذي يقومُ على نظافةِ المسجد في عهدِ رسولِ الله ﷺ ولو كانت امرأةً يرتفعُ منزلةً عند رسولِ الله ﷺ.

- عن أبي هريرة ﵁: (أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْـمَسْجِدَ -أي: تكنسه- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقَالُوا: مَاتتَ قَالَ: «**أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟**» -أي أعلمتوني بموتها حينَ ماتت- فَأَتَى قَبْرَها فَصَلَّى عَلَيْهِ)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٥٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١١٦٣)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٥)، والترمذي (٥٩٤)، وأحمد (٦/ ٢٧٩)، وابن حبان (١٦٣٤)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٩)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

- ومن المحافظةِ على نظافةِ المسجد أن نُنَزِّهَهُ عن الأقذارِ كالبُصاقِ والروائح الكريهةِ، قال ﷺ: «**الْبُزَاقُ فِي الْـمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»[(1)].

- (ورَأَى النبيُّ ﷺ فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا، أَوْ بُصَاقًا، أَوْ نُخَامَةً فَحَكَّهُ)[(2)] بأبي هو وأمي ﷺ.

- وقال ﷺ: «**مَنْ تَفَلَ تِجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ**»[(3)].

- وقال ﷺ: «**يُبْعَثُ صَاحِبُ النُّخَامَةِ فِي الْقِبْلَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهِيَ فِي وَجْهِهِ**»[(4)].

- وقال ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا، أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا، وَلِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ**»[(5)].

فليتقِّ اللهَ الذين يأتون إلى المسجدِ، وتنبعثُ منْ أفواهِهم رائحةُ البصلِ والثومِ والدخانِ، وتنبعثُ من أجسادهم رائحةُ العرق، وتنبعثُ من أقدامِهم رائحةُ النتَن فيؤذون عبادَ الله والملائكة.

والله عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠٧)، ومسلم (٥٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٢٤)، وابن خزيمة (٩٢٥)، وابن حبان (١٦٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٧٦)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٤)].

(٤) **صحيح**: رواه ابن خزيمة (١٣١٣) واللفظ له، والبزار (٥٩٠٤)، وابن حبان (١٦٣٨)، [«صحيح الترغيب» (٢٨٥)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٥٩)، ومسلم (٥٦٤).

٢- لا يهتمون بوضعِ الإمامِ المناسبِ، والنبيُّ ﷺ يقول: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**»(١).

وقال ﷺ: «**إِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا**»(٢).

فإمامُ المسجدِ يجبُ أن يكونَ اقرأَ الناسِ لكتابِ الله، وأحفظَ الناس، وفقيهاً بالسنةِ، وصاحبَ عقيدةٍ سليمة حتى ينتفعَ الناسُ به.

وإذا نظرنا إلى كثيرٍ ممن يبنونَ المساجدَ -إلا من رحم ربي- تراهم يبحثونَ فقط عن صاحبِ الصوتِ الجميلِ، وإن كانَ من أفسدِ الناسِ عقيدةً، ومن أجهلِ الناس فقهاً أو يبحثون عن الإمامِ الذي هو من حزبهم أو من طريقتِهم ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

٣- لا يهتمون بتطهيرِ المساجدِ من البدعِ والشركيات، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج].

فيجبُ على المسلمينَ أن يُطَهِّروا المساجد من كُلِّ مظاهرِ الشركِ ومن كل سببٍ يوصلُ إلى الشرك.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٠٢).

وكذلك يجبُ على المسلمينَ أن يطهروا المساجدَ من البدع استجابةً لقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[1].

وقال ﷺ: «....**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ**»[2].

وقال الإمامُ مالكٌ: (من ابتدعَ في الإسلام بدعةً ويراها حسنةً؛ فقد زعم أنّ محمدًا ﷺ خانَ الرسالةَ ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة:٣]؛ فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكونُ اليوم دينًا)[3].

وقال أبو إدريسَ الخولاني: (لَأَنْ أرى في المسجد ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ مِنْ أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها)[4].

ولم يكتفِ الشيطانُ بالاعتداءِ على المساجدِ التي هي أحبُّ بقاع الأرض إلى الله عزّ وجلّ، بل اعتدى على أسواق المسلمين التي هي أبغضُ بقاعِ الأرضِ إلى الله.

فكيف اعتدى الشيطانُ على أسواق المسلمين؟

هذا الذي سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)]، وزاد الألباني في «صلاة التراويح» (٨٦): «**وكل ضلالة في النار**» عن جابر ووردت لدى «النسائي» (١٥٧٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٨٩).

(٣) **الابتداع** (١٧١).

(٤) **صحيح**: رواه المروزي في «السنة» (٩٩)، وابن وضاح في «البدع» (٨٦)، [«الآثار الصحيحة» (١٢٣)].

٢٨

الاعتداءُ الرابعَ عشر

اعتداءُ الشيطانِ على أسواقِ بني آدمَ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء].

الشيطانُ عدوٌ مبينٌ لبني آدمَ، أعلنَ الحربَ عليهم، وقادَ المعركةَ بنفسِه مستخدماً جميعَ الأساليبِ الخبيثةِ في معركتِه لإضلالِهم وإهلاكهم، ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يعتدي عليهم بكلِّ الاعتداءاتِ والتي منها:

- الاعتداءُ على دينِ الإنسانِ وعقيدتِه:
- الاعتداءُ على صلاةِ الإنسانِ.
- الاعتداءُ على نومِ الإنسانِ.
- الاعتداءُ على جسدِ الإنسانِ بالمسِّ والصَّرعِ والسِّحرِ.

- الاعتداءُ على جماعةِ المسلمينَ لتفريقهم.

- الاعتداءُ على الشرفِ والعِرْضِ والكرامةِ.

- الاعتداءُ على المساجدِ: بيوتِ الله.

وقد تكلمنا عن هذه الاعتداءاتِ في الجُمعِ الماضيةِ فكونوا منها على حذرٍ!

وموعدُنا في هذا اليومِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع: **الاعتداءُ الرابعَ عشر: اعتداءُ الشيطانِ على أسواقِ بني آدم.**

• الإنسانُ بطبيعتِه وفطرتِه يُحبُّ المالَ، والمكانُ الذي يَجمَعُ الإنسانُ منه المالَ غالباً هو السوقُ، والسوقُ هو المكانُ الذي ينصُبُ الشيطانُ فيه رايتهُ، فتعالَوا بنا لنتعرفَ على اعتداءاتِ الشيطانِ على بني آدم في الأسواقِ.

أولاً: اعلموا عبادَ الله أنَّ السوقَ هو: اسمٌ لكلِّ مكانٍ وقعَ فيه التبايُعُ بينَ من يتعاطى البيعَ(١).

وكثرةُ الأسواقِ كما نراها اليومَ وفُشُوُّ التجارةِ من أشراطِ الساعةِ.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْـهَرْجُ**» قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ**»(٢).

وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: تَسْلِيمَ الْـخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْـمَرْأَةُ زَوْجَهَا**»(٣).

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٤٢).

(٢) **صحيح**: هذا اللفظ رواه أحمد (٢/ ٥١٩)، وابن حبان (٦٧١٨)، وهوعند البخاري دون ذكر الأسواق.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٩)، وأحمد (١/ ٤٠٧)، والحاكم (٧٠٤٣)، [«السلسلة =

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْـمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ**»[(١)].

وقد وقعَ هذا فكَثُرتِ التجارةُ، وشاركتْ فيها النساءُ، حتى أصبح كثيرٌ منهنَّ سيداتِ أعمالٍ! وافتُتِنَ الناسُ بجمعِ المال، وتنافسوا فيه، وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنه لا يخشى على هذه الأمةِ الفقرَ، وإنما يخشى عليها أن تُبْسَطَ عليهمُ الدنيا فيقعَ بينهمُ التنافسُ فيها.

ففي الحديثِ أنه ﷺ قال: «**فَوَ اللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم**»[(٢)].

ثانياً: واعلموا أيضاً أنَّ الأسواقَ هي أبغضُ البقاعِ إلى الله، ففيها الغِشُّ والخداعُ والأيْمانُ الكاذبةُ، والإعراضُ عن ذكرِ الله، وفيها ينصُبُ الشيطانُ رايتهُ، وفيها يبيضُ ويُفَرِّخُ، وفيها مَرَدَةُ الشياطينِ من الجنِّ والإنسِ.

قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**»[(٣)].

أتدرون لِمَ يا عبادَ الله؟

=الصحيحة» (٦٤٧)].

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٤٤٥٦)، وأحمد (٢/ ٩)، والحاكم (٢١٤٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٦٦٤)، [«صحيح سنن النسائي» (٤٤٥٦)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧١).

١- **لأنَّ الأسواقَ معركةُ الشيطانِ،** قال سلمانُ ﵁: (لاَ تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ)(١).

٢- لأنَّ الأسواقَ مبيضُ الشيطانِ ومُفَرَّخُهُ:

- عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: قَالَ لِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: (إِنَّ السُّوقَ مَبْيَضُ الشَّيْطَانِ وَمَفْرَخُهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْت أَنْ لاَ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُهَا، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا فَافْعَلْ) (٢).

- وقال سفيانُ الثوريُّ في وصيتِه الطويلةِ لعليِّ بنِ الحسَن المَسْلَميِّ: وفيها: (...وأقِلَّ دخولَ السوقِ؛ فإنهم ذئابٌ عليهم ثيابٌ، وفيها مَرَدَةُ الشياطين من الجنِّ والإنس...)(٣).

ولما كانتِ الأسواقُ هي أبغضُ البقاعِ إلى الله، وفيها مردةُ الشياطين من الجنِّ والإنسِ، جاءَ النصحُ والتحذيرُ من رسولِ الله ﷺ لكلِّ من دخلَ السوقَ عامةً، وللتجارِ خاصةً.

- قال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ! إِنَّ الشَّيْطَانَ وَالإِثْمَ يَحْضُرَانِ الْبَيْعَ، فَشُوبُوا بَيْعَكُمْ بِالصَدَقَةِ**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٤٥١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٣٨).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٨٤).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (١٢٠٨) واللفظ له، والنسائي (٣٧٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٥٨/ رقم (٩١٥)، [«صحيح الجامع» (٧٩٧٣)].

- وقال ﷺ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

- وقال ﷺ: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ**»(٢).

- وقال ﷺ: «**إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! أَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ الله الْبَيْعَ؟ قَالَ: «**بَلَى؛ وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ، وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ**»(٣).

ومع هذا النصحِ والتحذيرِ فكم من التجارِ اعتدى عليه الشيطانُ وفتنهُ وأصبحَ عبداً للدينارِ، فلا همَّ له إلا أن يجمعَ المالَ من حِلِّه ومن غيرِ حِلِّهِ.

وكانَ مالكُ بنُ دينارٍ يقولُ: (السوقُ مَكْثَرَةٌ للمالِ، مَذْهَبَةٌ للدِّين)(٤).

ثالثاً: واعلموا أيضاً يا عبادَ الله! أنَّ الأسواقَ مكانُ الفتنِ، ومن فتنِ الأسواقِ في زمانِنا:

- فتنةُ النساءِ:

لا شكَّ أن أعظمَ فتنةٍ هي فتنةُ النساءِ.

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٢٠٩) عن أبي سعيد الخدري، والحاكم (٢١٤٣) عن ابن عمر، [«صحيح الترغيب» (١٧٨٢) عن أبي سعيد].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (١٢١٠)، وابن ماجه (٢١٤٦)، والدارمي (٢٥٣٨)، [«صحيح الترغيب» (١٧٨٥)].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٤٤٤)، والحاكم (٢١٤٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٠٥)، [«صحيح الترغيب» (١٧٨٦)].

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٥).

- قال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١).

- وقال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(٢).

- وقال ﷺ: «**الْـمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ**»(٣).

أي: إذا خرجتِ المرأةُ من بيتِها زيَّنها الشيطانُ في أعينِ الرجالِ ولذلك قال ﷺ: «**إِنَّ الْـمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ**»(٤).

ومن فتنِ النساءِ في أسواقِنا اليومَ:

١- الخَلْوَةُ:

فكم من رجلٍ خلا بامرأةٍ في السوقِ، وكم من صاحبِ محلٍّ خلا بامرأةٍ في محَلِّه.

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(٥).

٢- التبرجُ:

فكم مِن امرأةٍ تَبرجَتْ وتطيَّبَت وتزيَّنت وخرجت إلى السوق.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (١١٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٩٤٨١)، والبزار (٢٠٦١)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٦)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٠٣).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٧)، وأحمد (١/ ١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٩)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٦)].

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**»(١).

٣- الخضوعُ في القول.

فكم من امرأةٍ إذا دخلتِ السوقِ، وتكلمتْ معَ الرجالِ خضعَتْ في القولِ، ورقَّقتْ من صوتِها فَفَتَنَتْ من كان في قلبه مرضٌ.

واللهُ عز وجل يقولُ للنساءِ: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب:٣٢].

٤- خلعُ الثيابِ وتبديلُها داخلَ المحلاتِ التجارية.

فكم منِ امرأةٍ ذهبت إلى السوقِ، وخلعتْ ثيابَها داخلَ محلاتِ الملابس.

والنبيُّ ﷺ يقول: «**مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا فِى غَيْرِ بَيْتِهَا إِلاَّ هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى**»(٢).

وهناكَ ممن لا خلاقَ لهم من التجارِ من يضعُ كاميراتِ التصويرِ داخلَ هذه الغرفِ ليلتقطَ للفتاةِ صوراً وهي عاريةٌ، ثم يقومُ بعدَ ذلك بتهديدِها بهذهِ الصورِ إذا لم تلبِّ له طلبَه!

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي (٥١٢٦)، وأحمد (٤/ ٤١٣)، والحاكم (٣٤٩٧)، وابن خزيمة (١٦٨١) واللفظ له[«صحيح الترغيب» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٠١٠)، [«صحيح الجامع» (٥٦٩٢)].

٥- مصافحةُ الرجالِ للنساء.

فكم منَ النساءِ اليومَ تذهبُ إلى السوقِ وحدَها تصافحُ هذا، وتمازحُ ذاك.

والنبيُّ ﷺ يقول: «**لأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لا تَحِلُّ لَهُ**»(١).

ومن فتنِ الأسواقِ أيضاً: فتنةُ المال.

كيف لا؟

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن:١٥].

والنبيُّ ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْـمَالُ**»(٢).

والإنسانُ بطبيعتِه وفطرتِه يحبُّ المالَ حبًّا شديداً، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠﴾ [الفجر].

ولما كانَ المالُ فتنةً، والإنسانُ بطبيعتِه يحبُّ المال، دخلَ الشيطانُ على كثيرٍ من التُجَّارِ من مدخلِ حبِّ المالِ، فجعلهم يفتتنونَ بالمالِ؛ فيجمعونَهُ من حِلِّهِ ومنْ غيرِ حِلِّهُ، فأوقعَهم فيما حَرَّمَ اللهُ؛ ومن ذلك:

---

(١) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢١٢/ رقم (٤٨٦))، [«صحيح الترغيب» (١٩١٠)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٧٩/ رقم (٤٠٤))، والحاكم (٧٨٩٦)، وابن حبان (٣٢٢٣)، [«السلسلة الصحيحة» (٥٩٢)].

١ - إنفاقُ السلعةِ بالحَلْفِ الكاذب.

فكم من تاجرٍ يحلفُ في بيعِهِ أو شرائه الأيمانَ الكاذبةَ، والنبيُّ ﷺ يقولُ مُحَذِّراً من ذلك: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ: «**الْـمُسْبِلُ وَالْـمَنَّانُ وَالْـمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْـحَلِفِ الْكَاذِبِ**»[١].

وقال ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَةً، لا يَشْتَرِي إِلا بِيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ**»[٢].

٢ - الغِشُّ والمكرُ والخِداع.

فكم من تاجرٍ غَشَّ ومكرَ وخدعَ في بيعِه وشرائِه.

والنبيُّ ﷺ يقول: « **مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ** »[٣].

٣- الوقوعُ في جريمةِ الربا.

كم من تاجرٍ وقعَ في الربا وهو يدري أو لا يدري، وأكثرُهم يدري، ولكنَّه اتبعَ هواهُ، وأطاعَ شيطانَه فعَرَّض نفسَه لسَخَطِ اللهِ وغضبِه.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١١)، وفي « الصغير» (٨٢١)، [«صحيح الترغيب» (١٧٨٨)].

(٣) **حسن صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٣٤)، وفي «الصغير» (٧٣٨) وابن حبان (٥٥٥٩)، [«صحيح الترغيب» (١٧٦٨)] وورد في مسلم (١٠١) دون قوله: (وَالْـمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ) .

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقولُ مهدِّداً ومحذِّراً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

كيف لا؟

والرسول ﷺ يقولُ: «**دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً**»[1].

ويقولُ ﷺ: «**الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا؛ أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ**»[2].

ويقول ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**»[3].

فأبشروا يا من تأكلونَ الربا بالفقرِ وخرابِ الديارِ.

٤ - الوقوعُ في النَّجَشِ.

والنجشُ هو: أن يزيدَ في السلعةِ مَنْ لا يريدُ شِراءَها، ليقتديَ به المشتري، فيظنُّ أنه لم يزد فيها هذا القدْرَ إلا وهي تساويه، فيغترُّ بذلك؛ فهذا حرامٌ وخداعٌ[4].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٢٥٢)، والبزار (٣٣٨١)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٢٩)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥٥)].

(٢) **صحيح لغيره**: رواه الحاكم (٢٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣١)، [«صحيح الترغيب» (١٨٥١)].

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢٢٧٩)، [«صحيح الترغيب» (١٨٦٣)].

(٤) «لسان العرب» (٦/ ٣٥١).

قال البخاري: وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى: (النَّاجِشُ آكِلُ رِبًا خَائِنٌ، وَهْوَ خِدَاعٌ بَاطِلٌ لاَ يَحِلُّ)[1].

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ: «**نَهَى عَنِ النَّجْشِ**»[2].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**لاَ تَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلاَ يَبِـعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِـعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ**»[3].

(لأن في ذلك تغريراً بالمشتري وخديعةً له)[4].

وهذا حرامٌ في شريعة الإسلام.

رابعاً: واعلموا يا عبادَ الله أيضاً أنَّ دخولَ الأسواقِ مباحٌ في دينِنا، دلَّ على ذلك الكتابُ والسنةُ وفعلُ الصحابةَ رضي الله عنهم.

أما الكتابُ:

ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٦٧٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٩٦٣)، ومسلم (١٥١٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢١٥٠)، ومسلم (١٥١٥) واللفظ للبخاري.

(٤) المغني (٦/ ٣٠٤).

وأما في السنة:

فعن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**». فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ! قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**». قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(١).

ومن صفتِه ﷺ: «**لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ**»(٢).

وعن أُسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما قال: (**دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِلاَلٌ الأَسْوَاقَ فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ...**) الحديث(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**». قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٤).

فمن الحديثين يتبينُ لنا أن رسولَ الله ﷺ كان يدخلُ الأسواق، وكان يأمُر التجّارَ بالمعروفِ وينهاهم عن المنكر حتى لا يكونوا فريسةً للشيطان.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢١٢٥).

(٣) **حسن**: رواه النسائي (١٢٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٣١)، وابن خزيمة (١٨٥)، [«صحيح سنن النسائي»].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢).

وأما فعلُ الصحابةِ رضي الله عنهم.

- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْـمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا - أَوْ مَا شَاءَ اللهُ- فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ[1] مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**مَهْيَمْ؟**»[2] قَالَ: يَا رَسُولَ الله تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ: «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**» قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[3].

وهذا كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه حينَ هجرَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم والمسلمون لتخلُّفِهِ عن غزوةِ تبوك يقول: (وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ) -أي: أصغرَهم سناً- (وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ) إلى أن قال رضي الله عنه: (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْـمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ) -أي: فلاح- (مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْـمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ)[4].

---

(١) الوَضَرُ: طيب له لون وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

(٢) مَهْيَمْ: تعني: ما أمرُك وشأنك؟ وهي كلمة يمانية.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٠٤٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الشاهدُ أن كعبَ بنَ مالكٍ ﷺ رغمَ الحالةِ التي كان عليها فقد كانَ يخرجُ إلى السوق.

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ يَخْرُجَانِ إِلَى السُّوقِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ يُكَبِّرَانِ وَيُكَبِّرُ النَّاسُ بِتَكْبِيرِهِمَا[١].

وقال أبو هريرة ﷺ: (إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الْـمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ[٢] بِالأَسْوَاقِ)[٣].

وهذا الفاروقُ عمرُ ﷺ كان يتاجرُ في السوقِ مما جعلَهُ يغيبُ عن بعضِ مجالسِ العلمِ مع النبيِّ ﷺ فغابتْ عنه بعضُ السنن، فلما علمها قال: (خَفِيَ عَلَيَّ هَذَا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ! أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ)[٤].

وعن أبي مسعودٍ ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالصَّدَقَةِ، فَمَا يَجِدُ أَحَدُنَا شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ حَتَّى يَنْطَلِقَ إِلَى السُّوقِ، فَيَحْمِلَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَجِيءَ بِالْـمُدِّ فَيُعْطِيَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِنِّي لأَعْرِفُ الْيَوْمَ رَجُلاً لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ مَا كَانَ لَهُ يَوْمَئِذٍ دِرْهَمٌ)[٥].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري معلقاً مجزوما به ، ووصله عبد بن حميد كما في « فتح الباري» (٢/ ٣٨١) ، [«إرواء الغليل» (٦٥١)].

(٢) الصَّفْقُ أي التبايع.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (١١٨)، (٧٣٥٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٥٣)، ومسلم (٢١٥٣).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٦٩)، والنسائي (٢٥٢٩) واللفظ له، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٠٢/ رقم (٥٤٠).

فكانت الأسواقُ إحدى وسائلِ الربحِ، وقد باركَ اللهُ فيها لكثيرٍ من الصحابةِ رضي الله عنهم.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْـمُسَيِّبِ: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَرَّ بِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ وَهُوَ يَبِيعُ زَبِيبًا لَهُ بِالسُّوقِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِمَّا أَنْ تَزِيدَ فِي السِّعْرِ، وَإِمَّا أَنْ تُرْفَعَ مِنْ سُوقِنَا)(١).

وهذا فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يستنكفونَ عن البيعِ مهما كان البيعُ بسيطاً، وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه وهو خليفةُ المسلمين يمر بالسوق لمراقبةِ التجارِ، والتأكدِ من عدمِ التلاعبِ بالأسعار.

فالتجارةُ حلالٌ، ودخولُ الأسواق مباحٌ.

كيف لا؟

والله عز وجل يقول: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

ولكنَّ اللهَ عز وجلَّ حَرَّمَ الرِّبا، والغِشَّ والمكرَ والخداعَ والأَيْمانَ الكاذبة وغيرَها من منكراتِ الأسواقِ.

• كيفَ يُحَصِّنُ المسلمُ نفسَه منِ اعتداءاتِ الشيطان في الأسواقِ؟.

هذا الذي سنعرفه في الجمعةِ القادمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى إن كان في العمر بقية.

---

(١) رواه مالك (١٣٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٩).

٢٩

كيف يحفظُ المسلمُ نفسَه مِن اعتداءاتِ الشيطانِ في الأسواق؟

عبادَ الله! الشيطانُ للإنسانِ عدوٌ مبين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف].

وهذا العدوُّ المبينُ ما تركَ اعتداءً يقدرُ عليه إلا اعتدى به على بني آدم، حتى أنه اعتدى على شرفِهم وكرامتِهم وأَعراضِهم، واعتدى أيضاً على مساجدِهم، واعتدى أيضاً على أسواقِهم فزينَ لهمُ الحرامَ حتى أوقعهم في معصيةِ اللهِ في أسواقِهم. فجمعوا المالَ من الحرامِ اتباعاً للهوى، وطاعةً للشيطانِ.

وقلنا في الجمعةِ الماضيةِ: إنَّ البيع حلالٌ، ودخولَ الأسواقِ مباحٌ ولكن:

كيف يحفظُ المسلمُ نفسَه من اعتداءاتَ الشيطانِ في الأسواقِ إذا دخلَ الأسواقَ للبيعِ أو للشراءِ؟

أولاً: أن يكثرَ من ذكرِ الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٧].

والمنافعْ في الآية هي التجارةُ وغيرُها.

وقال ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**»[1].

أجرٌ عظيمٌ لمن ذكر اللهَ في مكان الغفلةِ.

ولذلك كان من الصحابةِ من يأتي السوقَ لذكرِ الله حالَ الغفلةِ من غير حاجةٍ للسوقِ.

- يقولُ ابنُ عمرَ ﭭ: (إِنْ كُنْت لأَخْرُجُ إِلَى السُّوقِ وَمَا لِي حَاجَةٌ إِلاَّ أَنْ أُسَلِّمَ وَيُسَلَّمَ عَلَيَّ)[2].

- و عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ: الْتَقَى رَجُلاَنِ فِي السُّوقِ، فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: يَا أَخِي! تَعَالَ نَدْعُ اللهَ وَنَسْتَغْفِرْهُ فِي غَفْلَةِ النَّاسِ لَعَلَّهُ يَغْفِرُ لَنَا، فَفَعَلا، فَقُضِي لأَحَدِهِمَا أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ صَاحِبِهِ، فَأَتَاهُ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: يَا أَخِي! أَشْعَرْت أَنَّ اللهَ غَفَرَ لَنَا عَشِيَّةَ الْتَقَيْنَا فِي السُّوقِ[3].

---

(١) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٢٨)، والدارمي (٢٦٩٢)، والحاكم (١٩٧٤)، [«صحيح الترغيب» (١٦٩٤)].

(٢) رواه ابن أبي شيبة (٢٥٧٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٢٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٣٥٦٩٢)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٢٠).

ولذا قال حميدُ بن هلالٍ: (مَثَلُ ذاكرِ اللهِ في السوقِ كمثل شجرةٍ خضراءَ وسطَ شجرٍ ميتٍ)(١).

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقول: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْـمَيِّتِ**»(٢).

فاحذرْ يا عبدَ اللهِ إذا دخلتَ السوقَ أن تكونَ من الغافلين، فإنَّ الأسواقَ هي محلُّ الشياطينِ، والشياطينُ تعتدي على الغافِلِ عن ذكرِ الله.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾**﴾ [الزُّخرُف].

وقال تعالى: ﴿**ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ**﴾ [المجادلة:١٩].

ولذلك يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿**وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾**﴾ [الأعراف].

ثانياً: أن يبذلَ السلامَ على مَنْ عرفَ ومَنْ لم يعرفْ من المسلمين.

- لقوله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ بِسَلاَمٍ**»(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٥٢)، أحمد في «الزهد» (١٩٥٣).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، [«صحيح الترغيب» (٩٤٩)].

- وقولِه ﷺ: «**السَّلاَمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى، وَضَعَهُ فِي الأَرْضِ، فَأَفْشُوه بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْـمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ؛ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ وَدَرَجَةٌ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمُ السَّلاَمَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ**»(1). وهم الملائكة.

- وقوله ﷺ: «**لاَ تَدْخُلُوا الْـجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ**»(2).

وذلك لأن في إفشاءِ السلامِ الأجرَ الكثير ومغفرةَ الذنوب؛ قال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْـمَغْفِرَةِ بَذْلَ السَّلامِ، وَحُسْنَ الْكَلامِ**»(3).

ولذلك لما قيل لابن عمرَ: مَا تَصْنَعُ بالسُّوقِ، وَأَنْتَ لا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلاَ تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تَجْلِسُ في مَجَالِسِ السُّوقِ؟ فقالَ رضي الله عنهما: (إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلاَمِ، فنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيْنَاهُ)(4).

ليتحصل على هذا الأجرِ.

---

(1) **حسن صحيح**: رواه البزار في (١٧٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٤٠٣)، [«صحيح الترغيب» (٢٧٠٥)]

(2) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤).

(3) **صحيح**: رواه الحاكم (٤٩٠)، الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٨٠/ رقم (٤٦٩))، [«صحيح الترغيب» (٢٦٩٩)].

(4) **صحيح**: رواه مالك (١٧٢٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٩٠)، [«صحيح الأدب المفرد»].

وهناك من المحرومين من الأجر بسببِ الجهلِ أو العصبيةِ الجاهليةِ؛ من إذا دخلَ السوقَ لا يُسلِّمُ إلا على من عرفَ فقط.

- والنبيُّ ﷺ يقولُ لرجلٍ سأله: أيُّ الإسلام خير؟ «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(١).

- وعن عمرانَ بن حصينٍ رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ ﷺ: «**عِشْرُونَ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**ثَلاثُونَ**»(٢).

والسلامُ على المعرفة فقط مِنْ علاماتِ الساعة.

- قال ﷺ: «**مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ فِي الْـمَسْجِدِ لا يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَأَنْ لا يُسَلِّمَ الرَّجُلُ إِلا عَلَى مَنْ يَعْرِفُ**»(٣).

فهل يوجدُ يا عبادَ الله في هذا الزمانِ في مساجدِنا وأسواقِنا وشوارِعِنا من يُسلِّمُ على من يعرفُهُ فقط؟

الجواب: نعم.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٩٥)، والترمذي (٢٦٨٩)، وأحمد (٤/ ٤٣٩)، [«صحيح الترغيب» (٢٧١٠)].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٩٤٨٩)، وابن خزيمة (١٣٢٦)، [«صحيح الجامع» (٥٨٩٦)].

إذاً فقد أزفتِ الآزفةُ، واقتربَ الوعدُ الحق، ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء].

ثالثاً: أن يتركَ الخصامَ والصياحَ ورفعَ الأصواتِ.

فهذه من الأمورِ التي يُبغضُها الله عز وجل، وهي مدخلٌ من مداخلِ الشيطانِ.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جعْظَرِيٍّ[١] جوَّاظٍ[٢] سَخَّابٍ[٣] فِي الأَسْوَاقِ، جِيفَةٌ بِاللَّيْلِ، حِمَارٌ بِالنَّهَارِ، عَالِمٌ بِالدُّنْيَا، جَاهِلٌ بِالآخِرَ**»[٤].

وأما في زمننا حيثُ فسدَ الناسُ، وانتشرَ فيهمُ الجهلُ، وقلَّ فيهم مراقبةُ اللهِ إلا مَنْ رحمَ ربي، فما أكثر السَّخَبَ والسخطَ في الأسواقِ، والمهاتراتِ والمشاجراتِ، بل ربما وصلَ ببعضهم الحدُّ إلى سفكِ دمِ أخيه المسلمِ من أجلِ كلمةٍ قالها، أو صوتٍ رفعه عليه.

وقد حذَّرَ رسولُ الله ﷺ من المنازعاتِ والخصوماتِ ورفع الأصواتِ التي تقع في الأسواقِ.

---

(١) الجعظري: هو الفظ الغليظ الذي يتمدح بما ليس فيه.

(٢) الجواظ: المختالُ في مشيته، وقيل هو الأكول، وقيل الفاجر.

(٣) السخّاب: هو الذي يرفعُ صوته.

(٤) **صحيح**: رواه ابن حبان (٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٩٥)].

فقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ»[1].

كيف لا؟

ورسولنا ﷺ صاحبُ الخلقِ العظيم، فقد وصفه الله في القرآنِ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ووصفه في التوراةِ أيضاً بهذا الخلق، عن عطاءِ بن يسارٍ قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنه قلتُ: أخبرْني عن صفةِ رسولِ الله ﷺ في التوراةِ قال: (أَجَلْ وَالله، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْـمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ الله حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا)[2].

وسئلت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها عن خُلقِ رسول الله ﷺ فقالت: (لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا سَخَّابًا[3] بِالْأَسْوَاقِ)[4].

فيا أيها المسلم إذا دخلتَ الأسواقَ، فتأسَّ برسولِ الله ﷺ ولا تكن سخّاباً في الأسواق.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢١٢٥).

(٣) النصال: جمع النصل وهو حديدة السهم.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٠١٦)، وأحمد (٦/ ١٧٤)، والطيالسي (١٦٢٣)، [«المشكاة» (٢٠)].

رابعاً: أن لا يؤذي أحداً من المسلمين بلسانه أو بسلاحه.

- لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب].

ولقوله ﷺ: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا**(١) -أَوْ قَالَ فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ- **أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ**»(٢).

ويُقاسُ على النَّبلِ غيرُها من سائرِ الأسلحةِ، وخاصةً في هذا الزمنِ الذي تعددتِ الأسلحةُ فيه، وكثُرَ حملُ الناسِ لها، مع ما فيها من الخطرِ المحَقَّقِ، وخاصة عند مزاحمةِ الناسِ.

خامساً: أن يكونَ ناصحاً للمسلمينَ في بيعِه وشرائه.

فالنصيحةُ تؤلِّفُ القلوبَ، وتغلقُ الأبوابَ أمام شياطين الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ [التوبة].

وعن تميم الدَّارِيِّ رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(٣).

(١) السَّخَب والصَّخَب: الصِياح واختلاط الأصوات.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٥).

وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**حَقُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ سِتٌّ**». فذكر منها: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»(١).

وعن جريرِ بنِ عبدِ الله ﷺ قال: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ)(٢).

ومن النصح: الصدقُ والبيانُ وعدمُ الكتمانِ لعيب السلعة، فقد جعلَ النبيُّ ﷺ ذلكَ من أسبابِ البركةِ في البيعِ والشراءِ.

فقال ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَـهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(٣).

سادساً: أن يكونَ سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، آمراً بالمعروفِ ناهياً عن المنكر.

لقوله ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى**»(٤).

ولأن الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ من أجلِّ صفاتِ المؤمنين الصادقين.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٦٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري(٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٢٠٧٦)، وابن ماجه (٢٢٠٣) واللفظ له.

قال تعالى في وصفهم: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة].

فالتاجرُ إذا كانَ سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فإنَّ اللهَ سيرحمُه ويرحمُ الأمةَ الإسلاميةَ، كما جاء في الحديث «رحمَ الله» وفي الآية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة:٧١].

فاتقوا الله يا معشرَ التجارِ في أنفسِكم وفي تجارتِكم لعلكم ترحمون.

سابعاً: أن يبتعدَ عن الغشِّ بكلِّ أشكالهِ وأنواعهِ.

لقوله ﷺ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!**» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

ثامناً: أن يبتعدَ عن الغدرِ والخيانةِ وتطفيفِ الميزانِ.

فإنَّ الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [النحل].

وذلك لأن الخيانةَ والغدرَ، وعدمَ الوفاءِ بالعهودِ والعقودِ، مما يُفقِدُ الثقةَ بينَ الناسِ، فيحصلُ من الشَّرِّ ما لا يعلمُه إلا الله، ولشدةِ عنايةِ الإسلامِ بالعقودِ والعهودِ، أوجبَ الإشهادَ على ذلك؛ حِفاظاً على أموال الناس، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ﴾ [البقرة:٢٨٢].

وأما بالنسبة للمكيال والميزان؛ فقد أثنى اللهُ على الموفين لهما.

فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الإسراء].

وحَذَّرَ من بخسِهما ونقصهما.

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾ [هود:٨٤].

وقال تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود].

وتوعَّدَ المطففين بالعذابِ المهين يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطفِّفين].

وها نحن بعد أيامٍ نستقبلُ شهرَ رمضانَ وفيه تكثرُ الأسواقُ، ويكثرُ الذهابُ إليها ويكثرُ البيع والشراء.

فنقولُ للتجارِ: اتقوا اللهَ في أنفسكم، واتقوا الله في الناس، ونقولُ للذاهبين إلى الأسواق: اتقوا اللهَ في أنفسكم واعلموا أن الأسواقَ أبغضُ البقاعِ إلى الله، فمن دخلها لحاجته فإذا انتهى فليسارع إلى الخروج منها.

واحذرْ يا عبدَ الله أن تكونَ أولَ الداخلين إلى السوق أو آخرَ الخارجين منه، فإن السوقَ فيه يبيضُ الشيطانُ وَيُفَرِّخُ.

أسألُ اللهَ العظيمَ أن يحفظَنا وإياكم من اعتداءاتِ الشيطانِ.

وبهذا نكون قد انتهينا من اعتداءاتِ الشيطانِ على بني آدمَ، وسنبدأ بالحديث عن كيف يُحَصِّنُ المسلمُ نفسَهُ منَ الشيطان بإذن الله؟

٣٠

تحصيناتُ الإنسانِ ضدَّ الشيطانِ

الحصنُ الأولُ

معرفةُ صفاتِ الشيطانِ

عبادَ الله! يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب].

أرسلَ اللهُ عز وجل رسولَهُ محمداً ﷺ بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً، وأمرهُ أن يبشرَ المؤمنين الصادقين بالجنةِ والنعيمِ المقيمِ.

فَقالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة:٢٥].

وأمرهُ كذلك أن يبشرَ الكافرين المعاندين بالنار والعذاب الأليمِ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

وإبليسُ عليه لعنةُ اللهِ منَ الكافرين، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

فإبليسُ من المبشرينَ بالنارِ، بل هو زعيمُ أهلِ النارِ الذي يدعوهم بالليلِ والنهارِ ليكونوا معهُ في النار، ولذلكَ بشرَ اللهُ إبليسَ ومن تبعهُ بالنارِ.

فقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء].

إلى أن قال ربُّ العزةِ: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وإبليسُ هو العدوُّ المبينُ للإنسانِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف].

وقد حذّرَ اللهُ بني آدمَ من هذا العدوِّ المبين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

وكلامنا في هذا الكتاب سيكون عن تحصيناتِ الإنسانِ ضدَّ هذا الشيطانِ العدوِّ المبينِ أي: كيف يكون المسلمُ في حصنٍ حصينٍ منَ الشيطانِ الرجيم؟

وأخذنا كلمةَ «**حصنٌ حصينٌ**» من كلامِ النبوةِ.

من قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ**» وذكر منها: «**وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ**

طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ[1]، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ[2] نَفْسَهُ فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ»[3].

ومن قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْـمُلْكُ وَلَهُ الْـحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[4].

ولابدَّ منْ معرفةِ هذا العدو وصفاتِهِ، فنقول بعد الإستعانة بالله:

أولاً: هذا العدوُّ وهو إبليسُ من الجن:

قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

والجنُّ خُلِقت قبلَ الإنس.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٦﴾ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر].

والجنُّ خُلِقت من النار.

(١) في أثره: أي في عقبه.

(٢) فأحرز نفسه: أي حصنها وحفظها.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن حبان (٦٢٣٣) واللفظ له، [«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ من خالص النار(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الحجر].

وإبليسُ يُقرُّ بذلك فيقول: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**خُلِقَتِ الْـمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْـجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٢).

والجنُّ كالإنس تماماً مكلّفونَ بالعباداتِ والأحكامِ الشرعية، فاللهُ عز وجلَّ خلَقَ الإنسَ ليعبدوهُ، وخَلَقَ الجنَّ ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام].

والجنُّ كالإنسِ تماماً في العباداتِ وفي العقائدِ والدياناتِ، فمن الجن: المسلمُ والنصرانيُّ، واليَهوديُّ، والكافرُ ومن الجنِّ: الصالحُ والطالح، ومنهم التقيُّ والفاجر.

---

(١) ابن كثير (٤/ ٢٧١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٦).

كما قال تعالى على لسانهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن].

وقالوا أيضاً: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

والكافرُ منَ الجنِّ والكافرُ مِنَ الإنسِ كلاهما في النارِ، فقد خلقَ اللهُ عز وجل النارَ ليعذبَ بها الكفرةَ والعصاةَ والمجرمينَ من الإنسِ والجنِّ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة].

وربَّ سائلٍ يسألُ: كيف يُعذِّبُ اللهُ الجنَّ في النار، وقد خُلقوا من النار؟

الجواب: المؤمنُ الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً يعتقدُ أنَّ الله على كل شيءٍ قدير، ومع ذلك فنحنُ نجيبُ عن هذا السؤال من ثلاثة أوجه:

الوجهُ الأول: أن اللهَ عز وجلَّ خلقَ الجنَّ من نارٍ، وهم الآن ليسوا ناراً، كما أن اللهَ خلقَ الإنسانَ من طينٍ، وهو الآنَ ليسَ طيناً، وإنما هو دمٌ ولحمٌ وعظمٌ والأدلةُ على أنَّ الجنَّ الآن ليسوا ناراً:

١ - قولُه ﷺ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي**»(١).

الشاهدُ: لو كان إبليسُ ناراً، كما خُلِقَ، ما احتاج أن يأتيَ بشعلةٍ من نارٍ.

٢- قوله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»(٢).

فلو كانَ الشيطانُ على هيئتِهِ التي خُلِقَ عليها لأحرقَ الإنسانَ.

٣- وعن عائشةَ ﵂: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى شيطاناً وهو في الصلاةِ فَأَخَذَهُ فَخَنَقَهُ، حَتَّى وَجَدَ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِه**»(٣).

الشاهدُ: أنَّ الشيطانَ فيه برودةٌ وليس ناراً.

الوجه الثاني: أن النارَ فيها حرارةٌ شديدةٌ وفيها برودةٌ شديدةٌ، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان].

نستنتجُ من هذه الآية: أنَّ أهلَ النارِ يرون في النارِ حرارةً شديدةً وبرودةً شديدةً؛ أي: الزمهرير، قال العلماءُ: الجنُّ يُعَذَّبون في النارِ بهذه البرودةِ.

الوجهُ الثالثُ: اللهُ عز وجل على كلِّ شيءٍ قديرٌ، يعذِّبُ من شاءَ بما شاءَ، فاللهُ قادرٌ أنْ يخلقَ الإنسانَ من طينٍ ويعذبَه بالطين، كذلك قادرٌ أن يخلقَ الجنَّ من نارٍ ويعذبَه بالنار.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٥٤٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) واللفظ للبخاري.

(٣) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان (٢٣٥٠)، وفي رواية لأم المؤمنين عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَخَنَقَهُ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي» وهذا اللفظ رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣٧٥) واللفظ له، والطبراني في «الأوسط» (٨٢١٩). [«التعليقات الحسان» (٢٣٤٤)].

ثانياً: ومن صفاتِ هذا العدوِّ: أنهُ يتشكلُ بأشكالٍ مختلفةَ:

الجنُّ على صورتِه الحقيقيةِ لا يراهُ الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

ولكن إذا تشكلَ وتصورَ يراهُ الإنسان، وقد جاءتِ الأدلةُ تدلُّ على أنَّ الجنَّ قد يتشكلون بصورة إنسانٍ أو حيةٍ أو كلبٍ أسودَ أو غير ذلك.

• والدليلُ على أن الجنَّ يتشكلون بأشكالِ الإنسان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: (وَكَّلَنِي رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَالله لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ.

قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ.

فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ.

قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ.

فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ.

فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ.

قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.

فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**» قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، -وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ- فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ. تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣١١).

ففي الحديث دليلٌ على أنَّ الشيطانَ يتشكلُ بصورةِ إنسان.

وفيه دليلٌ أيضاً على أنَّ الشيطانَ إذا أُمسِكَ به وهو متشكلٌ لا يستطيعُ أن يُغَيِّرَ صورتَه التي تشكَّلَ عليها.

وفيه دليلٌ أيضاً أنَّ الأصلَ في الشيطان الكذبُ.

• والدليلُ على أن الشيطانَ يتشكَّلُ بصورة الحيات:

عن أَبِي السَّائِبِ مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ فِى بَيْتِهِ قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّى، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِىَ صَلاَتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِى عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ، فَوَثَبْتُ لأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ: أَنِ اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ، فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ الله ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلاَحَكَ، فَإِنِّى أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**» فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلاَحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً، فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعَنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ، وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِى الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا؛ الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى؟ قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا. فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**». ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ**

بِالْـمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا فَآذِنُوهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»(١).

• والدليلُ على أن الشيطانَ يتشكّلُ بصورةِ الكلبِ الأسود:

عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحلِ. فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ، فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلاَتَهُ الْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ وَالْكَلْبُ الأَسْوَدُ». قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ! مَا بَالُ الْكَلْبِ الأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الأَصْفَرِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: «الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ»(٢).

ثالثاً: ومن صفاتِ هذا العدوِّ: أنهُ يأكلُ ويشربُ ويتناسلُ:

• أما بالنسبةِ للأكلِ والشربِ، يقول ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»(٣).

وقولهُ ﷺ لأبي هريرة: «ابْغِنِي أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلاَ تَأْتِنِي بِعَظْمٍ، وَلاَ بِرَوْثَةٍ» فَقُلْتُ -يعني أبا هريرة-: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ ﷺ: «هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ...»(٤).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣٦).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٥١٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨٦٠).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْـجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»**[1].

وقال ﷺ: **«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»**[2].

• أما بالنسبة لتناسلهم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف].

ففي الآيةِ: دليلٌ على أنَّ الجنَّ يتناكحونَ من أجلِ الذريةِ، وأن لهم ذريةً.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٨).

رابعاً: ومن صفاتِ هذا العدوِّ: سرعتُهُ وقدرتُهُ على الحركةِ والانتقالِ في الفضاء:

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل].

فهذا عفريتٌ من الجنِّ تعهدَ لنبيِّ الله سليمانَ عليه السلام بإحضارِ عرشِ ملكةِ اليمن إلى بيتِ المقدسِ في مدةٍ لا تتجاوزُ قيامَ الرجل من جلوسه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن].

خامساً: ومن صفاتِ هذا العدوِّ: الوسوسةُ من قريبٍ ومن بعيد:

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الناس].

وقال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ** -أي صوتَ المؤذن- **فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ**»[1].

سادساً: ومن صفاتِ هذا العَدوِّ: أنهُ يجري من الإنسان مجرى الدم:

قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»[2].

فهذه صفاتٌ للشيطانِ تدلُّ على خطورتهِ على الإنسانِ، فإذا عرف الإنسانُ صفاتِ هذا العدوِّ استطاع أن يأخذَ حذرَهُ ويتحصنَ منه نسألُ اللهَ العظيم أن يحفظنا وإياكم من شرِّ هذا العدوِّ المبين.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٨٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٩)، ومسلم (٢١٧٥) واللفظ للبخاري.

الحصنُ الثاني

معرفةُ أهدافِ هذا العدوِّ (الشيطانِ)

إبليسُ يقودُ المعركةَ مع بني آدمَ بنفسِهِ.

قال ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْـمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يجيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[(١)].

وإبليسُ يبعثُ سراياهُ لفتنةِ الناسِ ليلاً ونهاراً، لا يَكِلُّ ولا يَمَلُّ ولا ينامُ.

قال ﷺ: «يَبْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً»[(٢)].

وقال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَـهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[(٣)].

وإبليسُ يستخدمُ في معركتِهِ مع بني آدمَ أساليبَ متنوعةً لِيصل إلى أهدافِهِ التي يعملُ للوصول إليها.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٣).

(٣) حسن لغيره: رواه أحمد (٣/ ٢٩)، وأبو يعلى (١٣٩٩)، والحاكم (٧٦٧٢)، [«صحيح الترغيب» (١٦١٧)].

ومن هذهِ الأساليبِ؛ لتكونوا منها على حذرٍ:

الأسلوبُ الأولُ: الإغواءُ.

قال تعالى على لسانِ إبليسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

الأسلوبُ الثاني: التزيينُ في الأرض.

قال تعالى على لسانِ إبليسَ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

الأسلوبُ الثالثُ: الصدُّ عن سبيلِ الله.

قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

الأسلوبُ الرابعُ: الإضلالُ.

قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء].

هذه هي أساليبُ الشيطانِ في معركتِه مع بني آدمَ للوصولِ إلى أهدافه.

فما هي أهدافُ الشيطانِ التي يعملُ ليلاً ونهاراً لتحقيقها؟

الهدف الأول: وهو هدفُ الشيطانِ الأكبرِ: أن يُدخِلَ بني آدمَ معه في نارِ جهنم

واللهُ عزَّ وجلَّ يُخبِرُنا في كتابه عن هدفِ الشيطانِ هذا؛ فيقولُ سبحانَه مُحَذِّراً عبادَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

ويقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان].

وحتى يتمكنَ الشيطانُ من تحقيقِ هذا الهدفِ وهو إدخالُ بني آدمَ النارَ معهُ فهو يدعوهم ليلاً ونهاراً إلى الأعمالِ التي تُدْخِلُهُمُ النارَ ومنها:

أولاً: الكفرُ والشركُ:

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

ويُوَبِّخُ اللهُ بني آدمَ الذين استجابوا للشيطان فكفروا فيقول لهم سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

ويقول ﷺ: «**يقول اللهُ عزَّوجلَّ: وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[1].

وهل أُعِدَّتِ النارُ إلا للكافرين والمشركين.

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٥).

ثانياً: يدعوهم إلى الابتداع في الدين.

والبدعةُ سببٌ لدخولِ النار، والبدعةُ أحَبُّ إلى إبليسَ من المعصيةِ؛ لأنَّ المعصيةَ يُتابُ منها، والبدعةُ لا يُتابُ منها.

وكان ﷺ دائماً يقولُ في خُطبتِه إذا خطبَ الناسَ: «**أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ أَصْدَقَ الْـحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْـهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدثةٍ بدعةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ**»(١).

ثالثاً: يدعوهُم الشيطانُ إلى كبائرِ الذنوبِ التي تُدخلُ صاحبَها النارَ ويُزَيِّنُها لهم.

ككبيرة القتل؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

وككبيرة الزنا؛ قال ﷺ: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»(٢).

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣١٠)، والدارمي (٢٠٦) كلاهما دون قوله: «وكل محدثة بدعة» «وكل ضلالة في النار»، ورواه بهذا اللفظ ابن خزيمة (١٧٨٥)، [«صحيح الجامع» (١٣٥٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٧).

وقال عطاءُ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحِجر].

قال: (أشدُّ تلكَ الأبوابِ غمّاً وحراً وكَرْباً وأَنْتَنُها ريحاً للزُّناة)(١).

وككبيرة الربا؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة].

وككبيرةِ الكذبِ والخوضِ في الباطلِ والغيبةِ والنميمةِ؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثر].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٩٨).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠ ﴾ [الزُّمَر].

وقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفجورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١).

إلى غير ذلكَ منْ كبائرِ الذنوبِ التي زَيَّنَها الشيطانُ لبني آدمَ ليقترفوها، ليكونوا معهُ في حزبِه، ليكونوا جميعاً في النار.

وقد نجحَ إبليسُ في تحقيقِ هذا الهدف، ويظهرُ ذلكَ من العددِ الذي يَدْخلُ النار مع إبليس من بني آدم.

يقول ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ! وَسَعْدَيْكَ! وَالْـخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**»(٢).

وها هو إبليسُ في جهنمَ يتبرأُ من هؤلاءِ الذين لا عقلَ لهم واتبعوه واستجابوا له.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

وها هم أهلُ النارِ يَعترفون أنهم لا عقلَ لهم عندما استجابوا للشيطانِ حتى أدخلهُمُ النار.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [المُلك].

الهدفُ الثاني: إيقاعُ العداواتِ والبغضاءِ بين المؤمنين.

إنَّ العداوَةَ والبغضاءَ إذا وقَعَتْ بينَ المؤمنينَ شَتَّتْ شملَهم، وفَرَّقَتْ كلمتَهم، وأضعفت إيمانَهم؛ لأنهم يشتغلون بأنفسِهم عن عدوِّهِمُ المتربصِ بهمُ الدوائرَ، ولهذه النتائجِ حرصَ الشيطانُ على إلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بين المؤمنين، والأخذِ بكلِّ وسيلةٍ توصلُ إلى هذه النتيجة، ومن ذلك:

- **الخمرُ والميسرُ، فهما سببان لوجودِ العداوةِ والبغضاءِ بين المؤمنين**؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة].

- **الكلمةُ النابيةُ**؛ قال تعالى محذراً: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

- **التحريشُ بينَ الأحِبَّة**؛ قال ﷺ محذراً: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»(١).

فالشيطانُ حريصٌ على تفريقِ الكلمةِ، وتشتيتِ الشملِ حتى لا تقومَ للمسلمينَ قائمةٌ، ويكونوا فِرقاً وشيعاً وأَحزاباً، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، يقتلُ بعضهُم بعضاً، ويُكَفِّرُ بعضهم بعضاً، ويُبَدِّعُ بعضُهم بعضاً، فيقعُ بينهمُ التنازعُ فَيَضعفوا ويفشلوا.

ولذلك قال تعالى محذراً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال].

فلما أَيِسَ الشيطانُ من كفرهم تَحَوَّلَ إلى ما يُضْعِفُ إيمانَهم حتى يشتغلوا بهذه العداواتِ والفتنِ عن عبادةِ رَبِّهم التي من أجلها خُلِقوا، ولهذا بَيَّنَ النبيُّ ﷺ فضلَ العبادةِ زمَنَ الفتن، فقالَ ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ**(٢) **كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٢).

(٢) الهرج: القتل والفتن واضطراب الأمور.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٤٨).

(والمرادُ بالهرج هنا الفتنةُ واختلاطُ أمورِ الناسِ، وسبب الزيادة في كثرة فضل العبادةِ فيه أنَّ الناسَ يَغْفَلونَ عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغُ لها إلا الأفراد)(١).

وهذا دليلٌ على أنَّ الشيطانَ حريصٌ على إلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ بَين الناسِ وإيجاد الفتن بينهم، ولذا ذَمَّ اللهُ التفرقَ والاختلافَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام].

فلما كان التفرقُ والاختلافُ وما ينتجُ عنهما من عداوةٍ وبغضاءَ مكروهاً عندَ الله تعالى كان ذلك محبوباً عندَ إبليسَ، وأحبُّ الشياطين إليه من يُفَرِّقُ بينَ الرجل وامرأتِه.

كما جاء في الحديثِ عن رسولِ الله ﷺ.

ولذلك حَذَّرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ وأمتَه من التفرقِ بِكُلِّ أشكالِه، وأخبرهم أنه مِنْ عملِ الشيطانِ ليوقعَ بينهمُ العداوةَ والبغضاءَ.

قال ﷺ لأصحابه عندما تفرقوا في الأوديةِ والشعابِ للقيلولةِ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(٢).

---

(١) شرح صحيح مسلم (وينْشَغِلونَ) (١٨/ ٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، والحاكم (٢٥٤٠)، وابن حبان (٢٦٩٠) واللفظ لهما، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

الهدفُ الثالث: تحزينُ المؤمنين.

الشيطانُ حريصٌ كلَّ الحرصِ على إدخالِ الحزنِ والهمِّ والغَمِّ دائماً على قلبِ المؤمن، ويَصِلُ الشيطانُ إلى هذا الهدفِ.

أولاً: بالنجوى:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة].

والنجوى: هي السرُّ بين اثنين في وجودِ الثالثِ؛ ولذلك قطعَ النبيُّ ﷺ الطريقَ على الشيطانِ حتى لا يُسبِّبَ للمؤمنين حُزناً فيما بينهم؛ فقال ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ أَجَلَ أَنْ يُحْزِنَهُ**»[1].

ثانياً: بالأحلامِ المزعجة.

قال ﷺ: «**الرُّؤْيَا ثَلاثَةٌ: مِنْهَا تَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يُهِمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[2].

الهدفُ الرابعُ: الصدُّ عن ذكرِ الله.

يحرصُ الشيطان على أن يصدَّ المسلمينَ عن ذكرِ الله، وذلك لأنهم إذا غفِلوا عن ذكرِ اللهِ استحوذَ عليهمُ الشيطانُ وضمهم إلى حزبِه، قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٣/ رقم (١١٨)) واللفظ له، وفي «الأوسط» (٦٧٤٢) بلفظ «أهاويل» وابن حبان (٦٠٤٢) بلفظ «منها تهويل»، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٤)].

عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزُّخرُف].

والشيطانُ يصدُّ المسلمَ عن ذكرِ الله بالمعاصي كالخمر والميسر وغيرِها قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة].

فإذا عرفَ المسلمُ أهدافَ الشيطان أخذ حَذَرَهُ من هذا العدوِّ، وتحصنَ بالعقيدةِ الصحيحة والعبادةِ الصادقةِ، وبذكرِ اللهِ فلا يستطيعُ الشيطانُ أن يحققَ أيَّ هَدَفٍ من أهدافه.

نسألُ اللهَ أن يحفظَنا والمسلمين جميعاً من كيدِ شياطينِ الإنس والجن.

٣٢

الحصن الثالث

الإخلاصُ لله عز وجلَّ

الإخلاصُ هو الحصنُ الحصينُ الذي يتحصنُ به المؤمنُ من العدوِّ المبين.

والإخلاصُ سبيلُ الخلاصِ منَ الشيطانِ الرجيمِ باعترافِهِ هو، كما جاء ذلك على لسانِه في كتابِ ربِّ العالمينَ حيثُ قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر].

وقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

أيها الإنسانُ! اعلمْ أنَّ الشيطانَ لكَ عدوٌّ مبينٌ.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف].

وهو يجري منك مجرى الدم.

كما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ**»[1].

وهو يحضرُكَ عند كلِّ شيءٍ من شأنِك.

كما قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ**»[2].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٣).

فهو يحضرُ لِيُفْسِدَ النيةَ والقولَ والعملَ، فإنْ حَسُنَتْ نيتُكَ، دَلَّكَ على عملٍ غيرِ مشروعٍ تفعلُه بهذه النيةِ الحسنةِ، وإن حَسُنَ عمَلُكَ أفسدَ عليكَ نِيَّتَك، وإن حَسُنَتْ نيتُكَ وعملُك أفسدَ عليكَ أسلوبك معَ الناسِ؛ ليوقعَ العداوةَ والبغضاءَ بينَك وبينهم ما استطاعَ إلى ذلك سبيلاً.

أما المخلصينَ -جعلَنا اللهُ وإياكم منهم- فالشيطانُ يعترفُ بعجزه عن إغوائِهم وإضلالِهم وصَدِّهم.

- فما هو الإخلاصُ؟
- ومن هو المخلصُ؟
- وما هي ثمراتُ الإخلاصِ في الدنيا والآخرة؟

الإخلاصُ:

قالوا: الإخلاصُ أن يكونَ سكونُ العبدِ وحَرَكاتُهُ لله تعالى.

وقالوا: الإخلاصُ صِدْقُ النيةِ معَ الله تعالى.

وقالوا: تركُ العملِ مِنْ أجلِ الناسِ رياءٌ، والعملُ من أجلِ الناسِ شركٌ، والإخلاصُ أن يعافيَكَ اللهُ منهما.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيِّنة:٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر:٢-٣].

وقال ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كان خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(٢).

ولذلك قال الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام].

مَنِ المخلص؟

المخلصُ: هو الذي يعملُ للهِ عز وجل، ولا يحبُّ أن يحمَدَه الناسُ ومن أمثلةِ هؤلاءِ في القرآنِ الكريمِ والسنةِ النبويةِ.

١ – الإخلاصُ في إطعامِ الطعامِ؛ قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧)، وللبخاري (١)، ولفظه المشهور «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»

(٢) **حسن**: رواه النسائي (٣١٤٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٢٨) بلفظ: «إِلا مَا خَلَصَ لَهُ وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»، [«صحيح الترغيب» (١٣٣١)].

٢- الإخلاصُ في المسارعةِ إلى الخيرات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

٣- الإخلاصُ في الصدقِ في طلبِ الشهادةِ والجنة؛ عن شدادِ بنِ الهادِ رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ؟ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا فَقَسَمَ، وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قُسِمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ - أي الأعرابي- دفعوا إليه، فقال: ما هذا؟ دفعوهُ إليه، فقال: ما هذا؟ قَالُوا: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**» قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ -أنا لا أريدُ ديناراً ولا أريدُ مالاً- وَلَكِنِ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ، فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَالَ ﷺ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**» فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ إلى النَّبِيِّ ﷺ يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ! قَالَ ﷺ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**» ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلاَتِهِ: «**اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ على ذلك**»[1].

(١) **صحيح**: رواه النسائي (١٩٥٣)، والحاكم (٦٥٢٧)، [«صحيح الترغيب» (١٣٣٦)].

كيف لا؟

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(١).

٤- الإخلاصُ في الصدَقةِ؛ يقول ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ. قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى زَانِيَةٍ؟ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ! فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ؛ قَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى غَنِيٍّ؟ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ! فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ. فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ؛ فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ! عَلَى زَانِيَةٍ؟ وَعَلَى غَنِيٍّ؟ وَعَلَى سَارِقٍ؟ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ؛ أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»(٢).

فبالإخلاصِ قُبِلَتْ صدقتُهُ، ونفع اللهُ بها ولو أنها كانت في غير مَحَلِّها.

٥- الإخلاصُ في التوكلِّ على الله؛ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. قَالَ: فَأْتِنِي بِالْكَفِيلِ،

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٠٩).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) واللفظ له.

قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلاَنًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلاً، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلاً، فَرَضِيَ بِكَ. وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، فَرَضِيَ بِكَ. وَأَنِّي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكَهَا، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهْوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بِالأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ، قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أُخْبِرُكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا»(١).

٦- الإخلاصُ في الحبِّ في الله؛ عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ(٢) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٩١).

(٢) المدرجة: الطريق.

قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟[1] قَالَ: لاَ! غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»[2].

ثمراتُ الإخلاصِ في الدنيا والآخرة:

أما ثمراتُ الإخلاصِ فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: قبولُ الأعمالِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ:

فالعملُ لا يقبلُهُ اللهُ يومَ القيامةِ إلا بشرطين اثنين:

الشرطُ الأولُ: الإخلاصُ لله في هذا العمل.

الشرط الثاني: موافقةُ الشرع في هذا العمل.

وقد جمعَ اللهُ بينَ هذين الشرطينِ في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ -أي: مخلصاً في عمله لله- [الكهف].

كيف لا؟

والله عز وجل يقول: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

أي: إنما يتقبلُ اللهُ منَ المخلِصين الذين وَحَّدوهُ وأطاعوا رسولَه ﷺ.

(١) ترب: تحفظ وتراعى وتربى.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥٦٧).

ثانياً: النصرُ على الأعداءِ والتمكينُ في الأرض.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد].

ويقول سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥].

ويقول ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ**»(١).

فبالجمعِ بينَ الآيتينِ والحديثِ يتبينُ لنا أنَّ الأُمَّةَ إذا أخلَصَتْ لله عز وجل في أعمالِها فهي قد نَصَرَتِ الله في نفسِها، وإذا نَصَرْنا اللهَ في أنفسِنا بالإخلاصِ له سبحانه، نَصَرَنا على أعدائِنا وَمَكَّنَنا في الأرضِ.

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران].

ثالثاً: تفريجُ الكُرُباتِ واستجابةُ الدعواتِ.

عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْـمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْـجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ**

(١) **صحيح**: رواه النسائي (٣١٧٨)، [«صحيح الترغيب» (٦)].

لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَـهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْـخُرُوجَ.

وَقَالَ الآخَرُ: اللهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَـمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْـخُرُوجَ مِنْهَا.

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) واللفظ للبخاري.

رابعاً: يومَ القيامةِ يكونُ المخلصُ في ظلِّ عرشِ الرحمنِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه.

يقولُ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ ربِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أخفى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

خامساً: يومَ القيامةِ ينالُ المخلصُ شفاعةَ النبيِّ ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»(٢).

سادساً: الثمرةُ الكبرى التي يقطفُها المخلصُ بإخلاصه هي: أنه يكونُ في حصنٍ حصينٍ من كيدِ الشياطين.

قال تعالى على لسانِ الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٥٧٠).

سابعاً: الفوز بالجنة.

وهل أُعِدَّتْ الجنة إلا للمخلصين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

كيف يتحصلُ الإنسانُ على الإخلاص؟

أولاً: أن يعلمَ أنه لا ينفعُ ولا يَضُرُّ ولا يمنعُ ولا يعطي إلا الله.

قال ﷺ لابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[1].

كيف لا؟

والله عز وجل يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

ولذلك يقولُ اللهُ عز وجل للمرائين يومَ القيامة إذا جزى الناسَ بأعمالهم: (اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدونَ عندهم جزاء)؛ قال

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»(١).

وقال ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ للهِ أحداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِه، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»(٢).

ثانياً: مصاحبة ومجالسة أهل الإخلاص من المؤمنين المتقين.

يقول ﷺ: «لاَ تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»(٣).

ويقول ﷺ: «مَثَلُ الْـجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»(٤).

فمجالسةُ ومصاحبةُ المخلصينَ الصالحين تنفعُ حتى العصاةَ.

يقول ﷺ: «إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً -أي: سائحين- فُضْلاً -أي: زيادة على الحفَظَةِ وغيرهم- يَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ؛ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٤٢٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦٤١٢)، [«صحيح الترغيب» (٣٢)].

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤٢٠٣)، أحمد (٤/ ٢١٥)، وابن حبان (٤٠٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٣)].

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٣٢)، وابن حبان (٥٥٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٠٣٦)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ؛ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي! قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي! قَالُوا: لاَ أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي، قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي، قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ! قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي! قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي! قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ؟ فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. فَيَقُولُونَ: رَبِّ! فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

ولذلك كانَ لقمانُ الحكيمُ يقول لابنهِ وهو يعظُهُ: (يَا بُنَيَّ! اخْتَرِ الْـمَجَالِسَ عَلَى عَيْنِكَ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِماً يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلاً يُعَلِّمُوكَ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَةٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ قَوْماً لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ فَلاَ تَجْلِسْ مَعَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ عَالِـماً لاَ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وَإِنْ تَكُنْ جَاهِلاً زَادُوكَ غَيًّا، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِمْ بِعَذَابٍ فَيُصِيبَكَ مَعَهُمْ)(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ له.

(٢) رواه الدارمي (٣٧٧).

ثالثاً: كثرةُ الاستماعِ لقَصَصِ المخلصينَ في الكتابِ والسنة.

• ففي كتاب الله:

١- قصةُ يوسفَ عليه السلامُ، وكيف صرفَ اللهُ عنهُ السوءَ بإخلاصه؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

٢- قصةُ مؤمِن آلِ فرعونَ وكيفَ نَجَّاه اللهُ من كيدِ فرعون وقومِهِ بإخلاصِه؛ قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر].

• وفي سنةِ نَبِيِّنا ﷺ:

٣- قصةُ الثلاثةِ الذين دخلوا الغارَ وكيفَ استجابَ الله دعاءَهم ونجّاهم من الموتِ المحققِ بإخلاصهم.

٤- قصةُ الغلامِ والراهبِ وكيفَ أسلمَ شعبٌ بكاملِهِ بإخلاصِ هذا الغلامِ في دعوته إلى الله تعالى، قال الناسُ جميعاً: «**آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**»[1].

فبالإخلاص يا عبدَ الله! تنجو من شياطين الإنسِ والجنِّ، وتتحصلُ على سعادةِ الدنيا والآخرةِ، فالإخلاصُ هو سِرُّ النجاحِ في الدنيا والآخرةِ.

نسألُ الله أَن يرزُقَنا وإياكم الإخلاصَ في القولِ والعملِ والسرِّ والعلن.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٣٠٠٥).

٣٣

الحصنُ الرابعُ

تحقيقُ العبوديةِ للهِ وحده

الشيطانُ عدوٌ مبينٌ للإنسان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف].

وقد حَذَّرَ اللهُ عبادَهُ من هذا العدوِّ المبين.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر].

ولما أقسمَ الشيطانُ أنهُ سَيُغوي آدمَ وذريتَهُ أجمعين، ردَّ اللهُ عليه مُبَيِّناً أنَّ هناك طائفةٌ لا يستطيعُ أن يسيطرَ عليها أو يُغْوِيَها وهمُ: الذين حَقَّقوا العبوديةَ للهِ وحدَه.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢﴾ [الحجر].

وقد اعترفَ عدوُّ اللهِ نفسُهُ أنهُ لا قِبَلَ لهُ بعبادِ اللهِ الذين حققوا العبوديةَ له سبحانه.

فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص].

فالحصنُ الحصينُ لك يا ابنَ آدمَ منَ الشيطانِ هو تحقيقُ العبوديةِ لله وحدَه.

فما هي العبوديةُ؟

وما هي ثمراتُ العبوديةِ في الدنيا والاخرة؟

وكيف يحققُ الإنسانُ العبودية لله وحدَه؟

• العبوديةُ:

هي حقُّ الله على العباد.

قال ﷺ لمعاذٍ بنِ جبلٍ رضي الله عنه: «**يَا مُعَاذُ!**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»(١).

وعبادةُ الله هي الغايةُ التي من أجلِها خَلَقَ اللهُ الخلقَ، وأمَرَهم بها.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٦٧)، ومسلم (٣٠) واللفظ للبخاري.

ومن أجلِ عبادةِ الله وحدَه خلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ وخلقَ كُلَّ شيءٍ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام].

من أجْلِ عبادةِ الله وحدَه أرسلَ اللهُ الرسلَ، وأنزلَ الكُتُبَ؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل].

من أجلِ عبادةِ الله وحدَهُ خلقَ اللهُ الجنةَ والنارَ، فمن أدى حقَّ الله دخلَ الجنةَ ومن ضيَّعَ حقَّ الله دخلَ النارَ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ -هم الذين أدَّوا حقَّ الله- ﴿فَيُوَفِّيهِمْ

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ -هم الذين ضيعوا حقَّ الله- ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [النساء:١٧٢-١٧٣].

وعبادةُ الله وحدَهُ لا شريكَ له تبدأُ من سِنِّ التكليفِ وحتى الموت، ولا تسقطُ عن العبدِ إلا بذهابِ العقل أو الروحِ.

قال ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ**» وذكر منهم: «**وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ**»(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر].

وعبادةُ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ له لا تُقبلُ عند اللهِ يومَ القيامةِ إلا إذا توفرَ فيها شرطان اثنان:

الشرطُ الأولُ: الإخلاصُ لله عزَّ وجلَّ في كلِّ العبادات.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيِّنة].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(٢).

الشرطُ الثاني: أن يكونَ موافقاً لهديِ رسولِ الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:٧].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٤٠١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٣٠٣)، وأحمد (١/ ١٤٠) بلفظ: «**وعن الطفل**»، وابن حبان (١٤٣)، والحاكم (٩٤٩)، [«صحيح الجامع» (٣٥١٢)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) بلفظ: «**بالنية**».

وقال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

وقد جمعَ اللهُ عز وجل بين هذينِ الشرطينِ: الإخلاصُ للهِ عزَّ وجلّ والمتابعةُ لرسولِ اللهِ ﷺ في آخر آيةٍ من سورةِ الكهف.

فقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ -وهو الموافقُ للسنة- ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ -وهو الإخلاص- [الكهف].

وقَالَ الْفُضَيْل بْنُ عِيَاضٍ في قوله: (﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]: أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ للهِ، وَالصَّوَابُ: أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ)(٢).

ثمراتُ العبوديةِ للهِ وحدَه:

إذا حققَ العبادُ العبوديةَ للهِ بأن عبدوهُ وحدَهُ ولم يشركوا به شيئاً قطفوا الثمارَ اليانعةَ في الدنيا والآخرةِ.

أما ثمراتُ الدنيا:

أولاً: ينصرُهم على عدوِّهم ويُمَكِّنُهم في الأرض.

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ -أي: بعبادته وحدَه لا شريكَ له- ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٩٧) بلفظ: «من أحدث»، ومسلم (١٧١٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

ثانياً: يحفظُهم من كيدِ الشيطان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢].

ثالثاً: يتحصلون على زادِ التقوى الذي ينفعُهم في سفرِهم إلى الدارِ الآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [البقرة:١٩٧].

ابنَ آدم!

تَـزَوَّدْ مـن معاشِـكَ للمعـادِ　　　وقـمْ لله واجمـعْ خـيرَ زاد[١]

ابنَ آدمَ!

تزودْ من التقـوى فإنّـك لا تـدري　　　إذا جَنَّ ليلٌ هل تعـيشُ إلى الفجـرِ

(١) ذكره القاضي وكيع في «أخبار القضاة» (٣/ ٣٠٠) عن يزيد بن محمد المهلبي.

ابنَ آدم!

نـسيرُ إلى الآجـال في كـلِّ لحظـةٍ   وأيّامُنـا تُطـوى وهـنَّ مراحـلُ
ولم أرَ مثـلَ المـوتِ حقـاً كأنـه   إذا مـا تَخَطَّتْـهُ الأمـانيُّ باطـلُ
وما أقبحَ التفـريطَ في زمـن الـصبا   فكيفَ به والشيبُ للرأسِ شـاعلُ
ترحَّلْ منَ الـدنيا بـزاد مـن التقـى   فعمـرُكَ أيـامٌ وهـنَّ قلائـلُ[1]

رابعاً: يتحصلونَ على محبةِ الله ومحبةِ الناسِ

قال تعالى في الحديث القدسيِّ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**»[3].

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ -أي: حققوا العبوديةَ لله- ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ -أي: محبةً في قلوبِ عبادِه- [مريم].

---

(١) عزاه لابن المعتز أبي هلال العسكري في «**ديوان المعاني**» (٢٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٧٤٨٥).

وأما ثمراتُ الآخرة:

أولاً: الأمنُ من الفزعِ الأكبرِ إذا خافَ الناسُ، والفوزُ بالجنة.

قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزُّخرُف].

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾** [السجدة:١٧]»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ الله! دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ. قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّى الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا شَيْئًا أَبَدًا وَلاَ أَنْقِصُ مِنْهُ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**»)(٢).

ثانياً: أن لا يُعذِّبَهم في النار.

عن معاذ بن جبلٍ قال: (كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ! ثُمَّ سَارَ سَاعَةً

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤).

ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ! ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: «**هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ!**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: «**هَلْ تَدْرِى مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ**» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**»)[1].

هذا ما أعدَّهُ اللهُ في الدنيا والآخرةِ لمن حقق العبوديةَ له سبحانه وتعالى، أما الذين لم يحققوا العبوديةَ لهُ سبحانه، ووقعوا في الشرك فعقابُهم في الدنيا والآخرة يكونُ:

أولاً: يَستحوذُ عليهم الشيطانُ فيعبدونه من دون الله.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٦٧)، ومسلم (٣٠).

ثانياً: يُصبحون عبيداً لأهوائهم.

قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

ثالثاً: يُصبحون عبيداً للدرهم والدينار.

قال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»(١).

رابعاً: تُحبَطُ أعمالُهم ويُحْرَمون المغفرةَ ويدخلونَ النار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

• إذا حققَ الإنسانُ العبوديةَ لله وحده، حُفِظَ من الشياطين، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة، وإذا لم يحققْ الإنسانُ العبوديةَ لله وحدَه ووقَع في الشرك استحوذت عليه الشياطين، وشقِيَ في الدنيا والآخرة.

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٣٥).

فما هي العبادةُ؟ وما هي أقسامُها؟ وكيف يُحققُ الإنسانُ العبودية لله وحده؟

العبادةُ هي: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ من الأقوالِ والأعمال الظاهرةِ والباطنة.

وأقسامُ العبادة أربعةٌ:

القسم الأول: العبادةُ البدنيةُ: كالصلاةِ، والصيامِ، والركوعِ، والسجودِ، والحجِّ، والطوافِ.

القسم الثاني: العبادةُ الماليةُ: كالذبح، والنذرِ، والزكاةِ، والصدقةِ.

القسم الثالث: العبادةُ القلبيةُ: كالخشوعِ، والخضوعِ، والذلِّ، والإنكسارِ، والإخباتِ، والمحبةِ، والتوكل، والإنابةِ، والاستعانةِ، والخوفِ، والرجاءِ والتعظيمِ والرهبةِ.

القسمُ الرابعُ: العبادةُ القولية: كالحَلْفِ، والاستغاثةِ، والدعاءِ، والاستعاذةِ.

فهذه كُلُّها عباداتٌ يجبُ أن تُصرَفُ لله عز وجل، ولا يجوزُ أن يُصْرَفَ شيءٌ منها لسواه ولو كان مَلَكاً مُقَرَّباً أو نبياً مُرسَلاً أو ولياً صالحاً.

فكما لا يجوزُ الركوعُ والسجودُ إلا لله، كذلك لا يجوزُ الطوافُ إلا بالكعبة.

قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

فلا يجوز الطوافُ بقبرٍ أو غيرِه، وكذلك الذبحُ لا يجوزُ لغيرِ الله لقوله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(١).

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٨٧).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

فإذا صلى العبدُ فهو في عبادةٍ لله، وحتى إذا أتى زوجتَه -إن نوى ذلك- فهو في عبادةٍ لله، وله أجرٌ لأنه ابتغى بذلك أن يُعِفَّ نفسه عن الحرام.

قال تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

وقال ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»(١).

فإذا نامَ واحتسبَ نومَه كان في عبادةٍ، كما قال معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: (فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي)(٢).

فإذا أصبَح فصلّى الصبحَ ثم خرجَ إلى عملِه فهو في طاعةِ الله، متلبِّسٌ بعبادةٍ، لأنه خرجَ يسعى على رزقِه ويطلبُه كما أمرَه اللهُ عز وجل فقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ [الملك].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٠٦).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٣٤١، ٤٣٤٢).

وعن كعبِ بنِ عُجْرَةَ قال: (مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»**)[(١)].

فالإنسانُ يستطيعُ أن يحققَ العبوديةَ لله وحدَه إذا جعلَ حركاتِهِ وسكناتِه كُلَّها لله عز وجل.

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٢٩/ رقم (٢٨٢))، و«الأوسط» (٨٦٣٥)، [«صحيح الترغيب» (١٦٩٢)].

٣٤

الحصنُ الخامسُ

الاستعاذةُ باللهِ وحدَه

من رحمةِ اللهِ بعبادِهِ أن أرشدَهم في كتابه، كيف يتعاملون مع العدوِّ الإنسيِّ والعدوِّ الجنيِّ، فأمرهم بمصانعةِ العدوِّ الإنسيِّ، والإحسانِ إليه؛ ليَرُدَّهُ طبعُهُ الطيب عما هو فيه من أذى، وأمرهم بالاستعاذةِ به سبحانه من العدوِّ الجنيِّ إذ لا يقبلُ مصانعةً ولا إحساناً، ولا يبتغي غيرَ هلاكِ بني آدمَ لشدةِ العداوةِ بينهُ وبينهم، فقال تعالى في ثلاثةِ مواضعَ من كتابه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٣٦﴾ [فُصِّلَت].

فحصنُك الحصينُ يا ابنَ آدم منَ الشيطانِ الرجيم هو:

الاستعاذةُ باللهِ؛ والاستعاذةُ بالله تعالى هي: الالتجاءُ والاعتصامُ والاستجارةُ باللهِ تعالى من شرِّ الشيطانِ الرجيمِ.

ومعنى: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم أي: (أستجيرُ بجنابِ الله من الشيطانِ الرجيم أن يضرَّني في ديني أو دنياي، أو يَصُدَّني عن فعلِ ما أُمِرْتُ به، أو يُحثّني على فعلِ ما نُهيت عنه؛ فإنَّ الشيطانَ لا يكُفُّهُ عن الإنسانِ إلا اللهُ)[1].

والاستعاذةُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ مطلبٌ شرعيٌّ، إذ أمرَ اللهُ به في كتابه.

فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى في الحديث القدسيِّ: «**وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»[2].

وأمر النبيُّ ﷺ أمته بالاستعاذةِ بالله من الشيطانِ الرجيم وعلَّمهم ذلك، فقال ﷺ: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[3].

والله عز وجل يُعيذُ مَنِ استعاذَ به ويعصمُهُ ويقيه، ولما أعاذَتِ امرأةُ عمرانَ ابنتَها مريمَ وذريتَها من الشيطانِ الرجيمِ استجابَ اللهُ لها.

عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**».

---

(١) «تفسير ابن كثير» بتصرف يسير، (ص٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٠٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، [«صحيح أبي داود» (٧٠١)].

ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران](1).

وأعاذَ اللهُ عمارَ بنَ ياسرٍ رضي الله عنه منَ الشيطان؛ قال علقمةُ: قال لي أبو الدرداء: (أَلَيْسَ فِيكُمُ الَّذِي أَجَارَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ يَعْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ؟ -يَعْنِي عَمَّارًا......) الحديث(2).

ومن صيغِ الاستعاذةِ:

أن يقولَ المستعيذُ: «**أعوذ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم**».

لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

أو يقول: «**أعوذ باللهِ السميع العليم من الشيطان الرجيم**».

لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت].

أو يقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(3).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٧٤٣).

(٣) **صحيح**: روي هذا الحديث عن عدة من الصحابة منهم: أبو سعيد الخدري، وجبير بن مطعم، وعبد الله بن مسعود، وعمر بن الخطاب، وأبو أمامة وقد فصّل في تخريجه العلامة الألباني في [«أصل صفة صلاة النبي» (١/ ٢٧٢-٢٧٦)].

لأنه ﷺ الذي أمرنا اللهُ أن نتأسى به كان يقولُ في استعاذته بالله: «**أعوذ بالله من الشيطانِ الرجيمِ من همزِهِ ونفخِهِ ونفثِهِ**»[1].

ومن صورِ الاستعاذة:

١- الاستعاذةُ بربِّ الفلق؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفَلَق].

٢- الاستعاذة بربِّ الناس؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس].

وقال ﷺ في فضل هاتين السورتين: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)**»[2].

٣- الاستعاذةُ بعزةِ الله وقدرتِهِ؛ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِى الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ ثَلاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»[3].

---

(١) «الإرواء» (٣٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٢).

وفي رواية: «**أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**»(١).

٤- الاستعاذةُ بكلماتِ الله التامات؛ عن خولةَ بنتِ حكيم السُّلميةِ قالت: (سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ شيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»)(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ؟! قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ**»)(٣).

٥- الاستعاذةُ بعظمةِ الله؛ يقول ﷺ: «**اللهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ(٤) مِنْ تَحْتِي**»(٥).

٦- الاستعاذةُ بوجهِ الله الكريم؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٨٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٧٧)، وأحمد (٤/ ٢١)، وابن حبان (٢٩٦٥)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٥٣)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٨).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٩).

(٤) اغتال: اهلك بالخسف.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥)، [«صحيح الترغيب» (٦٥٩)].

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٦)، [«صحيح الترغيب» (١٦٠٦)].

• مواطنُ الاستعاذةِ وأوقاتُها كما جاءت في الكتابِ والسنة.

لأهميةِ الاستعاذةِ في حياةِ المسلمِ في حربِه مع الشيطانِ، وفي الوقايةِ من شرورهِ الظاهرةِ والباطنة، فقد جاء الحثُّ عليها في الكتاب والسنةِ في مواطنَ مختلفةٍ، وفي أوقاتٍ مختلفةٍ ليكونَ المسلمُ دائماً في حصنٍ حصينٍ منْ هذا العدوِّ المبينِ ومن هذه المواطن والأوقات:

أولاً: الاستعاذةُ باللهِ عز وجل من الشيطانِ على وجهِ العمومِ.

لقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾ [المؤمنون].

فالشيطانُ يحضرُ الإنسانَ عند كلِّ شيءٍ من شأنِه حتى عندَ الموتَ قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ**»[1].

وكان ﷺ يقولُ في دعائه: «**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْـمَوْتِ**»[2].

ثانياً: الاستعاذةُ باللهِ عند الإحساسِ بنزَغاتِ الشيطانِ ووساوسهِ.

لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾ [الأعراف].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وأحمد (٣/ ٤٢٧)، [«صحيح الجامع» (١٢٨٢)].

فإذا وسوسَ لك الشيطانُ يا ابنَ آدمَ ليُفسدَ عقيدتكَ فاستعذ بالله منه وانتهِ.

قال ﷺ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ**»(١).

وإذا وسوسَ لك الشيطانُ في صلاتِكَ ليُفسَدَها عليك فاستعذْ بالله منه واتْفُلْ عن يسارك.

عن عُثْمَانَ بْنَ أَبِى الْعَاصِ أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: (يَا رَسُولَ الله! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِى يُلْبِّسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ**(٢) **فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي)(٣).

ثالثاً: الاستعاذةُ بالله عند رؤيةِ الأحلامِ المزعجة.

قال ﷺ: «**الرُّؤْيَا مِنَ الله، وَالْـحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»(٤).

وقال ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الله، وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ، لاَ تَضُرُّهُ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَداً**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) واللفظ للبخاري.

(٢) خُنْزَب: ويروى بكسر الخاء وضمها.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٣).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١) واللفظ له.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٦١).

رابعاً: الاستعاذةُ بالله عند ثورةِ الغضبِ.

عن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ ﭬ قَالَ: (اسْتَبَّ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضَبُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَتَدْرِي مَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ آنِفًا؟ قَالَ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ؛ أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَجْنُونًا تَرَانِي)[1].

خامساً: الاستعاذةُ بالله عند دخول الخلاء.

عن أنسٍ ﭬ قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»)[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْـحُشُوشَ**[3] **مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْـخَلاَءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِالله مِنَ الْـخُبُثِ وَالْـخَبَائِثِ**»[4].

سادساً: الاستعاذةُ باللهِ عند سماعِ نُباحِ الكلاب ونهيقِ الحميرِ ليلاً.

وقال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا**»[5].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦١١٥)، ومسلم (٢٦١٠) واللفظ له.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٢)، ومسلم (٣٧٥).

(٣) الحشوش: جمع الحش وهي الكنف ومواضع قضاء الحاجة.

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٦٩)، [«السلسلة الصحيحة» (١٠٧٠)].

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩).

قال ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلاَبِ، وَنُهَاقَ الْـحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِالله، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الْـخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ...**»[(١)].

سابعاً: الاستعاذةُ بالله عند قراءةِ القرآنِ في الصلاة وغيرِها.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل].

وعَلَّمَ النبيُّ ﷺ أمتَهُ الاستعاذةَ في الصلاة قبلَ القراءةِ ليكونوا في حصن حصين من وسوسةِ الشياطين.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: إنَّ النبيَّ ﷺ كان يقولُ قبلَ القراءةِ: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[(٢)].

وكان النبي ﷺ إذا دخلَ في الصلاةِ استعاذَ بالله منَ الشيطانِ الرجيم قبل أن يقرأ.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**» ثُمَّ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ثَلاَثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا**» ثَلاَثًا «**أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**» ثُمَّ يَقْرَأُ)[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥١٠٣) إلى قوله: «ما لا ترون»، وأحمد (٣/٣٠٦)، وأبو يعلى (٢٢٢١)، والحاكم (٧٧٦٢) واللفظ لهم، [«صحيح الجامع» (٦٢٠)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، وأحمد (٣/ ٥٠)، [«المشكاة» (٧)].

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٧٧٥)، والترمذي (٢٤٢)، بهذا اللفظ، ورواه النسائي (٩٠٠) إلى قوله: «**ولا إله غيرك**» دون التكملة، [«صحيح أبي داود» (٧٤٨)].

والحكمةُ منَ الاستعاذةِ باللهِ منَ الشيطانِ الرجيم قبلَ القراءةَ

١- أنها تطردُ الشيطانَ فيصادفُ القرآنُ مكاناً خالياً فيتمكنُ منه ويؤثر فيه.

٢- أنها تمنعُ سعيَ الشيطانِ لإفسادِ الخيرِ الذي يحصلُ للقلبِ من القرآنِ الكريم.

٣-أنها تطردُ الشيطانَ فتحضرُ الملائكةُ لاستماعِ القرآنِ فهو يطلُبُ من اللهِ تعالى مباعدةَ عدوِّه حتى يحضرَه خاصُّ ملائكتِه.

٤- أنَّ القارئَ سيناجي ربَّه واللهُ يستمعُ إليه فأمرَ أن يسألَ اللهَ أن يطردَ عنه الشيطانَ.

٥- أمر أن يستعيذَ بالله منه حتى لا يشوشَ عليه قراءتَه ويَخْلِطَها عليه.

٦- أن الشيطانَ يحرصُ على إضلالِ الإنسانِ عندما يهمُّ بالخيرِ، أو يدخُلُ فيه فأمَرَ بالاستعاذةِ منه.

٧- أنَّ الاستعاذةَ إعلامٌ بأنَّ المتلوَّ بعدَها قرآنٌ، لهذا لم تُشْرَعْ بين يدي أيِّ كلامٍ سوى القرآن[1].

ثامناً: الاستعاذةُ باللهِ تعالى من شرِّ الشيطانِ في الصباحِ وفي المساءِ وعند النوم.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ: (يَا رَسُولَ اللهِ! مُرْنِى بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ:«**قُلِ: اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَىْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،**

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ١٠٩-١١٢) باختصار.

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» قَالَ: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»)[1].

تاسعاً: الاستعاذةُ بالله تعالى عند الفزَع من النوم.

كان النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُ أصحابَه أن يقولوا عند الفزعِ من النومِ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ**»[2].

فاستعيذوا بالله يا عبادَ الله من شرِّ الشيطانِ فإنّهُ مَنِ استعاذ بالله أعاذهُ، وعَوِّذوا أولادَكم من هذا الشيطانِ فإنَّ ذلكَ من هدي نبيِّنا ﷺ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»)[3].

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٥٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٧)، [«صحيح الأدب المفرد» (٩١٧)].

(٢) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٣٣)، وأحمد (٢/ ١٨١) بلفظ «التامة»، [«صحيح الترغيب» (١٦٠١)].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٣٣٧١).

٣٥

الحصنُ السادسُ

المداومةُ على ذكرِ الله

عداوةُ الشيطانِ للإنسانِ عداوةٌ قديمةٌ منذُ خلقَ اللهُ آدمَ، ومستمرةٌ ما دامَ الإنسانُ في هذه الحياةِ الدنيا، وهي عداوةٌ لا يُرجى زوالها ولا يُنتظرُ انقطاعها وذلك لأنَّ الشيطانَ عندما طردهُ اللهُ من رحمتِه ومن جنتِه قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

فالشيطانُ قَعدَ لابنِ آدمَ على كُلِّ طرقِ الخيرِ يمنعهُ منها، وقعدَ له أيضاً على كُلِّ طرقِ الشرِّ يدعوهُ إليها، ولم يكتفِ بذلك بل أخذَ يدخلُ عليه من مداخلَ شتى، وبطرقٍ شتى ليهلِكه وليجعلَهُ معهُ في حزبِه الخاسرِ الهالك.

وقد حذَّرَ اللهُ عبادَهُ منْ هذا العدو المبين.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

وقد حذرَ اللهُ عبادَهُ من الغفلةِ لأنها هي البابُ الواسعُ الذي يدخلُ منه الشيطانُ على ابن آدم.

فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرُف].

واللهُ عز وجل الرحيمُ بعبادهِ لم يترُكْهم سُدًى يواجهون هذا العدوَّ الخفيَّ بجهودِهم الضعيفةِ واجتهاداتِهمُ القاصرةِ، لا سيما أنهم يحاربون عدواً يراهم من حيثُ لا يرونه، ولكن أرشدَهم إلى الحصنِ الحصينِ الذي يتحصنونَ فيه من هذا العدوِّ ألا وهو: المداومةُ على ذكرِ اللهِ.

والدليلُ على ذلك:

قولُه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ**» وذكر منها: «**وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ**[1]**، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَأَحْرَزَ**[2] **نَفْسَهُ فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[3].

ولذلك لم يُذكَرِ الذكرُ في القرآنِ إلا موصوفاً بالكثرة.

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب].

وقولهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وقولِه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

---

(١) في أثره: أي في عقبه

(٢) فأحرز نفسه: أي حصنها وحفظها

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن حبان (٦٢٣٣) واللفظ له، [«صحيح الجامع» (١٧٢٤)].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ [الأنفال].

وقوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)﴾ [الأحزاب].

وقد أمرَ اللهُ عبادَهُ أن يجعلوا ذكرَ اللهِ أقصى غايتهم.

فقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾ [العنكبوت]. -أي: وَلَذِكْرُ العبدِ لله تعالى أكبرُ من سائرِ أعماله- (١).

ولذلك أمرَ اللهُ تعالى بالعبادةِ لِيُذكَرَ فيها، وأمرَ بذكرِهِ بعد الفراغ منها.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)﴾ [البقرة].

(١) الألوسي في تفسيره «روح المعاني» (٢٠/ ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٠٠].

فذِكْرُ الله هو (روحُ الأعمالِ الصالحةِ، فإذا خلا العملُ من الذكرِ كان كالجسدِ الذي لا روحَ فيه)(١).

كما قالَ النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْـحَيِّ وَالْـمَيِّتِ**»(٢).

وقد أمرَ اللهُ عبادَهُ بالذكرِ ونهاهم عن الغفلةِ والنسيانِ فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» (٤٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٠٧).

وجعلَ اللهُ الذكرَ عنوانَ الإيمان، والنسيانَ والغفلةَ عنوانَ النفاقِ والكفرانِ والخسرانِ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

• من استجابَ لأمرِ الله وذكرَ اللهَ كثيراً كما علَّمه النبيُّ ﷺ قطفَ الثمارَ اليانعةَ في الدنيا والآخرة ومنها:

أولاً: يُحفظُ من كيدِ الشياطين ويكونُ دائماً في حصنٍ حصينٍ.

قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ**

حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»[1].

وقال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[2].

ثانياً: الفلاحُ والمغفرةُ والأجرُ العظيم.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب].

ثالثاً: يُذكرُ الذاكرُ لله تعالى في الملأ الأعلى، ويتحصلُ على معية الله.

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[3].

فالذاكِرُ قريبٌ من مَذْكُورِه، ومَذْكُورُه معَهُ، وهذه المعيَّةُ معيَّةٌ خاصةٌ غيرَ معيَّةِ العلمِ والإحاطةِ العامة، فهي معيَّةٌ بالقربِ والولايةِ والمحبةِ والنصرَةِ والتوفيقِ،

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٨).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

ولو لم يكنْ في الذكر من فضلٍ وشرفٍ إلا هذه وحدَها لكفى بها فضلاً وشرفاً، فكيف وفضائِلُ الذكرِ لا تنحصرُ[1].

رابعاً: الذاكرُ للهِ تعالى يُصلي اللهُ عليه وملائكتُه، وتنزلُ عليه الملائكةُ والسكينةُ ويُخرجُهُ اللهُ من الظلماتِ إلى النور.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ: «**لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»[2].

خامساً: أهلُ الذكرِ يُباهي اللهُ بهمُ ملائكتَه.

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا قَالَ: «**آللهِ! مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**» قَالُوا: وَاللهِ! مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْـمَلاَئِكَةَ**»[3].

(١) «نضرة النعيم» (٥/ ٢٠١٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٠١).

سادساً: أهلُ الذكرِ يقومونَ بأفضلِ الأعمالِ وأجلِّها وأيسرِها.

قال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى**»(١).

وقال ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ**»(٣).

ولذلك لما جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ يقول: يا رسول الله! إن شرائعَ الإسلام قد كثُرتْ عليَّ فأخبِرْني بشيءٍ أتشبثُ به، فقال ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(٤).

كيف لا؟

وذكرُ الله يُطَمْئِنُ القلوبَ، ويشرحُ الصدورَ.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٥/ ١٩٥)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩٣)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٣).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، [«صحيح الترغيب» (١٤٩١)].

سابعاً: ذكرُ اللهِ مع البكاءِ في الخلوةِ سببٌ لإظلالِ اللهِ تعالى العبدَ يوم الحرِّ الأكبرِ في ظل عرشه.

قال ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» وعدَّ منهم: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

ثامناً: ذكرُ اللهِ غراسُ الجنة.

قال رسولُ الله ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْـمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**»(٣).

لذلك كُلِّهِ سبقَ الذاكرون يومَ القيامة؛ قال ﷺ: «**سَبَقَ الْـمُفَرِّدُونَ**»، قَالُوا: وَمَا الْـمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»(٤).

• يُعتبرُ ذكرُ اللهِ أعظمَ الأسلحةِ على الإطلاقِ في مواجهةِ عدوِّ الله (الشيطان) وردِّ كيدِهِ، فما حاربَ الإنسانُ عَدُوَّهُ الشيطانَ بمثل ذكرِ الله تعالى، حيثُ يتصاغرُ عدوُّ الله ويخْنُسُ، ويندَحرُ ذليلاً أمامَ الذكرِ على اختلافِ أنواعِه، وفي بيانِ هذه الحقيقة.يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٤٦٢)، [«صحيح الجامع» (٥١٥٢)].

(٣) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٣٤٦٤)، وأبو يعلى (٢٢٣٣)، [«صحيح الترغيب» (١٥٤٠)].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٧٦).

ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الناس].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا عَلَى قَلْبِهِ الْوَسْوَاسُ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وَإِنْ غَفَلَ وَسْوَسَ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾)[1].

وقال مجاهدٌ: (الشَّيْطَانُ يَكُونُ عَلَى قَلْبِ الإِنْسَانِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ)[2].

فذكرُ الله عز وجل حصنٌ حصين يتحصنُ به المسلمُ من كيد الشياطين، ولذلك جاءتْ أذكارٌ كثيرةٌ في السنةِ خاصةً تطردُ الشياطينَ ومنها على سبيل المثال:

١. ذكرُ اللهِ عند النوم (آية الكرسي).

قال الشيطانُ لأبي هريرةَ رضي الله عنه: (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»)[3].

٢. ذكرُ الله بعد الاستيقاظ من النوم.

قال ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ على مكانِ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ**

(١) رواه الحاكم (٣٩٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٦).
(٢) الطبري في «جامع البيان» (٢٤/ ٧١٠).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣١١).

انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»(١).

فذكرَ أنَّ الذي يطردُ الشيطانَ بعد النومِ ذكرُ الله، ثم الوضوءُ الذي هو شرطٌ من شروطِ الصلاةِ، ثم الصلاةُ التي شُرعَتْ لإقامةِ ذكرِ الله تعالى.

٣. ذكرُ اللهِ عندَ الأكلِ.

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: (كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْـجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا»)(٢).

٤. ذكرُ اللهِ عند دخولِ البيتِ.

يقول ﷺ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْـمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٣).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦)، واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٧).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠١٨).

٥. ذكرُ اللهِ عندَ الخروج من البيت.

قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ له حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»(١).

٦. ذكرُ اللهِ عند دخولِ الخلاءِ.

قال ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ»(٢).

٧. الأذانُ والإقامةُ يطردان الشيطانُ.

قال ﷺ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْـمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ لَهُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِى كَمْ صَلَّى»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وابن ماجه (٣٨٨٦) عن أبي هريرة بلفظ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ، كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللهِ قَالاَ: هُدِيتَ، وَإِذَا قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ قَالاَ: وُقِيتَ، وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ قَالاَ: كُفِيتَ، قَالَ: فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولاَنِ: مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»، [«صحيح الترغيب» (١٦٠٥)].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي (٦٠٦) وابن ماجه (٢٩٧) واللفظ له، [«الإرواء» (٥٠)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٢٢٢)، ومسلم (٣٨٩) واللفظ له.

وقد جاءت أذكارٌ كثيرةٌ في السنة المطهَّرَةِ، منها ما هو مطلقٌ ومنها ما هو مقيدٌ، فاحفظها يا عبدَ الله وداوِمْ على ذِكرها لتكونَ دائماً في حصنٍ حصين من كيدِ الشيطانِ الرجيم العدوِّ المبين.

اللهمَّ لا تجعلنا عن ذكرِك منَ الغافلينَ.

٣٦

الحصنُ السابعُ

لزومُ الجماعة

الشيطانُ عدوٌّ مبينٌ لبني آدمَ عامةً وللمسلمين خاصةً، يعملُ ليلاً ونهاراً لتفريقِ جماعةِ المسلمينَ ليتمكنَ من إضلالِهم وإهلاكِهم.

والأدلةُ على ذلك:

• عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ قال: (كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ**» فَلَمْ يَنْزِلوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى يُقَالُ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ)(١).

• وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: (قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!**»)(٢).

• وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ، لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ، إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكم بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٦٢٨)، وأحمد (٤/ ١٩٣)، والحاكم (٢٥٤٠)، وابن حبان (٢٦٩٠) واللفظ لهما، [«صحيح الترغيب» (٣١٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨١٣).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧) بلفظ الإفراد: «فعليك بالجماعة»، والنسائي (٨٤٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٧)].

• وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالْـجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ**»(١).

فالحصنُ الحصينُ للمسلمِ من الشيطانِ الرجيم والعدوِّ المبينِ هو: لزومُ الجماعةِ.

ولذلك جاءتِ الأدلةُ في الكتاب والسنة تأمرُ بالجماعةِ وتُحذِّرُ من الفُرْقَةِ والاختلافِ ومنها:

١- قولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٢-١٠٣].

فهذا دليلٌ ظاهرٌ ونصٌّ قاطعٌ على وجوبِ الاعتصامِ بكتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ ولزومِ جماعةِ المسلمينَ... ونهيٌ صريحٌ واضحٌ عنِ الاختلافِ والنزاعِ والشقاقِ والتناحرِ.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في خطبتِه: (عليكم جميعاً بالطاعةِ والجماعةِ، فإنها حبلُ الله الذي أمرَ به)(٢).

٢- قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٨١)، والحاكم (٣٨٧)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٦)].

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٣).

٣- وقولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ [آل عمران:١٠٥-١٠٦].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (تَبْيَضُّ وجوهُ أهلِ السنةِ والجماعةِ، وتسودُّ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ)(١).

٤- وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

نعم! لأنَّ هذا ليسَ منهجَ الأنبياء، إنما منهجُ الأنبياءِ عامةً وأولوا العزمِ خاصةً هو إقامةُ الدينِ لله سبحانه، والاجتماعُ وعدمُ التفرقِ.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى:١٣].

ولقد امتنَّ اللهُ عز وجلَّ على رسولِهِ ﷺ بنعمةِ التأليفِ بين قلوبِ المسلمينَ وجَعْلِهم جماعةً واحدةً.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال].

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٩٠).

وامتنَّ اللهُ على الصحابةِ ﭬ عامةً، وعلى الأنصارِ خاصةً بهذه النعمة.

فقال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وكان رسولُ الله ﷺ يُذكِّرُ الأنصارَ بهذه النعمة.

فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَـمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْـمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ -أي: من الغنائم- فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟**....الحديث»[(١)].

وها هو رسولُ الله ﷺ في سنتِه يأمرُ بالجماعةِ، ويُحذِّرُ من الفرقةِ والاختلاف.

١- قال ﷺ: «**الْـجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»[(٢)].

٢- وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا، يَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا ولا تَفَرَّقوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْـمَالِ**»[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) واللفظ له.

(٢) **حسن صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٣)، والبزار (٣٢٨٢)، [«صحيح الترغيب» (٩٧٦)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٧١٥).

٣- وقال ﷺ: «أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ تَفَرَّقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِي الأَهْوَاءِ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْـجَمَاعَةُ»(١).

٤- ويقولُ حذيفةُ ﷺ: (كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْـمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

وفي حديثِ حذيفةَ ﷺ فوائدُ جَمَّةٌ وأحكامٌ مهمةٌ منها:

أولاً: أن دينَ الإسلام دينُ خيرٍ وهدايةٍ ورشادٍ وفلاحٍ وسعادةٍ في الدنيا والآخرة، دليلُ ذلك قولُه: (فجاءنا الله بهذا الخير).

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧٧/ رقم ٨٨٥)، واللفظ لأبي داود [«صحيح الترغيب» (٥١)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦) (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

ثانياً: أنَّ الخيرَ والشرَّ يتصارعانِ ويتجادلان ويتجاذبان ويحاولُ كُلٌّ منهما سبقَ الآخرِ، وكَسْبَ الأطرافِ، والقضاءَ على ما هو مخالفٌ له، على مختلفِ العصورِ ومَرِّ الدهور، يدلُّ على ذلكَ قوله: (قلت: يا رسولَ اللهِ! هل بعدَ هذا الخيرِ من شر؟ قال: «**نعم**»).

وهذا درسٌ لنا وعبرةٌ واضحةٌ بأن نكونَ على علمٍ ويقينٍ بأنَّ الأمر لابد له من العملِ والصبرِ المقترنَينِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجدالِ بالتي هي أحسنُ حتى نهديَ الناسَ بإذنِ الله إلى الحقِّ والخير، ونجعلَهُمْ يدخلونَ في دينِ الله مقتنعينَ بأنه الدينُ الحقُّ والخاتِمُ للأديانِ جميعاً، أما إذا كانَ الحالُ عكسَ ذلك فإنَّ النتائجَ ستكونُ سلبيةً وعكسيةً تضرُّ بمصالحِ المسلمينَ، وتجعلُ الناسَ يَنْفِرونَ من هذا الدين، ويُلصِقونَ به الأوصافَ المُشينة التي هو منها براءٌ، وحاشا أن نكونَ ممن يكونُ لهم أثرٌ سلبيٌّ على الإسلامِ والمسلمين.

ثالثاً: أنَّ الشرَّ الذي حَذَّرَ منه الرسولُ ﷺ يتمثلُ في وجودِ «**دعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، وبالوصف الذي ذكرَه الرسولُ ﷺ: «**أنهم من أبناءِ جلدتِنا ويتكلمون بألسنتِنا**»، وما تعيشُه الأمةُ الإسلامِيةُ في هذا الوقتِ العصيبِ يُصدِّقُ حديثَ الصادقِ المصدوقِ حيثُ كَثُرَتِ الجماعاتُ، وانتشرتِ الأحزابُ، وظَهرتِ الفرقةُ، وبرزَ الاختلافُ بينَ أبناءِ الأمةِ الإسلاميةِ، فَوُجِدَ منَ الجماعاتِ من يربي الشبابَ على الغلوِّ والإفراطِ

والتكفيرِ العامِّ والخاصِّ بغير حق، ويَزُجُّ بهم في المهالكِ، ويجعلُهم يتقربونَ إلى اللهِ بالقتلِ والفسادِ والتخريب.

وَوُجِدَ منهم من يوجهُ الشبابَ إلى التفريطِ والجفاءِ والتقصيرِ والبعدِ عن مبادئِ الدينِ، والانغماسِ في الشبهاتِ والشهواتِ والانحرافِ السلوكيِّ، ونبذِ القِيمِ والأخلاقِ الإسلاميةِ الحقةِ، وكلٌّ يدعي الإصلاحَ والخيرَ وأنه الجماعةُ المقصودةُ بحديثِ الرسولِ ﷺ إلا أن هذا غيرُ صحيحٍ؛ لأن تلكَ الجماعاتِ وما انطوت عليه من مبادئ وأفكارٍ منحرفةٍ وما تسعى إليه من أهدافٍ وأغراضٍ بعيدةٍ كُلَّ البعدِ عن الجماعةِ التي أُمِرْنا بلزومها والانضواءِ تحتَ لوائِها، وحُذِّرْنا من الخروج عليها، وشقِّ عصا الطاعةِ فيها؛ لأنَّ الجماعةَ المقصودةَ في الحديثِ هي جماعةُ المسلمينَ التي تسيرُ على منهجِ رسولِ اللهِ ﷺ، ومنهجِ صحابتِه في جميعِ أمورِها.

رابعاً: أنَّ الإنسانَ المسلمَ مطلوبٌ منه عندَ ظهورِ أولئكَ الدعاةِ الواقفين على أبوابِ جهنَّم أن يلزمَ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم على أيِّ حالٍ من الأحوالِ؛ لأنَّ حذيفةَ رضي الله عنه سأل الرسولَ ﷺ عن المخْرجِ من ذلك -والمعنى: الخروج من هذه الجماعات وأولئك الدعاة-، فأرشدَه ﷺ بقوله: «**تلزمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامهم**»، حتى مع كراهيتِه لذلك؛ لأن ما يكرهُهُ الإنسانُ في الجماعةِ خيرٌ مما يحبُّه في الفرقةِ كما قالَ ذلك ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه (١).

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٥).

٥- وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(١).

٦- وقال ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ تسْأَلْ عَنْهُمْ» وذكر منهم: «رَجُلٌ فَارَقَ الْـجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا»(٢).

٧- وقال ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْـجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْـمَسْجِدِ»(٣).

• وقد جاءتِ الآثارُ عن الصحابةِ ﷺ ومن جاءَ بعدَهم من التابعين تدلُّ على لزومِ الجماعةِ وحُرمةِ الفُرقةِ ومنها:

١- عَنْ سُوَيْد بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: قَالَ لِي عُمَرُ ﷺ: (يَا أَبَا أُمَيَّةَ! إِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَلْقَاك بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْك عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجْدَعٌ، إِنْ ضَرَبَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ حَرَمَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَرَادَ أَمْرًا يَنْتَقِصُ دِينَك فَقُلْ: سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، دَمِي دُونَ دِينِي، فَلاَ تُفَارِقِ الْجَمَاعَةَ)(٤).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٠)، والبزار (٣٧٤٩)، والحاكم (٤١١)، واللفظ لأحمد والبزار [«صحيح الترغيب» (١٨٨٧)].

(٣) **حسن لغيره**: رواه أحمد (٥/ ٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٦٤/ رقم٣٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٧٤)، [محققو المسند].

(٤) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٧١١)، والخلال في «السنة» (٥٤)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٢٠٥)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٤٣)، [«الآثار الصحيحة» (٢٥٨)].

٢- كتب رجلُ إلى ابن عمرَ يسألُه عن العلمِ. فكتب إليه ابنُ عمرَ: (إنك كتبتَ إليَّ تسألُني عن العلم، والعلمُ أكبرُ من أنْ أكتبَ به إليك، ولكن إن استطعتَ أن تلقى اللهَ وأنت خفيفُ الظهرِ من دماءِ المسلمين، خميصُ البطنِ من أموالِهم، كافُّ اللسانِ عن أعراضهم، لازماً لجماعتهم فافعل)[١].

٣- وعن سليم بنِ الأسودِ قال: خَرَجْنَا مَعَ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه فَقُلْنَا لَهُ: (اعْهَدْ إِلَيْنَا. فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَلُزُومِ جَمَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَنْ يَجْمَعَ جَمَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلالَةٍ، وَإِنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللهِ، وَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحُ مِنْ فَاجِرٍ)[٢].

• إن الالتزامَ بالجماعةِ مطردةٌ للشيطانِ مرضاةٌ للرحمن، وقد جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ والآثارِ تأمرُ بالجماعةِ وتُحَذِّرُ من الفرقةِ، فعليكم بالجماعةِ إنما يأكلُ الذئبُ من الغنمِ القاصية الشاردة.

قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ**»[٣].

وقال ﷺ لحذيفةَ رضي الله عنه: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْـمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»[٤].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢٥٦)، (٣١/ ١٧٠).

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٨٥٤٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥/ ٣٥) بلفظ مختصر، [«الآثار الصحيحة» (٥٦)].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٧٥)، وأحمد (١/ ٢٦)، وابن حبان (٤٥٧)، واللفظ للترمذي [«الظلال» (٨٨)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) واللفظ له.

وقال ﷺ: «...**فَعَلَيْكَم بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[(١)].

والالتزامُ بالجماعةِ يقتضي أمرين:

الأول: الالتزامُ بالجماعةِ اعتقاداً واتباعاً ومنهجاً.

الثاني: الالتزامُ بالجماعةِ صفاً. وهو أن تكونَ بقلبِكَ وقالَبِكَ مع أهل الحقِّ أينما كانوا وحيثما كانوا.

وأهلُ الحقِّ هم الذين قال فيهم رسولُ الله ﷺ: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[(٢)].

ولأهلِ الحقِّ علاماتٌ وسماتٌ يُعْرفون بها منها:

أولاً: يعبدونَ اللهَ وحدَه، ويبتعدون عن كلِّ مظاهرِ الشركِ، استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

ثانياً: يَتَّبعونَ رسولَ الله ﷺ وحدَه ويبتعدون عن كلِّ مظاهرِ البدعِ؛ استجابةً لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

ولقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧].

ولقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة:٦].

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧) بلفظ الإفراد: «فعليك بالجماعة»، والنسائي (٨٤٧)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٧)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٠).

ثالثاً: يسلكونَ منهجَ الصحابةِ ﭫ ويبتعدونَ عن كلِّ مناهج أهلِ الضلال، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

رابعاً: أنهم لا يقدمون قولَ أحدٍ مهما كان على قولِ رسولِ الله ﷺ استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحُجُرات].

خامساً: أنهم يوالون لله ويعادون في الله، استجابة لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

ولقوله ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ: الْـمُوَالاةُ فِي اللهِ، وَالْـمُعَادَاةُ فِي اللهِ، والْـحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**»(١).

• والجماعةُ في الإسلام تُطْلَقُ على مفهومين:

المفهوم الأول: جماعةُ الصلاة

وتسمى صلاةَ الجماعة؛ وهي الجماعةُ الصغرى، وهذه الجماعةُ اعتنى بها الإسلامُ واهتمَّ بها اهتماماً بالغاً، وهي تتألفُ من: إمامٍ ومأمومين مأمورين باتباع الإمام ومتابعته.

لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا،**

(١) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» (١١٥٣٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٦٨) كلاهما دون قوله: «المعاداة في الله»، و[«صحيح الجامع» (٢٥٣٩)].

وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»(١).

وهذه الجماعةُ توجيهٌ ودليلٌ على الجماعةِ الكبرى، وتربيةٌ شرعيةٌ على لزومِها، وطاعةِ وليِّ الأمرِ فيها والالتزامِ بكلِّ واجباتِها.

المفهوم الثاني: الجماعةُ الكبرى.

وهي التي ينتظمُ فيها أفرادُ الأمةِ الإسلاميةِ إذا كانت مجتمعةً، أو أفرادُ البلدِ الواحدِ فيما سوى ذلك، وهم مأمورونَ بالقيامِ بحقوقِها وأداءِ واجباتِها، والانتظامِ فيها، والحِفاظِ على وَحْدتها، والحذرِ من التأثيرِ عليها، والبُعدِ عن كلِّ ما يسببُ فرقَتَها واختلافها، والدفاعِ عنها، ودَحرِ كُلِّ مَنْ يَرومُها بِعدَاءٍ أو سوءٍ، من داخل الجماعةِ أو من خارجِها(٢).

وهذه الجماعةُ التي قالَ فيها النبيُّ ﷺ: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً** -يعني في الأهواء- **كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْـجَمَاعَةُ**»(٣).

وفي رواية: قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٤).

وقال ﷺ: «**مَنْ فَارَقَ الْـجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ**»(٥).

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣٤)، ومسلم (٤١٧) واللفظ للبخاري.

(٢) انظر كتاب «مفهوم الجماعة والإمامة» (ص٢٠).

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والحاكم (٤٤٣) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (٥١)].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي (٢٦٤١)، والمروزي في «السنة» (٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٢)، [«السلسلة الصحيحة» (١٣٤٨)].

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٦٠)، وأحمد (٥/ ١٨٠)، والبزار (٤٠٥٨)، [«صحيح الجامع» (٦٤١٠)].

٣٧

الحصنُ الثامنُ

المحافظةُ على صلاةِ الجماعةِ

يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

موعدُنا إنْ شاءَ اللهُ تعالى مع حصنٍ جديدٍ من تحصيناتِ الإنسانِ ضدَّ الشيطانِ ألا وهو:

المحافظةُ على صلاةِ الجماعة.

يقولُ ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ، لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ، إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَم بِالْـجَمَاعَةِ -أي: بصلاة الجماعة- فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[1].

فالذي يُحافظُ على صلاةِ الجماعةِ يكونُ في حصنٍ حصينٍ من الشيطانِ الرجيمِ، والذي يتهاونُ بصلاةِ الجماعةِ يُعَرِّضُ نفسَهُ لاعتداءِ الشيطانِ عليه، كما تُعَرِّضُ الشاةُ التي تمشي وحدَها نفسَها لاعتداءِ الذئبِ عليها.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧) بلفظ: «فعليك بالجماعة»، والنسائي (٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٧)].

وصلاةُ الجماعةِ في المسجدِ لا يُحافظُ عليها إلا الرجالُ الصالحونَ، ولا يتخلفُ عنها إلا المنافقونَ، والنساءُ، وأصحابُ الأعذار.

أما الدليلُ على أنهُ لا يُحافظُ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ إلا الرجالُ الصالحونَ:

قولُهُ تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)** ﴾ [النور].

هؤلاءِ الرجالُ همُ الذين قال اللهُ في وصفهم: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)** ﴾ [المؤمنون].

ويقول ابنُ مسعودٍ في وصفِ هؤلاء: (وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى[1] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[2].

وأما الدليلُ على أنهُ لا يتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ إلا المنافقون.

قولُه ﷺ: «**إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْـمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا** -أي: من الأجرِ- **لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ**

(١) يهادي: يمشي معتمداً عليهما.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ -أي:في جماعةٍ في المسجدِ وهم المنافقون- **فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[١].

وقولُ ابنِ مسعودٍ ﷺ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا -أي: عن صلاة الجماعةِ في المسجدِ- إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ)[٢].

كيف لا؟

واللهُ عز وجل يقولُ في وصفِ المنافقينَ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة:٥٤].

ويقولُ في موضعٍ آخر: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢].

وأما الدليلُ على أنَّ صلاةَ الجماعةِ في المسجدِ ليست واجبةً على النساء وإنما هي في حقهنَّ مباحةٌ

قولُه ﷺ: «**لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْـمَسَاجِدَ، وَبُيُوتُهُنَّ خَيْرٌ لَهُنَّ**»[٣].

وأما الدليلُ على أنَّ صلاةَ الجماعةِ في المسجدِ ليست واجبةً على أصحابِ الأعذار.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٢٠)من قوله: «لقد هممت ...»، ورواه مسلم (٥٦١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٣) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد (٢/ ٧٦)، وابن خزيمة (١٦٨٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٤٣)].

قولُه تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وقولُه تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقولُه ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

وقولُه ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ، فَلاَ صَلاَةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»(٢).

فيا أيها المتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ من أيِّ هذهِ الأصنافِ أنت؟

هل نسيتَ أن صلاةَ الجماعةِ في المسجدِ واجبةٌ على الرجالِ إلا من عذرٍ، أم شَغَلَتْكَ الدنيا الفانيةُ، أم استحوذَ عليك الشيطانُ فأنساكَ ذكرَ الله والصلاةَ؟

وقد جاءتِ الأَدلةُ في الكتابِ والسنةِ وأقوالِ الصحابةِ تدلُّ على أنَّ صلاةَ الجماعةِ في المسجدِ على الرجالِ واجبةٌ إلا من عذر.

الأدلةُ من كتابِ الله تبارك وتعالى:

١- قولُه تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

فأمرَ اللهُ عبادَهُ المؤمنينَ بالمحافظةِ على الصلاةِ، ومن المحافظةِ على الصلاةِ أن تُصَلَّى في وقتِها في المسجدِ في جماعة.

---

(١) **متفق عليه: رواه البخاري** (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣) بلفظ «...**النداء فلم يأته**»، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٣)، وابن حبان (٢٠٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٦)].

٢- قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة].

فأمر اللهُ عبادَهُ المؤمنين بالاستجابةِ للنداءِ للصلاة في المسجدِ في جماعةٍ في صلاةِ الجمعةِ خاصةً، وفي الصلواتِ الخمسِ عامةً.

٣- قولُه تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة].

ففي هذه الآيةِ أَمَرَ اللهُ عز وجل عبادَهُ بأمورٍ:

الأولُ: أمرهم بإقامةِ الصلاةِ.

والثاني: أمرهم بإيتاءِ الزكاةِ.

والثالث: أمرهم بالركوعِ مع الراكعين، أينَ؟ في بيوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرفَعَ ويذكرَ فيها اسمُه؛ في المساجدِ، وليس في البيوتِ ولا في الأسواق...!!

فما الفرقُ بينَ الأمرِ الأولِ والثاني والثالث؟! لا فرقَ، فالأمرُ للوجوبِ.

٤- ويقولُ جل وعلا: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾ [النساء].

ففي قوله تعالى: ﴿فَلْتَقُمْ﴾ اللامُ هنا للأمر، والأصلُ في الأمرِ الوجوبُ، ووجهُ الدلالةِ على وجوبِ صلاةِ الجماعةِ منْ هذه الآية أن اللهَ عزوجل أمر بصلاةِ الجماعةِ حتى في زمنِ ووقتِ الخوفِ، في أرضِ المعركةِ، أمر المسلمين بإقامةِ صلاةِ الجماعةِ، وعَدوُّ اللهِ وعدوُّ نبيِّهِ وعدوُّ كتابه يقاتلُهم.

فلو كانت سنةً كما زعم البعضُ، ما أمرهم أن يصلوا جماعةً في أرضِ المعركةِ في زمنِ القتالِ!!

أما الأَدلةُ من السنةِ على وجوبِ الصلاة جماعةً في المسجدِ فنذكرُ منها:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَجِبْ**»)[1].

فيا أيها المتخلفُ عن صلاةِ الجماعةِ! أما تخشى أن يسلِبَكَ اللهُ بصرَك؟ وحتى لو سُلبتَ بصرَك فلا عذرَ لك أن تتخلفَ عن صلاةِ الجماعةِ! فاتقِ الله يا مَنْ منَّ اللهُ عليه ببصرٍ وصحةٍ وقربٍ من المسجدِ، ودابةٍ تحملُك، ومالٍ وولدٍ وزوجةٍ، ثم أنت بعدَ ذلكَ تسمعُ النداءَ في اليوم خمسَ مراتٍ ولا تلبي داعيَ اللهِ!! يا من تتشدقُ بالكلامِ عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ، كيف تلبي غداً نداءَ الجهادِ في سبيل الله؟

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٣).

٢- ويقول ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ، فَلاَ صَلاَةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[1].

٣- ويقول ﷺ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ** -أي: في جماعةٍ في المسجدِ وهم المنافقون-، **فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»[2].

وما مَنَعَ الرسولَ ﷺ عن فعلِ ذلك إلا لأنه لا يُحرِّقُ بالنارِ إلا الذي خلقها.

٤- وقال ﷺ: «**مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ، لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ، إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»[3].

٥- وقال ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنْ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، أَوْ لأُحَرِّقَنَّ بُيُوتَهُمْ**»[4].

فهذا الذي لا يصلي في جماعة استحوذ عليه الشيطانُ، ومنكم أيها الأخوة من يصلي في جماعة، ومنكم من يصلي في بيته بعضَ الصلوات، فبالله عليك يا عبدَ الله هل تستوي عندَك الصلاةُ في المسجدِ وصلاتُك وحدَك في بيتِك، أو في محلِّكَ، أو في سوقكَ؟ أما رسولُ الله ﷺ وصالحُ المؤمنين فلم يجدوها سواءً، والأهمُّ من ذلك أن الله أمرهم بالصلاةِ في المسجدِ فاستجابوا لأمره.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٧٩٣) بلفظ: «...**النداء فلم يأته**»، والطبراني في «الأوسط» (٤٣٠٣)، وابن حبان (٢٠٦٤)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٦)].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٢٤٢٠) بلفظ «**لقد هممت** ..»، ومسلم (٥٦١) واللفظ له.

(٣) **حسن صحيح**: رواه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٨٤٧)، وابن خزيمة (١٤٨٦)، [«صحيح الترغيب» (٤٢٧)].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه ابن ماجه (٧٩٥)، [«صحيح الترغيب» (٤٣٣)].

٦- يقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى[١] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[٢].

وإذا كان الرجلُ المريضُ في زمن الصحابة يؤتى به يمشي بين الرجلين حتى يقامَ في الصف، فذلك دليلٌ على وجوبِ الصلاةِ جماعةً في المسجدِ.

والصحابةُ رضي الله عنهم في ذلك مقتدون بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقد خرجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى الصلاةِ في مرضِ موتِه بين رجلين من أهله، ورجلاه تخُطانِ في الأرض. وعلى ذلك بوَّبَ الإمامُ البخاريُّ في «صحيحه»: بابُ حدِّ المريضِ الذي يشهدُ الجماعة، وساقَ فيه هذا الحديث.

• وأما الذين قالوا: إن صلاةَ الجماعة سنةٌ واستدلوا على قولهم بما يلي:

١- يقولُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**»[٣].

٢- ويقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا**»[٤].

استدلَّ بعضُ المتخلفين عن صلاةِ الجماعةِ بهذه الأدلةِ على سُنِّيَّةِ صلاةِ الجماعة، نقول: هذا استدلالٌ ضعيفٌ جداً ولا يجوزُ، لِمَ؟

---

(١) يهادي: يمشي معتمداً عليهما.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤)

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٧).

أولاً: لأنَّ هذه الأحاديثَ جاءت لبيان فضلِ وثوابِ صلاةِ الجماعة، ولم تأتِ لبيان حكمِ صلاةِ الجماعة.

ثانياً: هذه الأحاديثُ تبينُ أن من صلى وحدَه في بيتِه أو سوقِه فصلاتُه تُجزئُهُ ولا يُطالَبُ بإعادتها، ولكنه آثمٌ بِتخلفِه عن صلاةِ الجماعة بدون عذرٍ شرعيٍّ بدليلِ الأحاديثِ التي سبقتها، فنقولُ: من صلى وحده في بيته أو في سوقِه فالصحيحُ أن هذه الصلاة سقطت عنه ولا يطالبُ بإعادتها، ولكنه آثمٌ بتخلفه عن صلاةِ الجماعة بدونِ عذرٍ شرعي.

• وها همُ الصحابةُ ﭫ أحرصُ الناسِ على الخير، وأفهمُ الناسِ للكتاب والسنة يضربونَ للأمةِ أروعَ الأمثلةِ في المحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المسجد.

١- فهذا ابنُ مسعودٍ ﭬ يبينُ حالَ الصحابةِ مع صلاةِ الجماعة في المسجد وحالَ المتخلفين عنها.

فيقولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ،.....وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا -أي:عن صلاة الجماعة في المسجد- إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى[1] بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[2].

(١) يهادي: يمشي معتمداً عليهما.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

وهذا أُبيٌّ بنُ كعبٍ ﷺ يقول: (كَانَ رَجُلٌ لاَ أَعْلَمُ رَجُلاً أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لاَ تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»**)[1].

أيها المتخلفُ عن صلاةِ الجماعة في المسجد بدون عذرٍ شرعيٍّ:

أولاً: عَرَّضْتَ نفسك للإثم، لأنَّ اللهَ أمرك في كتابه بالمحافظةِ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ ولم تستجبْ لأمره، وأمرك النبيُّ ﷺ في سنتِه بالمحافظةِ عليها ولم تستجبْ لأمره.

ثانياً: عَرَّضْتَ نفسك لاعتداءِ الشيطان، لأنَّ الشيطانَ يعتدي على المتخلفِ عن صلاةِ الجماعة.

ثالثاً: حَرَمْتَ نفسَك من الأجر العظيم الذي يتحصَّلُ عليه المحافظُ على صلاةِ الجماعة في المسجد.

ويظهرُ ذلك من قوله ﷺ: **«صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي الْـجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ**

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٦٣).

عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْـمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ: اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ»[1].

وفي رواية: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**»[2].

كيف تتخلفُ يا مسلمُ عن صلاةِ الجماعة في المسجد؟

والرسولُ ﷺ يقول: «**أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْـخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْـمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْـخُطَا إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[3].

ويقول ﷺ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْـمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الأَقْدَامِ إِلَى الْـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، يَغْسِلُ الْـخَطَايَا غَسْلاً**»[4].

كيف تتخلفُ يا مسلمُ عن صلاةِ الجماعة في المسجد؟

والرسول ﷺ يقول: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلاَّهَا مَعَ الإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**»[5].

فاحذَرْ يا مسلمُ أن تتخلفَ عن صلاة الجماعةِ في المسجدِ فتتشبهَ بالمنافقين.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧)، ومسلم (٦٤٩) واللفظ للبخاري.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٥١).

(٤) **صحيح**: رواه البزار (٥٢٨)، وأبو يعلى (٤٨٨)، والحاكم (٤٥٦)، [«صحيح الترغيب» (١٩١)].

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١/ ٦٧) (١/ ٧١)، وابن خزيمة (١٤٨٩)، والبزار (٤٣٧) ورواية أحمد والبزار بدون قوله: (مع الإمام) [«صحيح الترغيب» (٣٠٠)].

فها هو ابنُ مسعودٍ ﵁ يقول: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ)[1].

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤)

٣٨

الحصنُ التاسعُ

التمسكُ بسنةِ رسولِ الله ﷺ

يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة].

موعدُنا مع حصنٍ جديدٍ من تحصيناتِ الإنسانِ ضدَّ الشيطانِ، أتدرون ما هو يا عبادَ الله؟

إنه التمسكُ بسنةِ رسولِ الله ﷺ.

قال علماءُ السلفِ: (السنةُ هي العملُ بالكتابِ والسنةِ والاقتداءُ بصالحِ السلفِ واتباعُ الأثر)[1].

وقال ابنُ رجبٍ رحمه الله: (السنةُ هي الطريقُ المسلوكُ، فيشملُ ذلك التمسكَ بما كان عليه النبيُّ ﷺ وخلفاؤهُ الراشدون منَ الاعتقاداتِ والأعمالِ والأقوال)[1].

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٢٨).

فالسنةُ هي طريقةُ النبيِّ ﷺ وصحابتِهِ الكرامِ، وهي الصراطُ المستقيمُ، وهي سبيلُ الله، وهي سبيلُ المؤمنين.

وأعظمُ سبيلٍ للحمايةِ من الشيطانِ الرجيمِ هو التمسكُ بسنةِ محمدٍ ﷺ عملاً وعلماً، فالسنةُ هي الصراطُ المستقيمُ الذي يعملُ الشيطان ليلاً ونهاراً ليخرجَ الناسَ عنه إلى سُبُلِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ.

واللهُ عز وجل يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد شرحَ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ وبَيَّنَها أحسنَ بيان، يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ الله**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ﴾ [الأنعام:١٥٣] الآية)(٢).

فهذا الحديثُ وهذهِ الآيةُ وهذا البيانُ من رسولِ الله ﷺ يبينُ للمسلمينَ أن التمسكَ بسنةِ رسولِ الله ﷺ -أي: بطريقتِه- حصنٌ حصين من كيد الشياطين، وأن من تركها وسلكَ سُبُلَ أهلِ الأهواءِ والبدعِ استحوذتْ عليه الشياطينُ ولذلك جاءتِ الأدلةُ في الكتابِ والسنةِ وأقوالِ الصحابةِ والسلفِ الصالحِ تأمرُ باتباعِ السنةِ والتمسكِ بها، وتُحَذِّرُ من البدعةِ وطُرقِ أهلِ الضلالِ.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٢٨).

(٢) حسن: رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، وأحمد (١/ ٤٣٥)، والطيالسي (٢٤١)، والدارمي (٢٠٢)، [«المشكاة» (٢٧)].

أولاً: الأدلةُ من كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤].

ثم حَذَّرَ ربُّنا جل وعلا في كتابه من مخالفةِ سنةِ النبيِّ ﷺ فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة:٩٢].

ويخبرُنا ربُّنا جل وعلا في كتابه عن ندمِ الذين عَصَوْا رسولَ اللهِ ﷺ وتركوا سنتَهُ، وسلكوا سُبُلَ أهلِ الأهواء.

فقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب].

ثانياً: الأدلةُ من السنة:

عن العِرباض بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: (وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ

هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ الله ؟ قَال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»)(١).

وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ من مخالفةِ سنتهِ.

يقول أنسٌ رضي الله عنه: (جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»)(٢).

ثالثاً: الأدلةُ من أقوالِ الصحابةِ رضي الله عنهم والسلفِ الصالح.

١ - فهذا ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه قال: (اتَّبِعُوا، وَلا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُم)(٣).

ويقول أيضاً: (مَنْ كان منكم مُسْتَنّاً فليستَنَّ بمن قَدْ ماتَ؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئكَ أصحابُ محمدٍ، كانوا واللهِ أفضلَ هذهِ الأمة، أبرَّها قلوباً

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤)، [«صحيح الترغيب» (٣٧)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) واللفظ للبخاري.

(٣) **صحيح**: رواه الدارمي (٢٠٥)، والطبراني (٨٧٧٠)، [«حجة النبي» (١٠٠)]

وأعمقَها علماً وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارَهُمُ اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينِهِ، فاعرِفوا لهم فضلَهم واتَّبِعوهم في آثارِهم، وتَـمَسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم ودينِهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[1].

٢- وهذا الحسنُ البصريُّ رحمه الله يقول: (سُنَّتُكُمْ واللهِ وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ بَيْنَهُمَا؛ بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ فِيمَا مَضَى، وَهُمْ أَقَلُّ النَّاسِ فِيمَا بَقِيَ، الَّذِينَ لَمْ يَذْهَبُوا مَعَ أَهْلِ الإِتْرَافِ فِي إِتْرَافِهِمْ، وَلاَ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي بِدَعِهِمْ، وَصَبَرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى لَقُوا رَبَّهُمْ، فَكَذَاكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ فَكُونُوا)[2].

٣- وهذا عمرُ بنُ عبدِ العزيز يكتبُ كتاباً لرجلٍ يقولُ فيه: (أَمَّا بَعْدُ! أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالاِقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ....فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ)[3].

٤- وهذا سفيانُ الثوريُّ رحمه الله يقول: (استوصوا بأهل السُنة خيراً؛ فإنهم غرباء)[4].

ويقول أيضاً: (لا يستقيم قولٌ إلا بعمل، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ إلا بنية، ولا يستقيمُ قولٌ و عملٌ ونيةٌ إلا بموافقةِ السنة)[5].

---

(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٤، ٢١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٩)، والقرطبي في «تفسيره» من طريق سُنيد (١/ ٦٠) بلفظ: (من كان منكم متأسيا فليتأسى...) وروي باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمر، رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥)، والخطيب في «تالي التلخيص» (١/ ٣٧١).

(٢) رواه الدارمي (٢٢٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦١٢)، وابن وضاح في «البدع» (٧٣)، [«صحيح أبي داود»].

(٤) اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٩).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٢).

• وقد ضربَ الصحابةُ ﭫ والسلفُ الصالح أروعَ الأمثلةِ في التمسكِ بسنةِ رسولِ الله ﷺ.

١- هذا أبو بكرٍ الصديقُ ﭬ يقول: (لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِه، فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ)[١].

عَلَّقَ ابنُ بطةَ على هذا بقوله: (هذا يا إخواني الصِّديقُ الأكبرُ يتخوفُ على نفسِه الزيغَ إن هو خالفَ شيئاً من أمر نبيِّه ﷺ، فماذا عَسى أن يكونَ من زمانٍ أضحى أهلُه يستهزئون بنبيِّهم وبأوامِره، ويتباهَوْنَ بمخالفتِه، ويسخرون بسنتِه؟ نسألُ اللهَ عصمةً منَ الزللِ، ونجاةً من سوءِ العمل)[٢].

٢- وهذا الفاروقُ عمرُ ﭬ وردَ (أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ)[٣].

٣- وهذا عثمانُ بنُ عفانَ ﭬ قعد يوماً على المقاعِد -يعني مقاعدَ الوضوءِ- فتوضأ ثم دعا بطعام مما مسّته النارُ فأكلَ منه، ثم قامَ إلى الصلاة فصلى ثم قال عثمان: (قَعَدْتُ مَقْعَدَ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَكَلْتُ طَعَامَ رَسُولِ الله ﷺ، وَصَلَّيْتُ صَلاةَ رَسُولِ الله ﷺ)[٤].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩).

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٤٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٤) **حسن لغيره**: رواه أحمد (١/ ٧٠)، [«محققو المسند»].

٤- وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: (مَا كُنْتُ أَرَى بَاطِنَ الْقَدَمَيْنِ إِلَّا أَحَقَّ بِالْغَسْلِ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَمْسَحُ عَلَى ظَهْرِ خُفَّيْهِ)(١).

٥- وعندما أفتى ابنُ عباسٍ بجواز التمتعِ بالعمرةِ إلى الحَجِّ، قالوا: لكنَّ أبا بكرٍ وعمرَ يقولان خلافَ قولِك؟ فغضبَ ابنُ عباسٍ وقال: يوشِكُ أن تُرْجَموا بحجارةٍ منَ السماءِ، أقولُ: قالَ رسولُ الله؟ وتقولون قال: أبو بكرٍ وعمرُ؟!(٢).

٦- وسمعَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما رَجُلاً عَطَسَ فَقَالَ: (الْحَمْدُ لله وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَنَا أَقُولُ: الْحَمْدُ لله وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ الله، قال: وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ الله ﷺ بل قال: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَحْمَدِ اللهَ**»(٣) ولم يقل: وَلْيُصَلِّ على رسولِ الله).

قال ﷺ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلْ الذي يرد عليه: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَيَقُولُ هُوَ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»(٤).

٧- جاءَ رجلٌ إلى الإمامِ مالكٍ فقالَ له: (مِنْ أينَ أُحرمُ؟ قال له: مِنْ ذي الحُليفةِ، مِنْ حيثُ أحرَمَ رسولُ الله ﷺ، فقالَ الرجلُ: إني أريدُ أن أحرِمَ منَ المسجدِ - أي: النبويِّ- مِنْ عندِ القبرِ، قال له: لا تفعلْ، فإني أخشى عليكَ الفتنةَ، قال الرجلُ: وأيُّ فتنةٍ في هذه؟! إنما هي أميالٌ أزيدُها، فقالَ الإمامُ مالكٌ: أيُّ فتنةٍ أعظمُ مِنْ أن ترى أنكَ سَبَقْتَ إلى فضيلةٍ قصَّرَ عنها رسولُ الله ﷺ؟

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٣)، وأحمد (١/ ٩٥)، [«صحيح أبي داود» (١٤٨)].

(٢) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٩٦).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٢٧٣٨)، والحاكم (٧٦٩١)، [«إرواء الغليل» (٣/ ٢٤٥)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٧٤١)، وأحمد (٥/ ٤١٩)، والطيالسي (٥٩٢)، [«صحيح الجامع» (٦٨٧)].

إني سمعتُ اللهَ عز وجل يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور][1].

٨- وهذا سعيدُ بنِ المسيَّب رحمه الله من التابعين رَأَى رَجُلاً يُصَلِّي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ، يُكْثِرُ فِيهَا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ فنَهَاهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! يُعَذِّبُنِي اللهُ عَلَى الصَّلاَةِ؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ عَلَى خِلاَفِ السُّنَّةِ[2].

• لماذا كان الصحابةُ رضي الله عنهم والسلفُ الصالح يتمسكون بسنةِ رسول الله ﷺ ويدافعون عنها وينشرونها بين الناسَ، ويُحَذِّرونَ من البدعةِ؟

الجواب:

أولاً: لأنَّ اتباعَ سنةِ رسولِ الله ﷺ حصنٌ حصين من الشيطانِ الرجيم.

ثانياً: لأنَّ في اتباعِ السنةِ الهدى، وفي مخالفتها الضلال.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٢٦).
(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٦٦).

وقال ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**»[1].

وقال ﷺ: «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ**»[2].

وبينَ الله عز وجل أن من عصى الرسولَ وترك سنتَه فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب].

ويقول ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ)[3].

ثالثاً: لأن في اتباعِ السنة النجاةَ والفوزَ، وفي مخالفتها الهلاكَ.

يقول ربُّنا جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب].

وقال ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ! إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ! فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْـجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْـحَقِّ**»[4].

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٥٨)، و ابن حبان (١١)، والبزار (٢٣٤٥)، و ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٩٦) [«صحيح الترغيب» (٥٦)].

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (٣١٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤)، [«صحيح الترغيب» (٤٠)].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٥٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

وقال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله! وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الـجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(١).

وقال ﷺ: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(٢).

وقال الزُّهْرِيُّ رحمه الله: (الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ)(٣).

لأنَّ السنةَ كما قال الإمامُ مالكٌ: (مثلُ سفينةِ نوحٍ؛ مَنْ ركبها نجا، ومن تخلفَ عنها غرق)(٤).

رابعاً: لأنَّ اتباعَ السنةِ يُبَيِّضُ الوجوهَ في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آل عمران].

قال علماءُ التفسير: تَبْيَضُّ وجوهُ أهلِ السنةِ -ونسألُ اللهَ أن نكون منهم- وتسوَدُّ وجوهُ أهلِ البدعة.

• فمَنْ أرادَ النجاةَ منَ الشيطانِ وأرادَ سعادةً الدنيا والآخرة فعليه أن يتمسكَ بسنةِ رسولِ الله ﷺ، وعليه أيضاً أن يُحذِّرَ من البدعةِ، ومن المبتدعةِ؛ لأن البدعةَ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (٣٣١)، [«صحيح الترغيب» (٥٩)].

(٣) **صحيح**: رواه الدارمي (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٦٩)، [«الآثار الصحيحة» (٦٧)]

(٤) رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٤/ ١٢٤).

شرٌ على المجتمعُ منَ المعصيةِ، ولأنَّ المبتدعَ أضرُّ على المجتمع من العاصي، ولذلك جاءتِ الأدلةُ عن الصحابةِ رضي الله عنهم والسلفِ الصالحِ تحذِّرُ مِنْ مصاحبةِ المبتدعةِ ومن مجالستِهم والاستماعِ إليهم والنظر إليهم ومنها:

١- يقول سعيدُ بنُ جبيرٍ رحمه الله: (لَأَنْ يَصْحَبَ اِبْنِي فَاسِقًا شَاطِرًا(١) سُنِّيًّا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْحَبَ عَابِدًا مُبْتَدِعًا)(٢).

٢- وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (لا تُجالس أهلَ الأهواء -وهم المبتدعةُ- فإن مجالسَتهم مَمْرَضَةٌ للقلوب)(٣).

٣- وقال الفُضَيلُ: (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ فخذ في طريق آخر)(٤).

وقال: (من أعانَ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هدمِ الإسلام)(٥).

وقال أيضاً: (من زوَّجَ كريمتَهُ -أي: ابنتهُ- من مبتدع فقد قَطَعَ رَحِمَها)(٦).

٤- وقال أبو إدريسَ الخَوْلانيُّ: (لَأَنْ أرى في المسجد ناراً لا أستطيعُ إطفاءَها أحبُّ إليَّ مِنْ أن أرى فيه بدعةً لا أستطيعُ تغييرَها)(٧).

---

(١) الشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ١٢٧).

(٣) رواه الفريابي في «القدر» (٣٧١)، والآجري في «الشريعة» (١٣٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ١٢٧).

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، و ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٤٧٥).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣).

(٦) رواه ابن حبان في «الثقات» (٨/ ١٦٦)، وأبو نعيم في«الحلية» (٨/ ١٠٣). واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٧٣٣).

(٧) **صحيح**: رواه المروزي في «السنة» (٩٩)، وابن وضاح في «البدع» (٨٦)، [«الآثار الصحيحة» (١٢٣)].

• وهذه رسالةُ نوجهها للمبتدعةِ فيها تذكيرٌ ونصيحةٌ وتحذيرٌ ليهلِكَ من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينةٍ.

أولاً: أيها المبتدعُ! عَملُكَ مردودٌ عليك.

قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[1].

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

ثانياً: أيها المبتدعُ! أنت محرومٌ من التوبةِ ما دمت مُصِرًّاً على بدعتك.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ**»[2].

ثالثاً: أيها المبتدعُ! أنتَ ملعونٌ منَ اللهِ ومنَ الملائكةِ ومنَ الناسِ أجمعين.

قال ﷺ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ... مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[3].

رابعاً: أيها المبتدعُ! ستحملُ إثمَكَ وإثمَ مَنْ عملَ ببدعتِكَ إلى يومِ القيامة على ظهرك ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر:١٨].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥)، [«صحيح الترغيب» (٥٤) بزيادة حتى يَدعَ بدعتَهُ].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل:٢٥].

وقال ﷺ: «...**وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ**»(١).

خامساً: **أيها المتبدعُ!** اعمل ما شئتَ فإنك لن تزدادَ ببدعتِكَ من اللهِ إلا بُعداً.

قال ﷺ في المبتدعةِ من الخوارج: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينَ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٢).

قال أيوبُ السختياني: (ما ازدادَ صاحبُ بدعةٍ اجتهاداً إلا ازدادَ من اللهِ بعداً)(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٥٨)، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩).

٣٩

الحصنُ العاشرُ

آيةُ الكرسي

يقولُ اللهُ عز وجل في كتابه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف:٢٧].

موعدُنا -إن شاءَ اللهُ تعالى- مع حصنٍ جديدٍ من تحصينات الإنسان ضِدَّ الشيطان: أتدرونَ ما هو يا عباد الله؟! إنه: آيةُ الكرسيِّ.

• آيةُ الكرسيِّ حصنٌ حصينٌ من كيدِ الشياطينِ.

والدليلُ على ذلك:

١- حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنَّ الشيطانَ قال له: (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»)[1].

٢- عن ابنِ أبيِّ بنِ كعبٍ أن أباهُ أخبره: (أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ جَرِينٌ فِيهِ تَمْرٌ) -أي المكان الذي يُجمعُ فيه التمر- (وكَانَ مما يَتَعَاهَدُهُ فَيَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ؛ فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ كهيئةِ الْغُلاَمِ الْـمُحْتَلِمِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ؛ أَجِنٌّ أَمْ إِنْسٌ؟ فقَالَ: جِنٌّ، فقَلتُ: نَاوِلْنِي يَدَكَ، فَإِذَا يَدُ

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٥٠١٠).

كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، فَقُلْتُ: هَكَذَا خُلِقَ الجِنِّ؟ قَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الجِنُّ أنه مَا فِيهِمْ مَنْ هو أَشَدُّ مِني، فقلتُ: مَا يَحمِلُكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أصِيبَ مِنْ طَعَامِكَ، قلتُ: فَمَا الَّذِي يُحرِزُنَا مِنْكُمْ؟ فقَالَ: هَذِهِ الآيَةُ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قال: فَتَرَكْتُه، وغَدَا أبيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَأخبرهُ، فَقَالَ ﷺ: «**صَدَقَ الْـخَبِيثُ**» يعني: الجِنِّي)[1].

• آيةُ الكرسيِّ هي آيةٌ من سورةِ البقرة، وسورةُ البقرةِ حربٌ على الشياطين.

- قالَ ﷺ: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[2].

- وقال ﷺ: «**اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَدْخُلُ بَيْتًا يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[3].

- وقال ﷺ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وَإِنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ؛ هِيَ آيَةُ الكُرْسِيِّ**»[4].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلاَ يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ**»[5].

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٣٠)، وابن حبان (٧٨٤) واللفظ له، [«صحيح الترغيب» (١٤٧٠)].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٧٨٠).

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم (٢٠٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٣)، [«صحيح الترغيب» (١٤٦٣)].

(٤) **حسن لغيره**: رواه الترمذي (٢٨٧٨)، والحاكم (٣٠٢٧)، [«صحيح الترغيب» (١٤٦١)].

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٨٨٢)، وأحمد (٤/ ٢٧٤)، والدارمي (٣٣٨٧)، والبزار (٣٢٩٦)، [«صحيح الترغيب» (١٤٦٧)].

وقال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»(١).

قيلَ: كفتاهُ من قيامِ الليلِ.

وقيلَ: كفتاهُ من الشيطان.

وقيلَ: كفتاه من كلِّ شرٍّ.

• آيةُ الكرسيِّ أعظمُ آيةٍ في كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ.

عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا الْـمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**» قَالَ: قُلْتُ: (اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»(٢).

ومعنى «**ليهنِكَ العلمُ**» أي ليكنِ العلمُ هنيئاً لك.

• آيةُ الكرسيِّ فيها اسمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجاب.

عن أبي أُمَامةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُوَرٍ ثَلاَثٍ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطه**»(٣).

أما البقرةُ ففي قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨) واللفظ للبخاري.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨١٠).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٨٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٨٥)، والحاكم (١٨٦١) واللفظ لابن ماجه، [«صحيح الجامع» (٩٧٩)].

وأما آلُ عمرانَ ففي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ [آل عمران].

وأما في طه ففي قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه:١١١].

فاسمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعيَ به أجابَ، هو ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

ولذا كان النبيُّ ﷺ إذا كرَبَه أمرٌ قال: «**يا حيُّ يا قيومُ! برحمتِكَ أستغيث**»(١).

• آيةُ الكرسيِّ سببٌ لدخولِ الجنةَ إذا قُرِئَتْ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ مكتوبة.

قالَ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»(٢).

• آيةُ الكرسيِّ اشتملت على أنواعِ التوحيدِ الثلاثة.

فتوحيدُ الربوبيةِ في قولِهِ تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

وتوحيدُ الألوهيةِ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ﴾، ﴿ٱلۡحَيُّ﴾، ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾، ﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾، ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾.

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» (٣٥٢٤).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي في «الكبرى» (٩٨٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (٨٠٦٨)، وفي «الدعاء» (٦٧٥)، [«صحيح الترغيب» (١٥٩٥)].

• آيَةُ الكرسيِّ، آيةٌ واحدَةٌ، ولكنها اشتَملت على عشرِ مسائلَ من أعظمِ وأَهمِّ مسائِل العقيدة هي:

المسألةُ الأولى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

المسألةُ الثانيةُ: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.

المسألة الثالثة: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾.

المسألة الرابعة: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

المسألة الخامسةُ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

المسألة السادسة: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾.

المسألة السابعة: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾.

المسألة الثامنة: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾.

المسألة التاسعة: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾.

المسألة العاشرة: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

• **المسألةُ الأولى:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا هو توحيدُ الألوهِيةِ.

أي: لا معبودَ بحقٍّ إلا الله.

وبهذِهِ الكلمةِ أرسلَ اللهُ الرسُلَ، وأنزلَ الكتبَ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل].

وشهدَ اللهُ لنفسِهِ أنه الإلهُ الحقُّ.

فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران].

• **المسألةُ الثانيةُ: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾.**

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ هذا هو توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ.

فاللهُ عز وجل سَمَّى نفسَه بأسماءٍ، ووصفَ نفسَه بصفاتٍ، فعلى المسلمِ أن يثبتَ هذه الأسماءَ والصفاتِ لله عز وجل على حقيقتها من غيرِ تعطيلٍ ولا تشبيهٍ؛ فصفاتُ الله تليقُ بجلالِه، وصفاتُ المخلوقين تليقُ بهم، فلا تشابهَ أبداً بين صفاتِ الله وصفاتِ المخلوقين، فاللهُ عز وجلَّ سمى نفسه ﴿ٱلْحَىُّ﴾ فهو حيٌّ حياةً أبديةً، أزليةً، فهو الحيُّ الذي لا يموتُ، والإنسُ والجنُّ يموتون، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

وسمّى نفسه: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ أي القائمُ بنفسه، المستغني عن عبادِه، والقائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، فهو سبحانه قائمٌ بتدبير هذا الكونِ وما فيه، وهو قائمٌ بمصالحِ عبادِه، يحفظُهم ويكلأهم، ويرزقُهم، وَيُحصي عليهم ولهم ما يعملون من خيرٍ أو شرٍ، فجميعُ الموجوداتِ مفتقرةٌ إليه، وهو غني عنها، ولا قوامَ لها بدون أمره.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

• **المسألةُ الثالثةُ:** ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

وهذا أيضاً من توحيدِ الأسماءِ والصفاتِ، فاللهُ عز وجلَّ نفى عن نفسِهِ النعاسَ والنومَ؛ لأنهما من صفاتِ النقصِ، ويجبُ على المسلمِ أن يُنَزِّهَ اللهَ عز وجلَّ عن كلِّ صفاتِ النقصِ التي لا تليقُ بجلاله.

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ**»(١).

• **المسألة الرابعة:** ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

وهذا توحيدُ الربوبيةِ، فَالمالكُ لهذا الكونِ هوَ اللهُ، له ما في السموات وما في الأرضِ، وما بينهما، وما تحت الثرى.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٧٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ [الأنعام:١٢].

وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر].

فالمالكُ الحقيقيُّ لهذا الكونِ هو اللهُ، وأنت يا ابنَ آدمَ ستترك ما تملكُ وتموت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ [الأنعام:٩٤].

ولذلك كان الفاروق عمرُ يتمثلُ بهذه الأبيات[1]:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُه ... يبقى الإلهُ ويفنى المال والولدُ
لم تُغْنِ عن هُرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ مما خلَدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجنُّ فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من وِردِهِ يوماً كما وَردوا

فالملكُ لله وحدَه، وإذا عرَفتَ ذلك يا ابنَ آدمَ فلا تطلبْ إلا من صاحبِ الملكِ الغنيِّ الذي خزائنُه ملأى لا تنفَدُ أبداً.

أفتتركُ يا ابنَ آدم سؤالَ الغنيِّ، وتسألُ الأمواتَ أصحابَ القبور؟ الذين لا يملكونَ شيئاً.

(١) ذكره ابن عساكر في تاريخه(٤٤/ ٣١٥).

• **المسألة الخامسةُ:** ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وهذا استفهامٌ للنفي؛ أي لا أحدَ يشفعُ يومَ القيامةِ إلا بإذنه.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤].

قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم].

وهذا رسولُنا ﷺ يومَ القيامةِ يخِرُّ ساجداً تحت العرش ويثني على الله، فيقول الله عز وجل له: «**يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١).

فالشفاعةُ يومَ القيامةِ كلُّها لله، ولمن أذنَ له.

فإياكَ أن تطلبَ الشفاعة من غيرِ الله.

• **المسألة السادسة:** ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

فالله عز وجَلَّ أحاط علمُه جميعَ الأشياء.

قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

فيا ابنَ آدمَ!

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ ... خلوتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبَنَّ اللهَ يغفلُ ساعة ... ولا أن ما تُخْفي عليه يغيبُ(٢)

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) هذا البيت كان ينشده الإمام أحمد بن حنبل ، كما عند أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٢٠)، والخطيب في تاريخه(٥/ ٢٠٥) .

فاللهُ عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران].

فإذا علمتَ يا ابن آدم أن اللهَ مطلعٌ عليك، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمرك، فكيفَ تعصي اللهَ وهو يراك؟

• **المسألة السابعة:** ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾.

فالله سبحانه وتعالى وحدَه هو الذي يعلمُ ما كان وما سيكونُ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامة، واختصَّ نَفسَه بعلمِ الغيبِ إلا من ارتضى من رسولٍ.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام:٥٩].

فمهما بلغَ علمُك يا ابن آدمَ فأين هو من علمِ الله سبحانه؟

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

• **المسألةُ الثامنةُ:** ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾.

أي: أحاطَ كرسيُّه بالسموات والأرض.

والكرسيُّ موضعُ القدمين من العرش، وهو بالنسبة للعرشِ كحلقةٍ من حديدٍ أُلقيت بين ظهراني فلاةٍ منَ الأرضِ، وهو مع هذا وسعَ السمواتِ والأرضَ، فما بالنا بالعرش؟

• **المسألةُ التاسعةُ:** ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾.

أي: لا يعجزُهُ حفظُ السمواتِ والأرضِ فهو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر].

• **المسألة العاشرة:** ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

أي: هو وحدَهُ العليُّ؛ أي ذو العلوِّ المطلقِ، وهو الارتفاعُ فوقَ كلِّ شيء، وذو العظمةِ في ذاتِه وسلطانِه وصفاتِه.

مسألةُ العلوِّ قضيةٌ مهمةٌ من قضايا العقيدة، ضلَّ فيها كثيرٌ من المسلمين إلا مَنْ رحم ربي.

فمنهم من يعتقدُ أنَّ اللهَ موجودٌ بذاته في كلِّ الوجود، وهذه عقيدةُ الجهمية، وهي فرقةٌ ضالة.

ومنهم من يقولُ: لا أدري!! الله في السماء أم في الأرض.

والاعتقادُ الصحيحُ في مسألةِ العلوِّ: أنَّ اللهَ عزَّ وجل استوى على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه ليس كاستواءِ المخلوقين، وهو غنيٌّ عن العرش وما دون العرش، وهو معنا بعلمِه وسمعِه وبصرِه.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

وقد جاءتِ الأَدلةُ في الكتابِ والسنةِ تدلُّ على ذلك.

أولاً: الأدلةُ من كتاب الله.

١- قال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

٢- وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر:١٠].

٣- وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [المُلك].

ثانياً: الأدلةُ من السنة.

١- قال ﷺ: «**لَـمَّا قَضَى اللهُ الْـخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»(١).

الشاهد: «**فَهوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ**».

٢- وقال ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ**»(٢).

الشاهد: «**يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ**».

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) **حسن لغيره**: رواه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، [«صحيح الترغيب» (٢٢٥٦)].

٣- وقال ﷺ: «**أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؛ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**»[١].

الشاهد: «**وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

٤- وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**»[٢].

الشاهد: «**الَّذِي فِي السَّمَاءِ**».

٥- يقول معاوية بن الحكم السلميُّ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**» فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[٣]. والشاهد قولها: (في السماء).

• فاللهُ عزّ وجلَّ هو العليُّ -أي: ذو العلوِّ المطلقِ- وهو الارتفاعُ فوقَ كلِّ شيء، فهو مستوٍ على عرشه استواءً يليقُ بجلالِه، ومع ذلك فهو مطلعٌ على عبادِهِ، عليمٌ بأفعالِهم، يسمعُ سرَّهم ونجواهم، لا يخفى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السماء، وهذه هي المعيةُ العامةُ لكل المخلوقات.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٣٦).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٥٣٧).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وهو سبحانهُ مستوٍ على عرشه فوقَ سمواتِه استواءً يليقُ بجلاله ومع ذلك فهو مع المؤمنينَ الصادقينَ الموحِّدينَ بحمايته وتأييدِهِ ونصرِه وحفظِه، وهذه معيةٌ خاصةٌ منَ اللهِ للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة].

فهذه آيةُ الكرسيِّ أعظمُ آيةٍ في القرآن فيها اسمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا دُعيَ به أجابَ، من قرأها قبل نومِه كان في حصن حصين من كيدِ الشياطين.

وهناك حصونٌ أُخرى كالمعَوِّذَتين وغيرِها تَحفَظُ من كيدِ الشياطين، ولكن اكتفينا بذلك، سائلين المولى في علاه أن يحفظنا جميعاً من العدوِّ المبين.

وبهذا نكونُ قد انتهينا من الحديثِ عن الشيطان الرجيمِ والعدُوِّ المبين وبيَّنا أساليبه ومداخلَه وأهدافَه واعتداءاتِه لنكون منها جميعاً على حذرٍ.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

الفهارس العامة

فهرس الآيات

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة سبأ

سورة الصافات

سورة ص

سورة غافر

سورة الرحمن

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس

فهرس الأحاديث

الحديث الصفحة

فهرس الآثار

فهرس الفوائد

الفهرس

كتبٌ صدرت للمؤلف:

١- العقيدةُ أولاً لو كانوا يعلمون	٤ مجلدات
٢- أحسن البيان (طبعة جديدة)	مجلد واحد
٣- الدعاء النافع (طبعة جديدة)	مجلد واحد
٤- سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٥- الصحابة رضي الله عنهم(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٦- تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام(طبعة جديدة)	مجلد واحد
٧- حياة السعداء	مجلد واحد
٨- الفرقان من قصص القرآن	مجلد واحد
٩- البيان من قصص القرآن	مجلد واحد
١٠- البرهان من قصص القرآن	مجلد واحد
١١- ثمرات السيرة النبوية	مجلد واحد
١٢- البشارات النبوية	مجلد واحد
١٣- المبشرون بالجنة	مجلد واحد
١٤- السبيل في فقه الدعوة	مجلدان
١٥- وسائل الثبات عل الدين	مجلد واحد
١٦- محبة علي بن أبي طالب بين الغلو والجفاء	غلاف
١٧- صيحة نذير (جديد)	غلاف
١٨- الحصن الحصين (جديد)	غلاف
١٩- الشيطان العدو المبين (جديد)	مجلد واحد
٢٠- وبشر الصابرين (جديد)	مجلد واحد